www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

# أبحاث في علم التجويد

الدكتور ياسر قدوري محمد

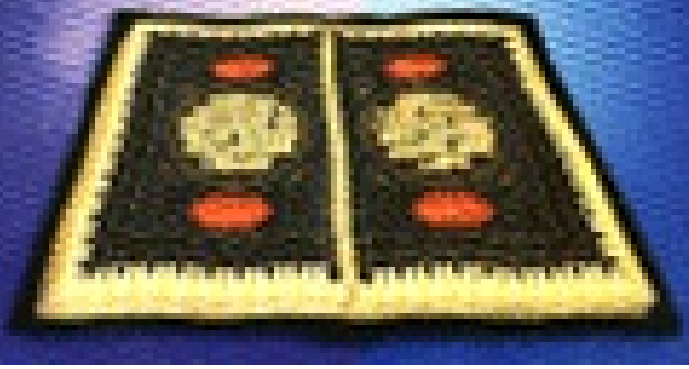

بسم الله الرحمن الرحيم

# أبحاث فى علم التجويد

كاتب:

غانم قدورى الحمد

نشرت فى الطباعة:

دارعمار

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

الفهرس ----- ۵
أبحاث فی علم التجوید ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
مقدمة ----- ۱۱
(۱) علم التجوید نشأته و معالمه الأولی ----- ۱۲
مقدمة ----- ۱۲
المبحث الأول الدراسات الصوتیة العربیة قبل أبی مزاحم الخاقانی ----- ۱۳
المبحث الثانی أبو مزاحم الخاقانی (حیاته و قصیدته فی التجوید) ----- ۱۵
أولا: حیاة أبی مزاحم الخاقانی: ----- ۱۵
ثانیا: مؤلفات أبی مزاحم الخاقانی: ----- ۱۸
ثالثا: القصیدة الخاقانیة: ----- ۱۸
المبحث الثالث تأثیر قصیدة الخاقانی فی جهود اللاحقین ----- ۲۱
اشارة ----- ۲۱
۱- قصیدة أبی الحسین الملطی (ت ۳۷۷ ه) فی معارضة قصیدة الخاقانی: ----- ۲۱
۲- قصیدة محمد بن أحمد العجلی فی معارضة قصیدة الخاقانی أیضا: ----- ۲۲
۳- کتاب «التنبیه علی اللحن الجلی و اللحن الخفی»: ----- ۲۲
۴- کتاب شرح قصیدة أبی مزاحم الخاقانی: ----- ۲۲
۵- مقدمة فی الوقف و الابتداء (تسمی بنظام الأداء). ----- ۲۳
۶- کتاب فی التجوید ----- ۲۳
۷- فهرسة ما رواه عن شیوخه من الدواوین المصنفة فی ضروب العلم و أنواع المعارف، الشیخ أبو بکر محمد بن خیر الأموی الإشبیلی (۵۰۲- ۵۷۵ ه
۸- عمدة المجید و عدة المفید فی معرفة التجوید «۲». ----- ۲۵
۹- المفید شرح عمدة المجید ----- ۲۵
۱۰- شرح الواضحة فی تجوید الفاتحة ----- ۲۶

المبحث الرابع أول المؤلفات فی علم التجوید بعد القصیدة الخاقانیة ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
أولا- کتاب التنبیه علی اللحن الجلی و اللحن الخفی ----- ۲۷
ثانیا- کتاب الرعایة لتجوید القراء و تحقیق لفظ التلاوة ----- ۲۷
ثالثا- کتاب التحدید فی الإتقان و التجوید ... ----- ۲۸
المبحث الخامس مصطلح (علم التجوید) ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
خاتمة البحث ----- ۳۶
(۲) مناهج کتب تعلیم قواعد التلاوة «۱» ----- ۳۷
مقدمة ----- ۳۷
المبحث الأول مخارج الحروف و صفاتها أهمیتها و موقعها فی علم التجوید ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
فمن أمثلة الاتجاه الأول: ----- ۴۱
و من أمثلة الاتجاه الثانی: ----- ۴۱
و من أمثلة الاتجاه الثالث ----- ۴۱
و من أمثلة الاتجاه الرابع ----- ۴۲
المبحث الثانی ملاحظات حول المادة العلمیة فی کتب علم التجوید أو قواعد التلاوة ----- ۴۲
اشارة ----- ۴۳
أولا- مخرج صوت الضاد: ----- ۴۳
ثانیا- تعریف الصوت المجهور: ----- ۴۴
[ثالثا] إخفاء النون الساکنة: ----- ۴۷
اشارة ----- ۴۷
المذهب الأول: ----- ۴۹
المذهب الثانی: ----- ۴۹

المذهب الثالث: ۴۹
الخاتمة ۵۰
(۳) إخفاء النون حقيقته الصوتية و طريقة أدائه لدى القراء المعاصرين ۵۰
مقدمة ۵۰
المبحث الأول تعريف موجز بصوت النون و أحكامه ۵۱
أولا: مخرج النون و صفاته الصوتية: ۵۱
ثانيا: أحكام النون الساكنة فی التركيب: ۵۳
المبحث الثانی إخفاء النون فی التراث الصوتی العربی ۵۴
أولا- إخفاء النون فی نصوص الكتب القديمة: ۵۴
ثانيا- إخفاء النون فی كتب علم الأصوات اللغوية: ۵۵
ثالثا- إخفاء النون فی أداء القراء المعاصرين: ۵۶
اشارة ۵۶
المذهب الأول: ۵۶
المذهب الثانی: ۵۶
المذهب الثالث: ۵۶
المبحث الثالث إخفاء النون، مناقشة و استنتاج ۵۷
أولا- حقيقة إخفاء النون الصوتية: ۵۷
ثانيا- درجات إخفاء النون: ۵۸
ثالثا- عدد أصوات النون المخفاة: ۵۹
رابعا: إخفاء النون و الكتابة الصوتية: ۶۰
خاتمة البحث ۶۱
(۴) إخفاء الميم فی النّطق العربی ۶۲
مقدمة ۶۲
المبحث الأول الميم صفاتها و أحكامها الصوتية ۶۲

أولا: صفات الميم الصوتية: ۶۲
ثانيا: أحكام الميم الصوتية: ۶۳
اشارة ۶۳
۱- مع الميم: ۶۳
۲- مع الفاء و الواو: ۶۳
اشارة ۶۳
أ- مذهب البغداديين، و هو مذهب جمهور القراء، الإظهار ۶۴
ب- مذهب الكوفيين، عن الكسائى، الإدغام. ۶۴
ج- مذهب البصريين، عن اليزيدى، و أبى عمرو بن العلاء، الإخفاء ۶۴
۳- مع الباء: ۶۴
المبحث الثانى حكم الميم مع الياء ۶۵
اشارة ۶۵
۱- القول بأنها مظهرة: ۶۵
۲- القول بأنها مخفاة: ۶۵
المبحث الثالث حقيقة إخفاء الميم الساكنة قبل الباء ۶۶
اشارة ۶۶
الخاتمة ۶۷
(۵) قضيّة الضّاد فى العربيّة ۶۷
مقدمة ۶۷
المبحث الأول قضية الضاد فى التراث العربى القديم ۶۸
اشارة ۶۸
أولا- الضاد عند سيبويه: ۶۸
ثانيا- الضاد عند علماء العربية و التجويد بعد سيبويه: ۷۱
اشارة ۷۱

الاتجاه الأول: ۷۱
الاتجاه الثانی: ۷۱
المبحث الثانی قضیة الضاد فی العصر الحدیث ۷۳
اشارة ۷۳
أولا- الضاد فی قراءة القرآن الیوم: ۷۳
ثانیا: الضاد فی کتب علم التجوید المعاصرة: ۷۴
ثالثا: مسائل تترتب علی تغیر نطق الضاد: ۷۵
(۶) اللّحن الخفیّ فی الدّرس الصّوتیّ العربیّ «۱» ۷۶
مقدمة ۷۶
المبحث الأول الانحرافات النطقیة فی التراث الصوتی العربی ۷۷
اشارة ۷۷
أولا- العادات اللهجیة: ۷۷
ثانیا- عیوب النطق: ۷۷
ثالثا- اللحن الخفی: ۷۸
اشارة ۷۸
۱- دلالة مصطلح اللحن الخفی و تأریخ ظهوره: ۷۹
۲- تأریخ البحث فی اللحن الخفی: ۷۹
المبحث الثانی ظواهر اللحن الخفی التی عالجها علماء التجوید ۸۰
اشارة ۸۰
أولا: ظواهر اللحن الخفی الناتجة عن تأثر الأصوات بالمجاورة: ۸۱
اشارة ۸۱
۱- الجهر و الهمس: ۸۱
۲- الشّدّة و الرّخاوة: ۸۲
۳- التفخیم و الترقیق: ۸۲

۴- التّأنیف (الغنة): ۸۳

ثانیا: ظواهر اللحن الخفی الناتجة عن المبالغة فی تحقیق الأصوات: ۸۴

اشارة ۸۴

۱- الهمزة: ۸۴

۲- الراء: ۸۴

۳- النون: ۸۵

۴- الحرکات و حروف المد: ۸۵

خاتمة ۸۵

المصادر ۸۶

تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ۸۹

# أبحاث فی علم التجوید

## اشارة

نام کتاب: أبحاث فی علم التجوید نویسنده: غانم قدوری الحمد موضوع: تجوید تاریخ وفات مؤلف: معاصر زبان: عربی تعداد جلد: ۱ ناشر: دار عمار مکان چاپ: عمان سال چاپ: ۱۴۲۲ / ۲۰۰۲ نوبت چاپ: اوّل

## مقدمة

مقدمة بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الحمد للّه رب العالمین، و الصلاة و السلام علی سیدنا محمد، و علی آله و صحابته أجمعین. و بعد: فإن الصحوة الإسلامیة المبارکة المعاصرة تستهدی بالقرآن الکریم، و صارت تلاوته شعارا لها، و نورا تستضیء به فی مسیرتها، و تنوعت وسائل تعلیم أحکام التلاوة، فمنها کتب علم التجوید، و منها الأشرطة الصوتیة المسجلة، و منها الأشرطة المرئیة و المسموعة، و منها حلقات التعلم علی ید المشایخ و المعلمین. و المتأمل فی کتب تعلیم قواعد التلاوة المؤلفة فی السنین الأخیرة خاصة، و المستمع لأداء المرتلین من جیل الشباب علی وجه الخصوص، تستوقفه ملاحظات و ظواهر تتعلق بتلاوة القرآن، و بأحکام التلاوة المدونة فی کتب علم التجوید، فهناک تباین ظاهر بین أداء بعض الأحکام و طریقة وصفها فی کتب التلاوة، کما أن هناک اختلافا بین نطق عدد من الأصوات و طریقة وصفها فی الکتب. و کان ذلک قد لفت نظری منذ سنوات، و کتبت عدة أبحاث، فی فترات متتابعة، تعالج بعضا من تلک الظواهر، و صارت عندی قناعة بضرورة اعتناء القائمین علی أمر تعلیم تلاوة القرآن بتلک القضایا، حتی تلتقی کلمتهم علی رأی موحد فیها، و حتی تتوحد صور الأداء فیها، و تعاد صیاغة ما کتب عنها فی کتب التلاوة، صیانة للقرآن الکریم من تطرق الاختلاف إلی تلاوته. و لا شک فی أنّ قراءة القرآن سنّة یأخذها الآخر من الأوّل، و تعتمد علی المشافهة و التلقی، لکن- کما یقول الشیخ محمد المرعشی المتوفی سنة ۱۱۵۰ ه: «لما طالت سلسلة الأداء تخلل أشیاء من التحریفات فی أداء کثیر من شیوخ الأداء، الشیخ الماهر الجامع بین الروایة و الدرایة، المتفطن لدقائق الخلل فی أبحاث فی علم التجوید، ص: ۶ المخارج و الصفات، أعز من الکبریت الأحمر! فوجب علینا أن لا نعتمد علی أداء شیوخنا کل الاعتماد، بل نتأمل فیما أودعه العلماء فی کتبهم من بیان مسائل هذا الفن، و نقیس ما سمعنا من الشیوخ علی ما أودع فی الکتب، فما وافقه فهو الحق، و ما خالفه فالحق ما فی الکتب» «۱». و قول المرعشی: إن الحق ما فی الکتب لیس علی إطلاقه أیضا، لأن مؤلفی الکتب لیسوا معصومین من الخطأ، إلی جانب أن عددا من موضوعات هذا العلم قد اختلفت عبارة المؤلفین عنها، و المرعشی نفسه قد صرح بذلک حین قال: «لما ختمت رسالتی المسماة بجهد المقل، شرحتها و أظهرت مواضعها المبهمة لینتفع بها أدنی الطلبة، و سمیته (بیان جهد المقل) و أوصیهم أن لا یعجلوا بتخطئتی بسبب مخالفة ما ذکرته فی هذه الرسالة ظاهر ما یفهم من کلمات المؤلفین فی هذا الفن، فإن کلماتهم قلّ ما خلت عن المسامحات، و لا یستبعدوا أن أعثر علی الخطأ فی کلمات بعضهم، فأثبت المسألة فی هذه الرسالة علی وجه الصواب» «۲». و جری کثیر من الباحثین فی زماننا علی جمع ما کتبوه من أبحاث فی کتاب واحد، لما فی ذلک من حفظ لتلک الأبحاث، و تیسیر الرجوع إلیها و الإفادة منها أیضا، و قد دفعنی ذلک إلی ضم ما کتبته من أبحاث فی علم التجوید إلی بعضها لتنشر فی کتاب واحد، إن شاء اللّه، لاستجاشة همم العلماء و الدارسین للاعتناء بالموضوعات التی تناولتها هذه الأبحاث، و للإجابة علی التساؤلات التی أثارتها، و هی قضایا مهمة تستحق البحث و الاهتمام لتعلقها بتلاوة القرآن الکریم و بوسائل و أسالیب تعلیمها.

(_____ ۱) بیان جهد المقل ۳ ظ، ۱ ظ، و المرعشی هو محمد بن أبی بکر الملقب بساجقلی‌زاده، من علماء الدولة العثمانیة، له عدة مؤلفات فی علم التجوید و قراءة القرآن، منها (جهد المقل فی التجوید) الذی حققه أخی الدکتور سالم قدوری الحمد، و نال به شهادة الدکتوراة من کلیة الآداب بجامعة بغداد

سنة ۱۹۹۲. (۲) نفس الهامش السابق. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۷ و یضم هذا الکتاب الأبحاث الآتیة: ۱- نشأة علم التجوید و معالمه الأولی. ۲- مناهج کتب تعلیم قواعد التلاوة: عرض و مناقشة. ۳- إخفاء النون: حقیقته الصوتیة و طریقة أدائه لدی القراء المعاصرین. ۴- إخفاء المیم فی النطق العربی. ۵- قضیة الضاد فی العربیة. ۶- اللحن الخفی فی الدرس الصوتی العربی. و کنت حین کتبت هذه الأبحاث قد حرصت علی أمرین: الأول: الرجوع إلی المصادر الأصلیة القدیمة فی علم التجوید، و کان أکثرها مخطوطا حینئذ، و کان لذلک فوائد منها تصحیح بعض الحقائق التاریخیة المتعلقة بنشأة هذا العلم، و منها الوقوف علی مادة علمیة نافعة أغفلت ذکرها الکتب المتأخرة. الثانی: الرجوع إلی کتب علم الأصوات اللغویة الحدیثة، لتوضیح بعض الحقائق الصوتیة التی تلقی ضوءا علی عدد من قضایا التلاوة القرآنیة، و هو جزء من منهج علماء التجوید الأوائل الذین استعانوا بما کتبه علماء العربیة عن المخارج و الصفات و الإدغام حین کتبوا قواعد هذا العلم و دوّنوا أصوله، «و الحکمة ضالة المؤمن أنّی وجدها فهو أحق بها» أو کما قال صلی اللّه علیه و سلم. و اللّه تعالی أسأل أن یجعل هذا العمل خالصا لوجهه، و أن یتجاوز عن خطئی فیه، و أن ینفع به، هو حسبنا، و نعم الوکیل. غانم قدوری الحمد المکلا- حضرموت ۲۸/ شوال/ ۱۴۲۰ ه ۳/ ۲/ ۲۰۰۰ م أبحاث فی علم التجوید، ص: ۹

## (۱) علم التجوید نشأته و معالمه الأولی

### مقدمة

مقدمة «۱» بسم اللّه الرحمن الرحیم: الحمد للّه رب العالمین، و الصلاة و السلام علی سیدنا محمد و علی آله و صحابته أجمعین، و بعد: فقد کنت فی شهر رمضان من عام ۱۳۹۷ ه أفکر فی مقدار ما یمکن أن یقدمه علم الأصوات اللغویة المعاصرة فی دراسة علم التجوید، و حاولت أن أدون شیئا فی ذلک، لکنی توقفت عن الکتابة بد صفحات قلیلة، حین شعرت بالحاجة إلی الاطلاع علی المصادر القدیمة فی علم التجوید، دون الاکتفاء بالرسائل الموجزة و المتون المختصرة التی آل إلیها هذا العلم فی أیدی الناس، فی زماننا، فأرجأت الکتابة و شمرت عن ساعد الجد فی البحث عن الکتب القدیمة المؤلفة فی علم التجوید، لأقف علی صورة هذا العلم، کما صاغتها أقلام الأفذاذ من علماء السلف، فی عصور الازدهار العلمی. و لا زلت منذ ذلک التاریخ أتتبع کتب علم التجوید القدیمة، و أحاول الحصول علی نسخ منها، مخطوطة و مطبوعة، حتی تجمع لدیّ- بحمد اللّه تعالی- قدر صالح منها. و تغیر- بفضل ذلک- ما کان فی ذهنی من صورة علم التجوید التی عرفتها من خلال الرسائل الموجزة المؤلفة فی فترات متأخرة أو من خلال ما

(_____۱) نشر هذا البحث فی مجلة کلیة الشریعة بجامعة بغداد، فی العدد السادس ۱۴۰۰ ه ۱۹۸۰ م. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۰ کتبه بعض المحدثین اعتمادا علی تلک الرسائل. فما أوسع الفرق بین الکتب القدیمة الزاخرة بالدراسة الصوتیة العمیقة، و بین الرسائل الموجزة التی یقرأ الناس فیها هذا العلم الیوم! و قد فتح لی ذلک التتبع لمصادر علم التجوید آفاقا من البحث واسعة، و لکنی آثرت الوقوف أولا عند قضیة أساسیة، هی البدایة لکل ما سیتلوها من أبحاث فی هذا العلم، إن شاء اللّه، هذه القضیة هی البحث عن بدایة التألیف فی هذا العلم، و ظهور أول کتاب خاص به. و الذی جعلنی أقف عند هذا الموضوع قبل غیره هو غموض نشأة هذا العلم، عند من کتبوا عنه فی زماننا، علی قلة ما کتبوا، فقد قال بعضهم، و هو یتحدث عن جهود اللغویین العرب فی دراسة الأصوات «۱»: «و أسهم علماء التجوید و القراءات القرآنیة بقدر لا یجحد فی هذا المیدان، و لسنا نملک لهذا النوع من الدراسة مادة کافیة تسمح بتتبع تطوره و وصف المراحل التی قطعها حتی صار علما مستقلا هو علم التجوید ...». و تحدث بعض من کتب فی هذا العلم من المحدثین عن ذلک، فقال «۲»: «قال بعضهم: واضعه الأئمة القراء. و أول من دوّن فیه قیل: أبو مزاحم الخاقانی، و قیل: موسی بن عبید اللّه المقرئ البغدادی. و قال بعضهم: دوّن هذا العلم أئمة القراءة فی عصر التدوین عند اختلاط العرب بالأعاجم، و فساد اللسان، محافظة علی کتاب اللّه تعالی: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ

لَحافِظُونَ (۹) [الحجر]، و أوّل من أفرده بالتأليف موسى بن عبيد اللّه بن خاقان البغدادى المتوفى سنة ۳۲۵ ه». لعل هذا هو كل ما يمكن أن يعثر عليه الباحث عند المحدثين حول نشأة

(_____ ۱) أحمد مختار عمر: البحث اللغوى عند العرب ص ۷۷. (۲) فرج توفيق الوليد: قواعد التلاوة و علم التجويد ص ۱۷. أبحاث فی علم التجويد، ص: ۱۱ علم التجويد، على ما فيه من إيجاز و غموض و تناقض، فقولهم: «أول من دوّن فيه قيل: أبو مزاحم الخاقانى، و قيل: موسى بن عبيد اللّه المقرئ البغدادى ...» دليل على غموض نشأة هذا العلم لدى المعاصرين، لأن أبا مزاحم هو موسى بن عبيد اللّه! و إذا كان علم المحدثين فى هذا الموضوع قد انتهى عند حد القول بأن أبا مزاحم الخاقانى هو أول من دوّن علم التجويد أو أفرده بالتأليف، و هو ما سبق إلى ذكره ابن الجزرى «۱»، فإن وراء ذلك قضايا تحتاج إلى بيان، فمن هو أبو مزاحم الخاقانى؟ و ما كتابه الذى دوّن فيه هذا العلم؟ و أين ذهب ذلك الكتاب؟ و لما ذا تأخر تدوين هذا العلم إلى عصر الخاقانى؟ و ما هى علاقة علم التجويد بالدراسات الصوتية عند علماء العربية المتقدمين؟ هذه قضايا لا زالت بحاجة إلى بيان و توضيح. و كذلك فإن من دوافع هذا البحث هو أن فى تتبع الأصول التاريخية لعلم التجويد و البحث عن مصادره الأولى القديمة فائدة جليلة، هى ما يمكن أن يسفر عنه هذا النوع من الدراسة من مادة علمية مخبوءة، و من مصادر قيمة منسية، يمكن أن تفيد الباحثين فى دراسة الأصوات العربية، و تفيد الناطقين فى تصحيح نطقهم و تقويم ألسنتهم. و إلى جانب هذا كله فإن الكشف عن بداية تدوين علم التجويد، و معرفة المؤلفات المتقدمة فيه يعتبر بحد ذاته عملا علميا يستحق- قبل غيره- من الدارسين المهتمين بهذا النوع من البحث المتصل بالنشاط اللغوى، كلّ جهد. و سوف أحاول بحث ما أشرت إليه من قضايا بنشأة علم التجويد من خلال هذه المباحث الخمسة:

(_____ ۱) انظر: غاية النهاية ۲/ ۳۲۱. أبحاث فی علم التجويد، ص: ۱۲ الأول: الدراسات الصوتية العربية قبل أبى مزاحم الخاقانى. الثانى: أبو مزاحم الخاقانى: حياته، و قصيدته فى التجويد. الثالث: تأثير قصيدة أبى مزاحم فى جهود اللاحقين. الرابع: أول المؤلفات فى علم التجويد بعد القصيدة الخاقانية. الخامس: مصطلح (علم التجويد).

## المبحث الأول الدراسات الصوتية العربية قبل أبى مزاحم الخاقانى

المبحث الأول الدراسات الصوتية العربية قبل أبى مزاحم الخاقانى اهتمت بدراسة الأصوات العربية طوائف من علماء السلف، أشهرها النحويون و اللغويون و علماء قراءة القرآن الكريم، و هذه الطوائف و إن كانت جهودها متصلة إلا- أن النحويين و اللغويين كانوا يعالجون الموضوع من خلال ما ورد إليهم من كلام العرب نثره و شعره، بينما كان علماء القراءة يدرسون الأصوات العربية و يطبقونها على الأمثلة القرآنية بصورة خاصة. و كانت الدراسات اللغوية العربية قد بلغت مرحلة متقدمة من حيث غزارة المادة و كثرة التأليف، فى القرنين الثانى و الثالث الهجريين، و كذلك كانت رواية القراءات و دراستها و التأليف فيها، خلال هذين القرنين، نشطة و عميقة، لكن ذلك كله لم ينتج- على ما يبدو- كتابا مستقلا فى دراسة الأصوات العربية حتى جاء أبو مزاحم الخاقانى المتوفى سنة ۳۲۵ ه، فوضع اللبنة الأولى فى هذا الاتجاه، حين نظم قصيدته فى حسن أداء القرآن «۱».

(_____ ۱) ذكر ابن النديم فى الفهرست (ص ۵۲، ۵۵، ۵۹، ۶۶، ۸۱، ۸۵) عدة كتب، تتصل موضوعاتها- على ما يظهر من أسمائها- بالأصوات و النطق و مخارج الحروف و هى: ۱- كتاب اللغة و مخارج الحروف و أصول النحو- لأبى على الحسن بن داود النقاد (ت قبل ۳۵۰ ه). ۲- كتاب الأصوات- لمحمد بن المستنير الملقب بقطرب (ت ۲۰۶ ه). أبحاث فی علم التجويد، ص: ۱۳ و لعل جهود اللغويين و النحويين فى ميدان دراسة الأصوات، قبل أبى مزاحم الخاقانى، تنحصر فى: ۱- ما كتبه الخليل بن أحمد (ت ۱۷۰ ه) فى مقدمة كتاب «العين» عن مخارج الحروف و صفاتها

«۱». ۲- ما کتبه سیبویه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت ۱۸۰ ه) فی «الکتاب» فی باب الإدغام، و فی مواضع متفرقة أخری من کتابه «۲». ۳- ما کتبه المبرد (محمد بن یزید ت ۲۸۵ ه) فی کتابه «المقتضب» عن الأصوات العربیة فی (أبواب الإدغام) «۳».

۳- کتاب الأصوات- لعبد الملک بن قریب الأصمعی (ت ۲۱۷ ه). ۴- کتاب الأصوات- لأبی الحسن سعید بن مسعدة الأخفش (ت ۲۲۱ ه). ۵- کتاب الحروف- لعلی بن حمزة الکسائی (ت ۱۸۹ ه). ۶- کتاب الحروف- لمحمد بن یزید المبرد (ت ۲۸۵ ه). ۷- کتاب النطق- لأبی علی الحسن بن عبد اللّه الأصفهانی. ۸- کتاب النطق- لأبی القاسم عبد اللّه بن محمد الأزدی. و إذا کان الکتاب الأول یتضمن بابا عن مخارج الحروف فإن کتب الأصوات الثلاثة قد تکون فی موضوع أسماء أصوات الإنسان و الحیوان و الطبیعة، کما یفهم من النقول الثلاثة التی نقلها السیوطی من کتاب لابن السکیت (ت ۲۴۴ ه) فی الأصوات (انظر: المزهر ۱/ ۵۵۹ و ۵۶۶، ۲/ ۲۰۵) و هو الموضوع الذی تحدث عنه أبو منصور الثعالبی (ت ۴۳۰ ه) فی کتابه «فقه اللغة و سر العربیة» فی الباب العشرین (فی الأصوات و حکایتها) (انظر مقدمة تحقیق کتاب الحروف للخلیل بن أحمد- للدکتور رمضان عبد التواب)، و لا یعرف شیء عن کتابی «النطق» فیما اطلعت علیه من مصادر. و کان قد نشر منذ فترة طویلة «رسالة فی الحروف العربیة» منسوبة للنضر بن شمیل (ت ۲۰۴ ه)، تدور حول قضایا صرفیة و نحویة، و لا علاقة لها بدراسة الأصوات (انظر- البلغة فی شذوذ اللغة ص ۱۵۹- ۱۶۷). (۱) انظر: العین ۱/ ۵۲- ۶۷. (۲) انظر: الکتاب ۴/ ۴۳۱- ۴۳۶، و مواضع أخری متفرقة فیه. (۳) انظر: المقتضب ۱/ ۱۹۲- ۲۳۶. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۴ و لم یؤلف اللغویون و النحویون کتابا مستقلا فی هذا الموضوع قبل أبی الفتح عثمان بن جنی (ت ۳۹۲ ه) الذی ألف «سر صناعة الإعراب» فی موضوع الأصوات العربیة خاصة. أما علماء قراءة القرآن فلم یفردوا لموضوع الأصوات و تجویدها کتابا مستقلا قبل أبی مزاحم الخاقانی (ت ۳۲۵ ه)، الذی یعتبر أول من قام بذلک، و إن کانت قصیدته تعد شیئا یسیرا بالمقارنة بما بلغته دراسة التجوید علی ید علماء القراءة الذین عاشوا بعد قرن من عصر الخاقانی. و قد تضمنت کتب القراءات إشارات کثیرة إلی قضایا صوتیة صارت فیما بعد جزءا من علم التجوید، لکنها ظلت موجزة و غیر منظمة حتی فترات متأخرة، حین أخذ علماء القراءة یصدّرون کتبهم ببعض مباحث علم التجوید، علی نحو ما فعل أبو الخیر محمد بن الجزری (ت ۸۳۳ ه) فی کتابه الکبیر «النشر فی القراءات العشر». و کان التألیف فی القراءات و تدوینها فی الکتب قد بدأ منذ أواخر القرن الهجری الأول «۱». و کثرت کتب القراءات فی القرنین الثانی و الثالث، و قد أحصی باحث معاصر أربعة و أربعین کتابا منها، حتی زمن أبی بکر أحمد بن موسی بن العباس بن مجاهد «۲»، الذی توفی سنة ۳۲۴ ه، قبل وفاة أبی مزاحم بعام واحد. و یکاد کتاب «السبعة فی القراءات» لابن مجاهد یکون أقدم کتاب معروف فی زماننا من کتب القراءات القدیمة، و یتضمن هذا الکتاب نتفا من موضوعات علم التجوید و الدراسة الصوتیة. و لا یعنی ذلک أن المتقدمین من علماء القراءة لم یهتموا بالتجوید، فالواقع (

۱) انظر: القرطبی، الجامع لأحکام القرآن ۱/ ۶۳، و فؤاد سزکین، تاریخ التراث العربی ۱/ ۱۴۷. (۲) عبد الهادی الفضلی: قراءة ابن کثیر ص ۶۰- ۶۵ أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۵ أنهم کانوا یطبقون أصول التجوید تطبیقا عملیا، و هم ینقلون القراءات بالتلقین و المشافهة، مثلما کانت الأجیال الأولی من الصحابة و التابعین یجوّدون القرآن، و هم لم یدرسوا هذا العلم فی الکتب، و إنما کان ذلک مرتبطا بتلقیهم القرآن مجوّدا، إلی جانب تمکنهم من الفصاحة، و خلوص ألسنتهم من العجمة. و قد قال الأستاذ محمد المرعشی (ت ۱۱۵۰ ه- ۱۷۳۷ م) الملقب بساجقلی‌زاده فی کتابه القیم (جهد المقل) «۱»: «و تجوید القرآن قد یحصله الطالب بمشافهة الشیخ المجود، بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشافهة هی العمدة فی تحصیله، لکن بذلک العلم یسهل الأخذ بالمشافهة، و تزید المهارة، و یصان به المأخوذ عن [طروء] الشک و التحریف». فکانت مباحث علم التجوید مرتبطة بالقراءات و روایتها، ارتباطا عملیا تطبیقیا، حتی میّزها علماء القراءة بکتب مستقلة فی القرن الهجری الرابع و ما بعده. و لعل القارئ یتساءل عن الفرق بین کتب القراءات و موضوعها و کتب التجوید و موضوعها و یقول: أ لا یمکن اعتبار بدایة التألیف فی القراءات بدایة للتألیف فی علم التجوید؟ و الواقع أن علم القراءات و

علم التجويد، و إن كانا يرتبطان بقراءة القرآن الكريم، فإن بينهما اختلافا فى ما يتناوله كل منهما من قراءة القرآن، و فى منهج كل منهما فى طريقة تناول موضوعه. و قد قال الأستاذ محمد المرعشى المذكور قبل قليل «۲»: «إن قلت: ما الفرق بين علمى التجويد و القراءات؟ قلت: علم القراءات علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار فى نظم القرآن فى نفس حروفه أو صفاتها، فإذا ذكر فيه شىء من ماهية صفات الحروف فهم تتميم، إذ لا يتعلق الغرض به. و أما علم التجويد فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف، فإذا ذكر فيه شىء من اختلاف الأئمة فهو تتميم، كذا حقق فى الرعاية».

(_____ ۱) جهد المقل ورقة ۲ ظ. (۲) المصدر نفسه. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۶ و كتاب «الرعاية» الذى يشير إليه المرعشى فى آخر قوله السابق هو كتاب «الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة» لأبى محمد مكى بن أبى طالب المتوفى سنة ۴۳۷ ه. الذى تحدث فى أكثر من موضع فيه عن الفرق بين العلمين. فمن ذلك قوله فى باب تجويد الهمزة «۱»: «تقدم ذكر أصول القراءة و اختلافهم فى الهمز و تليينه و حذفه و بدله و تحقيقه و غير ذلك من أحكامه فى غير هذا الكتاب، فلا حاجة بنا إلى ذكر ذلك، و كذلك ما شابهه، فليس هذا كتاب اختلاف، و إنما هو كتاب تجويد ألفاظ و وقوف على حقائق الكلام، و إعطاء اللفظ حقه و معرفة أحكام الحروف التى ينشأ الكلام منها، مما لا اختلاف فى أكثره». و قال فى باب الذال «۲»: «و إذا تكررت الذال وجب بيانها نحو وَ الْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ (۱) [ص]، فهذا قد اجتمع فيه فى اللفظ ثلاث ذالات، فبيانه لازم، و قد ذكرنا فى غير هذا الكتاب ما تدغم فيه الذال و غيرها من الحروف مما اختلف القراء فيه، فأغنى عن ذكر ذلك فى هذا الكتاب. فتلك الكتب كتب تحفظ منها الرواية المختلف فيها، و هذا الكتاب يحكم فيه لفظ التلاوة التى لا خلاف فيها، فتلك كتب رواية، و هذا كتاب دراية». و وضح مكى فى أكثر من موضع فى كتاب الرعاية أن علم التجويد هو فى ما لا- اختلاف فيه بين القراء. يقول فى أول الكتاب «۳»: «و لست أذكر فى هذا الكتاب إلا ما لا اختلاف فيه بين أكثر القراء». و يقول فى باب الذال «۴»: «و اعلم أيها الناظر فى هذا الكتاب أن أكثر ما نحض على بيانه و التحفظ به ليس بين القراء فيه اختلاف». و يقول فى باب الباء «۵»: «و ما اختلف فيه القراء من إدغام

(_____ ۱) الرعاية ص ۱۲۸. (۲) الرعاية ص ۱۹۹- ۲۰۰. (۳) الرعاية ص ۴۲. (۴) الرعاية ص ۱۷۶. (۵) الرعاية ص ۲۰۵. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۷ الباء و إظهارها فهو فى كتاب الاختلاف. و هذا الكتاب إنما هو كتاب اتفاق، ليس هو كتاب اختلاف، فيلزمنا ذلك». فليست كتب القراءات- إذن- هى نفسها كتب التجويد، و ليست بداية التأليف فيها بداية للتأليف فى علم التجويد، و لكن يبدو أن التأليف فى القراءات كان ممهدا لجمع مسائل التجويد فى كتب مستقلة، على نحو ما سنوضح فى الصفحات التالية.

## المبحث الثانى أبو مزاحم الخاقانى (حياته و قصيدته فى التجويد)

### أولا: حياة أبى مزاحم الخاقانى:

أولا- حياة أبى مزاحم الخاقانى: هو موسى بن عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان «۱»، أبو مزاحم، المشهور بالخاقانى، العالم البغدادى المقرئ. و هو من أسرة اشتغل أكثر من واحد من رجالها فى الوزارة للخلفاء العباسيين، فكان أبوه عبيد اللّه وزيرا للخليفة المتوكل (جعفر بن المعتصم بن الرشيد (_____ ۱) خاقان: اسم لكل ملك من ملوك الترك، قال أبو منصور: و ليس من العربية فى شىء، (ابن منظور: لسان العرب مادة خقن)، و جاء فى هامش معجم الشعراء، للمرزبانى (ص ۲۹۰ هامش ۱). أن اسم (خاقان) جد أبى موسى هو (النضر بن موسى بن أبى الضحى: مسلم بن صبيح، مولى سعيد بن العاص) إ. ه. و أبو الضحى مسلم بن صبيح هو أحد ثقات التابعين، من أهل الكوفة، ترجم له مؤلفو كتب

الطبقات، فذكره ابن سعد (الطبقات ۶/ ۲۸۸)، و ابن أبى حاتم (كتاب الجرح و التعديل ج ۴- ق ۱/ ۱۸۶)، و ابن حجر (تهذيب التهذيب ۱۰/ ۱۳۲). لكن الخطيب البغدادى ذكر أن أبا مزاحم هو مولى لبنى واشح، من الأزد، رهط سليمان بن حرب (تاريخ بغداد ۱۳/ ۵۹). و سليمان من أهل البصرة. كان ثقة فى الحديث، و توفى سنة ۲۲۴ ه، (انظر: تاريخ بغداد ۹/ ۳۳). و ما اطلعت عليه من مصادر تاريخية لا يسعف فى تحقيق ما جاء فى هامش معجم الشعراء، و لا فى توضيح حقيقة ولاء أبى مزاحم أو أصولها القديمة. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۸ ت ۲۴۷ ه) و المعتمد (أحمد بن جعفر المتوكل ت ۲۷۹ ه). و ظل عبيد اللّه فى الوزارة حتى توفّى سنة ۲۶۳ ه «۱». و كذلك اشتغل بالوزارة و مناصب الدولة أخوه أبو على محمد بن عبيد اللّه (ت ۳۱۲ ه)، و ابن أخيه أبو القاسم عبد اللّه بن محمد بن عبيد اللّه (ت ۳۱۴ ه) «۲». ولد أبو مزاحم سنة ۲۴۸ ه، و كان عمره حين وفاة أبيه خمس عشرة سنة تقريبا «۳». و تقلّ الأخبار فى المصادر التاريخية عن نشأته الأولى و أيام شبابه، و هى قليلة كذلك بالنسبة لكثير من تفصيلات جوانب حياته المختلفة. و إذا كانت المشاركة فى الأمور السياسية و الإدارية سببا فى شهرة كثير من أفراد أسرة أبى مزاحم، فإن العلم و الاشتغال به كان السبب فى شهرة أبى مزاحم، فقد اعتزل ما كان فيه أفراد أسرته من جاه السلطان، و اتجه إلى دراسة علوم القرآن و الحديث و اللغة و الأدب، و الاشتغال بتدريسها، فجلب له ذلك الذكر الحسن الجميل بين الناس فى حياته و بعد مماته فى ذى الحجة لإحدى عشرة خلون منه سنة ۳۲۵ ه «۴»، عن عمر ناهز السابعة و السبعين. و قد أجمع من ترجموا لأبى مزاحم على وصفه بالثقة و العلم بالقرآن و الحديث و العربية، مع الديانة و التمسك بالسنة. قال المرزبانى عن أبى مزاحم «۵»: «كان راوية مأمونا على ما رواه من الآثار و الأخبار». و قال أبو عمرو الدانى فى وصفه «۶»: «كان إماما فى قراءة الكسائى، ضابطا

(۱) انظر: الخطيب، تاريخ بغداد ۱۳/ ۵۹، و ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ۷/ ۳۱۰. (۲) نفس الهامش السابق. (۳) المرزبانى، معجم الشعراء ص ۲۹۰، و الخطيب، تاريخ بغداد ۱۳/ ۵۹. (۴) انظر: المصدرين السابقين. (۵) معجم الشعراء ص ۲۹۰. (۶) انظر: ابن الجزرى، غاية النهاية ۲/ ۳۲۱. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۹ لها، قرأ عليه غير واحد من الحذاق، منهم أحمد بن نصر الشذائى، و محمد بن أحمد الشّنبوذى و غيرهما. قال: و كان أبوه و جدّه و زيرين لبنى العباس، و كذلك أخوه أبو على محمد بن عبيد اللّه. و ترك أبو مزاحم الدنيا، و أعمل نفسه فى رواية الحديث، و أقرأ الناس، و تمسك بالسنة. قال: و كان بصيرا بالعربية شاعرا مجودا». و قال الخطيب «۱»: «كان ثقة، ديّنا، من أهل السّنّة». و قال الذهبى يصفه بأنه «۲»: «المقرئ، المحدّث، من أولاد الوزراء ... و كان من جلّة العلماء». و قال عنه أبو الخير بن الجزرى «۳»: «إمام مقرئ مجوّد، محدّث أصيل، ثقة سنّىّ». و كان أبو مزاحم شاعرا مجوّدا، كما وصفه الدانى، و قد ذكره المرزبانى فى «معجم الشعراء»، و يبدو أن له شعرا كثيرا. قال المرزبانى «۴»: «و حبّ معاوية بن أبى سفيان قد غلب عليه، حتى قال فيه أشعارا كثيرة، فدوّنها العامة عنه». و لا شك فى أنه قال شعرا فى غير هذا المعنى من أغراض الشعر، لكنه اجتنب المدح لأجل المنفعة، و اجتنب الهجاء فى شعره. و روى المرزبانى من شعر أبى موسى أربعة أبيات، تدل على نوع الشعر الذى كان يقوله، و هى قوله «۵»:

(۱) تاريخ بغداد ۱۳/ ۵۹. (۲) معرفة القراء ۱/ ۲۱۹. (۳) غاية النهاية ۲/ ۳۲۰. (۴) معجم الشعراء ص ۲۹۱. (۵) المصدر نفسه ص ۲۹۱. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۲۰ الشعر لى أدب أسلو بحكمته و ما سبيلى فيه المادح الهاجى و لست ما صاننى المولى و وفّقنى إلى هجاء و لا مدح بمحتاج و قوله: لعزة العلم يسعى الطالبون له إليه، و العلم لا يسعى إلى أحد و كلّ من لا يصون العلم يظلمه و من يصنه بعدل يهد للرّشد و كان نقش خاتم أبى مزاحم «دن بالسّنن، موسى تعن» «۱» و هى عبارة تدل على تعلق بالشعر، كما تدل على تمسك بالسنة. و مما يدل على تعلق أبى مزاحم بالشعر و تمكنه من العربية أنه حاول استخدام الشعر فى بحث قضايا العلم، فنظم قصيدته الرائية فى حسن أداء القرآن، و نظم قصيدة أخرى فى السّنّة أو الفقهاء، مما سنتحدث عنه بعد قليل، و ربما غلبت على شعر أبى مزاحم الحكمة و النظرة العقلية، كما يتضح من الأبيات القليلة السابقة من شعره. و لعل أبا مزاحم قضى أكثر أيام حياته فى بغداد، و هذا لا يمنع من أن يكون قضى بعض

الوقت فی سامراء، مقر عمل أبیه، أو فی مکـة المکرمـة و المدینة المنورة، حیث یحج المسلمون و یجاورون أیاما و شـهورا، و قد جاء فی بعض المصادر أن أبا بکر محمـد بن الحسین الآجری کان یروی قصیدة أسـتاذه أبی مزاحم فی حسن أداء القرآن فی مکة «۲». و لعله أمّ بلـدانا أخری لم یرد لهـا فی المصـادر التی اطلعت علیهـا ذکر. و کان أبو مزاحم الخاقانی من طبقـة الحفاظ أبی بکر أحمـد بن موسی بن (_____ ۱) المصدر نفسه ص ۲۹۱، و الخطیب، تاریخ بغداد ۱۳/ ۵۹. (۲) کتاب فی التجویـد، لعلّه لأبی العلاء الهمذانی العطار، ورقة ۵۵ و. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۲۱ العباس بن مجاهد (ت ۳۲۴ ه) قارئ أهل بغداد فی زمانه، المشتهر بتألیفه کتاب «السبعة فی القراءات» «۱». و قد شارک أبو مزاحم ابن مجاهـد فی کثیر من شـیوخه، کما شارکه فی عـدد من تلامـذته. و کان أبو مزاحم قد درس علی ید کثیر من کبار علماء القراءة و الحـدیث فی زمانه، فـذکر الخطیب البغدادی من شیوخه الذین سـمع منهم الحدیث جماعة، هم «۲»: ۱- أبو الفضـل عباس بن محمد الـدوری البغـدادی الحافظ (ت ۲۷۱ ه). ۲- أبو قلابـة عبـد الملک بن محمـد الرقاشـی البصـری الضـریر الحافظ (ت ۲۷۶ ه). ۳- أبو إسـماعیل محمد بن إسماعیل الترمذی السّلمی (ت ۲۸۰ ه). ۴- أبو بکر أحمـد بن علی المروزی (ت ۲۹۲ ه). ۵- أبو جعفر محمد بن غـالب التمتام البصـری نزیل بغـداد (ت ۲۸۳ ه). ۶- أو محمـد الحـارث بن محمـد بن أبی أسامـة البغـدادی (ت ۲۸۲ ه). ۷- أبو عبد الرحمن عبد اللّه بن أحمد بن حنبل البغدادی الحافظ ابن الحافظ (ت ۲۹۰ ه). ۸- عبد اللّه بن أبی سعد الوراق. ۹- إسحاق بن یعقوب العطار. ۱۰- یعقـوب بـن یوسـف المطـوعی. و ذکر ابن الجزری من شـیوخه فی القراءة جماعـة، هم «۳»: ۱- أبـو بکر الحسـن بن عبد الوهـاب البغـدادی الـوراق (_____. ۱) انظر ترجمـة ابن مجاهد عند: ابن الجزری: غایة النهایة ۱/ ۱۳۹. (۲) تاریخ بغداد ۱۳/ ۵۹. (۳) غایة النهایة ۲/ ۳۲۰، و انظر ۱/ ۴۳۹. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۲۲ ۲- أبو الحسن إدریس بن عبـد الکریم البغدادی الحداد (ت ۲۹۲ ه). ۳- أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن عیسی المقرئ. ۴- أبو جعفر محمـد بن فرج الغسانی البغدادی النحوی (ت بعد ۳۰۰ ه). ۵- أبو عبـد اللّه محمد بن یحیی الکسائی الصغیر (ت ۲۸۲ ه). ۶- أبو عبـد اللّه أحمد بن یوسف التغلبی البغدادی. ۷- أبو العباس محمـد بن أحمد بن واصل البغدادی (ت ۲۷۳ ه). و تذکر کتب التراجم جماعة من العلماء الذین أسـهم أبو مزاحم فی تکوین ملکاتهم العلمیة، حین تتلمذوا علیه و أخذوا العلم عنه، فـذکر الخطیب البغـدادی من العلماء الذین رووا عنه جماعة، هم «۱»: ۱- أبو بکر محمـد بن الحسین الآجری، الإمام المحدث القدوة (ت ۳۶۰ ه). ۲- أبو طاهر عبـد الواحـد بن عمر بن أبی هاشم المقرئ (ت ۳۴۹ ه). ۳- أبو حفص عمر بن أحمـد بن شاهین البغدادی (ت ۳۸۵ ه). ۴- المعـافی بن زکریـا بن یحیی (ت ۳۹۰ ه). ۵- أبو عمر محمـد بن العبـاس بن محمـد بن حیویه. ۶- یوسـف بن عمر القواس. و ذکر ابن الجزری جماعة من العلماء أخذوا القراءة عن أبی مزاحم، هم «۲»: ۱- أبو بکر أحمد بن نصر الشذائی البصری (ت ۳۷۳ ه (_____). ۱) تاریـخ بغداد ۱۳/ ۵۹، و قـد وجدت أبا سـعید الحسن بن عبد اللّه السـیرافی (ت ۳۶۸ ه) ینقـل مباشـرة اثنتی عشـرة روایـة عن أبی مزاحم الخاقانی، و ذلک فی کتابه «أخبار النحویین البصـریین» تتعلق ببعض أخبار اللغویین و النحویین المتقدمین، فیقول مثلا: «حدثنا أبو مزاحم موسی بن عبید اللّه قال: حـدثنا ...»، (انظر: أخبار النحویین البصـریین، المطبعـة الکاثولیکیة، بیروت ۱۹۳۶، ص ۴۳ و ۷۹ و ۸۱ و ۸۲). (۲) غایة النهایة ۲/ ۳۲۰، و انظر ۱/ ۱۰۸ و ۱/ ۴۶۲، و الـذهبی: معرفة القراء ۱/ ۲۱۹. أبحاث فی علم التجویـد، ص: ۲۳ ۲- أبو بکر أحمد بن الحسین بن شاذان البغدادی البزاز. ۳- أبو القاسم زیـد بن علی العجلی الکوفی (ت ۳۵۸ ه). ۴- أبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهیم الشـنبوذی (ت ۳۸۸ ه). و لا شک فی أن عالما هؤلاء تلامـذته و أولئک أساتذته جدیر بأن ینال المنزلة العالیة التی تحدث عنها من ترجموا له، و إذا کان أبو مزاحم قـد عاش ما یقرب من السبعة و السبعین عاما (۲۴۸- ۳۲۵ ه)، فإن الاهتمام به و بإنتاجه لا یزال یتجـدد علی ألسنة الدارسـین و أقلام الباحثین، خاصة قصـیدته فی حسن أداء القرآن، التی یشـیر إلیها العلماء علی أنها أول مؤلّف کتب فی علم التجوید، فلنتحدث عن هذه القصیدة، و عما ترکت من أثر فی کتب التجوید، بادئین بتحدید مؤلفات أبی مزاحم.

### ثانیا: مؤلفات أبی مزاحم الخاقانی:

ثانیا: مؤلفات أبی مزاحم الخاقانی: لم یکتب أبو مزاحم کتبا، حسبما عرفت من المصادر، و لکنه نظم قصیدتین موجزتین، فیما کان مشتغلا به من علم القرآن و السنة. فلم تذکر المصادر له سوی هاتین القصیدتین، و لم یعرف له غیرهما، لکن بعض المؤلفین اضطربت عبارتهم فی تحدید مؤلفاته، بما یوهم أن لأبی مزاحم قصائد علمیة غیرهما. قال الذهبی «۱»: «و نظم القصیدة المشهورة فی التجوید فأجاد». و قال ابن الجزری «۲»: «هو أول من صنف فی التجوید، فیما أعلم، و قصیدته الرائیة المشهورة، و شرحها الحافظ أبو عمرو. و قد أخبرنی بها و بقصیدته الأخری فی السنة أبو حفص عمر بن الحسن المراغی بقراءتی علیه ...».

(_____ ۱) معرفة القراء ۱ / ۲۲۰. (۲) غایة النهایة ۲/ ۳۲۱. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۲۴ و هذا یدل علی ما ذکرناه من قبل من أن لأبی مزاحم قصیدتین، واحدة فی التجوید، و الأخری فی السّنّة. لکن حاجی خلیفة ذکر فی کتابه «کشف الظنون» قصیدة أبی مزاحم فی التجوید، فقال «۱»: «و أول من صنف فی التجوید موسی بن عبید اللّه بن یحیی بن خاقان الخاقانی البغدادی المقرئ، المتوفی سنة خمس و عشرین و ثلاثمائة، ذکره ابن الجزری». و قال فی موضع ثان «۲»: «القصیدة الخاقانیة، لموسی بن عبید اللّه بن یحیی الخاقانی أبی مزاحم، فی التجوید شرحها أبو عمرو الدانی، المذکور فی «التیسیر». و قال فی موضع ثالث «۳»: «القصیدة الرائیة فی علم الإنشاء [؟]، لأبی مزاحم موسی بن عبد [؟] اللّه بن خاقان الحالی». و قال أخیرا، و هو یتحدث عن القصیدة النونیة لعلم الدین السخاوی «۴»: «و لأبی مزاحم موسی بن عبد [؟] اللّه بن یحیی الخاقانی المتوفی سنة ۳۲۵ ه قصیدة نونیة فی التجوید، ذکرها السخاوی فی آخر قصیدته، مادحا لها بقوله: و اعلم بأنک جائر فی ظلمها إن قستها بقصیدة الخاقانی کأنه یفضلها علی قصیدة الخاقانی». و یبدو أن ما ذکره حاجی خلیفة ما هو إلا قصیدة أبی مزاحم الرائیة، التی قالها فی حسن أداء القرآن، و لعل حاجی خلیفة لم یطلع علیها فاضطربت عبارته حین ذکرها، فوصفها بالقصیدة الخاقانیة، و الرائیة، و النونیة (_____ ! ۱) کشف الظنون ۱/ ۳۵۴. (۲) المصدر نفسه ۲/ ۱۳۳۷. (۳) المصدر نفسه ۲/ ۱۳۳۹. (۴) المصدر نفسه ۲/ ۱۳۴۸. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۲۵ و قال إسماعیل باشا البغدادی فی کتابه «هدیة العارفین» «۱»: «الخاقانی: موسی بن عبید اللّه بن یحیی الخاقانی، أبو مزاحم، المقرئ، المتوفی سنة ۳۲۵ ه، له القصیدة الخاقانیة فی القراءة، قصیدة فی التجوید». و یبدو أن عبارة إسماعیل باشا الأخیرة قد أوهمت مؤلف «معجم المؤلفین» الأستاذ عمر رضا کحالة، فقال فی ترجمة الخاقانی «۲»: «من آثاره: قصیدة فی التجوید، و القصیدة الخاقانیة فی القراءة». و لا أشک فی أن الصواب فی تحدید مؤلفات أبی مزاحم هو ما ذکره خیر الدین الزرکلی من أن لأبی مزاحم قصیدة فی التجوید، و قصیدة فی الفقهاء «۳». و قد ذکر القصیدتین الأستاذ فؤاد سزکین فی «تاریخ التراث العربی «۴». و ذکر المکتبات التی تحتفظ بنسخ مخطوطة منهما «۵». و الذی یعنینا الحدیث عنه هنا من قصیدتی أبی مزاحم هو القصیدة الرائیة فی التجوید، التی مطلعها:

أقول مقالا معجبا لأولی الحجر و لا فخر إنّ الفخر یدعو إلی الکبر

(_____ ۱) هدیة العارفین ۲/ ۴۷۸. (۲) معجم المؤلفین ۱۳/ ۴۲. (۳) الأعلام ۸/ ۲۷۵. (۴) تاریخ التراث العربی ۱/ ۱۶۵. و انظر: بروکلمان: تاریخ الأدب العربی ۴/ ۵. (۵) قصیدة أبی مزاحم فی الفقهاء، أو فی السنة، أولها: أعوذ بعزة اللّه السلام و قدرته من البدع العظام أبیّن مذهبی فیما أراه إماما فی الحلال و فی الحرام و عدة أبیاتها ثمانیة عشر بیتا، و آخرها: و ما قال الرسول فلا خلاف له یا ربّ فأبلغه سلامی انظر: فهرس المخطوطات العربیة فی المکتبة الملکیة ببرلین، وضع إلفارت ۱/ ۱۹۰. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۲۶

### ثالثا: القصیدة الخاقانیة:

ثالثا: القصيدة الخاقانية: هناك سؤال تلزم الإجابة عليه قبل ذكر نص القصيدة، و هو: هل سمّى أبو مزاحم قصيدته باسم معين؟ لم ينقل أن أبا مزاحم الخاقانى سمّى قصيدته فى التجويد باسم معين، و لذلك فإن الذين يذكرونها ينسبونها إلى أبى مزاحم مرة، أو يصفونها بصفة تتصل بموضوعها مرة أخرى. فحين نقل أبو الحسن على بن جعفر السعيدى (توفى فى حدود ۴۱۰ ه) أبياتا منها، قال: «و قال أبو مزاحم فى قصيدته» «۱»، و حين شرحها أبو عمرو الدانى (ت ۴۴۴ ه) سمى شرحه (شرح قصيدة أبى مزاحم الخاقانى). و قال فى فى المقدمة منها: «التى قالها فى القراء و حسن الأداء» «۲»، و قد ذكر ابن الجزرى هذا الشرح فى ترجمة أبى عمرو الدانى باسم: «كتاب شرح قصيدة الخاقانى فى التجويد» «۳». و عند ما نقل أبو القاسم إبراهيم بن أحمد الخرقى (ت ۳۷۴ ه) قصيدة أبى مزاحم، قال «۴»: «سمعت أبا مزاحم موسى بن عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان الخاقانى، يقول فى حسن أداء القرآن»، و حين ذكرها أبو بكر محمد بن خير الإشبيلى (ت ۵۷۵ ه) فى فهرسته سمّاها «قصيدة أبى مزاحم موسى بن عبيد اللّه الخاقانى، رحمه اللّه، فى وصف القراءة و القراء» «۵» (_____). ۱) التنبيه ورقة ۶۸ و. (۲) شرح قصيدة أبى مزاحم ورقة ۱۲۷ و. (۳) غاية النهاية ۱/ ۵۰۵. (۴) انظر كتاب التجويد لعلّه لأبى العلاء الهمذانى العطار، ورقة ۱۵۶ و. (۵) فهرست ما رواه عن شيوخه ابن خير ص ۷۲. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۲۷ و ذكرها بعض مصنفى كتب التراجم باسم «القصيدة الخاقانية» «۱». و ذكرها آخرون باسم «قصيدة فى التجويد» «۲». فتسمية القصيدة بالخاقانية ترجع- إذن- إلى اسم مؤلفها أبى مزاحم الخاقانى، و تسميتها: قصيدة فى التجويد، أو فى وصف القراءة و القراء، أو فى حسن أداء القرآن، ترجع إلى موضوعها الذى تتحدث عنه. و تتألف القصيدة الخاقانية من واحد و خمسين بيتا، نظمت فى بحر الطويل «۳»، و قد اعتمدت فى تحقيق نصها على نسختين: الأولى ناقصة، تتضمن واحدا و ثلاثين بيتا منها فقط، و هى شرح الدانى للقصيدة الخاقانية. و الثانية نسخة كاملة، محفوظة فى مكتبة الجامع الأزهر «۴»، و هذا هو نص القصيدة «۵»: (_____). ۱) حاجى خليفة: كشف الظنون ۲/ ۱۳۳۷، و إسماعيل باشا: هدية العارفين ۲/ ۴۷۸. (۲) إسماعيل باشا: هدية العارفين ۲/ ۴۷۸، و عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ۱۳/ ۲۴۲، و الزركلى: الأعلام ۸/ ۲۷۵، و فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربى ۱/ ۱۶۵. (۳) جاء فى فهرس المخطوطات العربية فى المكتبة الملكية ببرلين (۱/ ۱۸۹): إن الخاقانى ألحق بقصيدته خمسة أبيات أخرى، من بحر الكامل، منها قوله: أبياتها أحد و خمسون اعتلت فوق القصائد فهى للخاقانى (۴) النسخة التى اعتمدنا عليها فى شرح القصيدة الخاقانية للدانى هى المحفوظة فى مكتبة جستربتى برقم (۳۶۵۳/ ۱۰) و قد حصلت على نسخة مصورة منها، و رمزت لها بحرف س. أما النسخة الأخرى فهى ضمن مجموع (ورقة ۳۱- ۳۶)، و محفوظة فى المكتبة الأزهرية تحت رقم [۱۹۲] ۱۶۲۳۰ و قد حصلت منها على نسختين منقولتين باليد، قام بنسخ كل واحدة منها بعض الإخوة، فجاءت النسختان متطابقتين، بحمد اللّه، و هو ما يزيد ثقتنا بصحة النقل من تلك النسخة، فجزى اللّه الأخوين الكريمين خيرا، و قد رمزت لها بحرف ه. (۵) لم أحاول التعليق على نص القصيدة إلا بما يتعلق بإقامة النص، اعتمادا على وضوح عبارتها و خشية من الإطالة، عسى أن تتاح فرصة أخرى تتسع لتحليل القصيدة و بيان طريقة بنائها، و ما تضمنت من موضوعات. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۲۸ ۱- أقول مقالا معجبا لأولى الحجر و لا فخر إنّ الفخر يدعو إلى الكبر ۲- أعلّم فى القول التلاوة عائذا بمولاى من شرّ المباهاة و الفخر «۱» ۳- و أسأله عونى علم ما نويته و حفظى فى دينى إلى منتهى عمرى ۴- و أسأله عنى التجاوز فى غد فما زال ذا عفو جميل و ذا غفر ۵- أيا قارئ القرآن أحسن أداءه يضاعف لك اللّه الجزيل من الأجر ۶- فما كلّ من يتلو الكتاب يقيمه و لا كلّ من فى الناس يقرئهم مقرى ۷- و إنّ لنا أخذ القراءة سنّة عن الأوّلين المقرئين ذوى السّبر «۲» ۸- فللسبعة القراء حقّ على الورى لإقرائهم قرآن ربّهم للوتر (_____ ۱) س (الفجر) ه (الفخر) و جاءت الكلمة فى البيت الذى ورد فى فهرس المكتبة الملكية ببرلين (۱/ ۱۸۹) كما فى ه. (۲) س (الستر)، ه (السبر). و قد جاء البيت السابع قبل السادس فى ه. و فى كتاب التجويد الذى رجحنا أنه لأبى العلاء الهمذانى (ورقة ۵۵ و) جاء ترتيب الأبيات كما فى س.

أبحاث فی علم التجوید، ص: ۲۹ ۹- فبالحرمین ابن الکثیر و نافع و بالبصرة ابن العلاء أبو عمرو «۱» ۱۰- و بالشام عبد اللّه و هو ابن عامر و عاصم الکوفیّ و هو أبو بکر ۱۱- و حمزة أیضا و الکسائیّ بعده أخو الحذق بالقرآن و النحو و الشّعر «۲» ۱۲- فذو الحذق معط للحروف حقوقها إذا رتّل القرآن أو کان ذا حدر ۱۳- و ترتیلنا القرآن أفضل للذی أمرنا به من مکثنا فیه و الفکر «۳» ۱۴- و أمّا حدرنا درسنا فمرخّص لنا فیه إذ دین العباد إلی الیسر «۴» ۱۵- ألا فاحفظوا وصفی لکم ما اختصرته لیدریه من لم یکن منکم یدری

(_____ ۱) س (ابن الکثیر)، ه (ابن کثیر). و الأول هو الذی یناسب الوزن. (۲) س (أخو)، ه (حوی). (۳) س ه (مکثنا) و فی المفید شرح عمدة المجید لابن أم قاسم (ورقة ۱۱۷ و) جاءت الکلمة فی البیت الذی نقله المؤلف (لبثنا). (۴) تقدم البیت الرابع عشر علی الثالث عشر فی (ه) و جاء ترتیب الأبیات کما أثبتناه فی (س) فی کتاب المفید شرح عمدة المجید لابن أم قاسم (ورقة ۱۱۷ و). أبحاث فی علم التجوید، ص: ۳۰ ۱۶- ففی شربة لو کان علمی سقیتکم و لم أخف عنکم ذلک العلم بالذّخر «۱» ۱۷- فقد قلت فی حسن الأداء قصیدة رجوت إلا هی أن یحطّ بها وزری ۱۸- و أبیاتها خمسون بیتا و واحد تنظّم بیتا بعد بیت علی الإثر ۱۹- و باللّه توفیقی و أجری علیه فی إقامتنا إعراب آیاته الزّهر ۲۰- و من یقم القرآن کالقدح فلیکن مطیعا لأمر اللّه فی السّر و الجهر ۲۱- ألا اعلم أخی أنّ الفصاحة زیّنت تلاوة تال أدمن الدّرس للذّکر «۲» ۲۲- إذا ما تلا التالی أرقّ لسانه و أذهب بالإدمان عنه أذی الصّدر ۲۳- فأوّل علم الذکر إتقان حفظه و معرفة باللحن من فیک إذ یجری «۳» (_____ ۱) س (بالذخر)، ه (بالدخر). (۲) کذا فی (س) و فی (ه). ألا فاعلمن أن التلاوة زینت. (۳) (س) و فی شرح الواضحة لابن أم قاسم (ورقة ۷۹ و): و معرفة باللحن من فیک إذ یجری، و فی (ه): و معرفة باللحن منه إذا یجری. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۳۱ ۲۴- فکن عارفا باللّحن کیما تزیله فما للذی لا یعرف اللّحن من عذر «۱» ۲۵- فإن أنت حقّقت القراءة فاحذر الز زیادة فیها و اسأل العون ذا القهر «۲» ۲۶- زن الحرف لا تخرجه عن حدّ وزنه فوزن حروف الذکر من أفضل البرّ «۳» ۲۷- و حکمک بالتحقیق إن کنت آخذا علی أحد أن لا تزید علی عشر «۴» ۲۸- فبیّن إذن ما ینبغی أن تبینه و أدغم و أخف الحرف فی غیر ما عسر ۲۹- و إنّ الذی تخفیه لیس بمدغم و بینهما فرق ففرّقه بالیسر ۳۰- و قل إنّ تسکین الحروف بجزمها و تحریکها بالرّفع و النّصب و الجرّ

_____ و فی مقدمة فی الوقف و الابتداء لأبی الأصبغ السمانی (ورقة ۱۳۸ ظ): و معرفة باللحن فیه إذا یجری. (۱) س و مقدمة فی الوقف و الابتداء لأبی الأصبغ السمانی (ورقة ۱۳۸ ظ) (فما) ه و ما. (۲) کذا فی (س)، و فی ه: و إن خفیت عنک القراءة فاحذر ... (۳) س (أفضل)، ه (أعظم). (۴) س (علی أحد)، ه (علی أخذ). أبحاث فی علم التجوید، ص: ۳۲ ۳۱- فحرّک و سکّن و اقطعن تارة وصل و مکّن و میّز بین مدّک و القصر ۳۲- و ما المدّ إلا فی ثلاثة أحرف تسمّی حروف اللین باح بها ذکری ۳۳- هی الألف المعروف فیها سکونها و واو و یاء یسکنان معا فادر ۳۴- و خفّف و ثقّل و اشدد الفکّ مذ أتی و لا تفرطن فی الفتح و الضم و الکسر ۳۵- و ما کان مهموزا فکن هامزا له و لا تهمزن ما کان لحنا لدی النّبر ۳۶- فإن یک قبل الیاء و الواو فتحة و بعدهما همز همزت علی قدر «۱» ۳۷- و أرقق بیان الراء و اللام تندرب لسانک حتی تنظم القول کالدّرّ ۳۸- و أنعم بیان العین و الهاء کلّما درست و کن فی الدرس معتدل الأمر ۳۹- وقف عند إتمام الکلام موافقا لمصحفنا المتلوّ فی البرّ و البحر (_____ ۱) ه (فإن یک) و فی التنبیه لأبی الحسن السعیدی، ورقة ۶۸ و (فإن تک). أبحاث فی علم التجوید، ص: ۳۳ ۴۰- و لا تدغمنّ المیم إن جئت بعدها بحرف سواها و اقبل العلم بالشّکر «۱» ۴۱- و ضمّک قبل الواو کن مشبعا له کما أشبعوا (إیاک نعبد) فی المرّ ۴۲- و إن حرف لین کان من قبل ساکن کآخر ما فی الحمد فامدده و استجر ۴۳- مددت لأنّ الساکنین تلاقیا فصارا کتحریک کذا قال ذو الخبر ۴۴- و أسمی حروفا ستّة لتخصّها بإظهار نون قبلها [...] الدّهر «۲» ۴۵- فحاء و خاء ثمّ هاء و همزة و عین و غین لیس قولی بالنّکر ۴۶- فهذی حروف الحلق یخفی بیانها فدونک بیّنها و لا تعصین أمری «۳»

(_____ ۱) ه، و فی کتاب التجوید، الذی رجحنا أنه لأبی العلاء الهمذانی (ورقة ۱۵۶ ظ) (و لا)، و فی التنبیه لأبی الحسن السعیدی (ورقة ۶۸ و) (فلا). (۲) ی الأصل (ه) کلمة غیر واضحة هکذا رسمت (ایمدا الدهر) و لعلها (أی مدی الدهر)، أو (أبد الدهر). (۳) فی هامش ه) فدونک اظهرها). أبحاث فی علم التجوید، ص: ۳۴ ۴۷- و لا تشدد النون التی یظهرونها کقولک (من خیل) لدی سورة الحشر ۴۸- و إظهارک التنوین فهو قیاسها فنبّه علیها فزت بالکاعب البکر ۴۹- و قد بقیت أشیاء بعد لطیفة یبیّنها راعی التّعلّم بالصّبر ۵۰- فلابن عبید اللّه موسی علی الذی یعلّمه الخیر الدعاء لدی الفجر ۵۱- أجابک فینا ربّنا و أجابنا [أخی] فیک بالغفران منه و بالنّصر «۱»

## المبحث الثالث تأثیر قصیدة الخاقانی فی جهود اللاحقین

### اشارة

المبحث الثالث تأثیر قصیدة الخاقانی فی جهود اللاحقین تلک هی القصیدة الخاقانیة فی التجوید، أو فی حسن أداء القرآن، لا یعرفها الیوم إلا النفر القلیل جدا من الناس، و لا تکاد توجد إلا فی صفحات مخطوطة مطویة فی ظلمات بعض المکتبات، فهل کانت هذه القصیدة مجهولة عند المتقدمین بهذه الدرجة؟ و هل کان مؤلفها منسیّا إلی هذا الحد؟ إن الإجابة علی هذین السؤالین تقتضی التنقیب فی کثیر من المصادر المؤلفة فی علم التجوید و فی غیره، منذ زمن أبی مزاحم، قرنا بعد قرن، إلی

(_____ ۱) (أخی) لیست فی ه، و لا- یستقیم الوزن بدونها، و قد أثبتها مما جاء فی فهرس المخطوطات العربیة بالمکتبة الملکیة ببرلین (۱/ ۱۸۹). أبحاث فی علم التجوید، ص: ۳۵ وقتنا الحاضر، و هی مهمة لیست یسیرة، لأن أکثر کتب التجوید القدیمة لا یزال مخطوطا، و متناثرا فی مکتبات متباعدة فی أقطار شتی، یصعب الاطلاع علیها. و قد تجمع لدیّ- بفضل اللّه تعالی- عدد من تلک الکتب تنفع فی تتبع رحلة القصیدة الخاقانیة، عبر الأزمان و البلدان، بشکل محدود، و علی هذا النحو:

### ۱- قصیدة أبی الحسین الملطی (ت ۳۷۷ ه) فی معارضة قصیدة الخاقانی:

۱- قصیدة أبی الحسین الملطی (ت ۳۷۷ ه) فی معارضة قصیدة الخاقانی: لما ذاعت قصیدة أبی مزاحم فی التجوید فی البلدان، و تناقلتها الرکبان، و اتجهت من بغداد شرقا و غربا، حفظها الدارسون، و شرحها العلماء، و استشهد بها المؤلفون، فکانت تلک القصیدة ذات تأثیرات متنوعة فی دراسات علماء السلف، فی القراءة و علم التجوید. و حین بلغت هذه القصیدة أبا الحسین محمد بن أحمد الملطی، نزیل عسقلان «۱»، عارضها بقصیدة مماثلة، ذکرها أبو بکر بن خیر الإشبیلی فی فهرسته. فقال «۲»: «قصیدة أبی الحسین محمد بن أحمد الملطی فی معارضة قصیدة أبی مزاحم الخاقان، رحمهما اللّه، حدثنی بها الشیخ أبو الحسن علی بن محمد بن هذیل، رحمه اللّه، إجازة، عن ربیبه المقرئ أبی داود سلیمان بن نجاح. قال: أنشدنا شیخنا أبو عمرو بن عثمان بن سعید، رحمه اللّه، قال: أنشدنی أبو مروان عبید اللّه بن سلمة بن حزم المکتب، لفظا من کتابه، و منه تعلمت عامة القرآن، قال: أنشدنا أبو الحسین محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطی، بعسقلان، لنفسه، معارضا لأبی مزاحم الخاقانی، لما بلغه قوله فی القراء. قال أبو عمرو: أنشدنیها أیضا، لفظا، أبو محمد إسماعیل بن رجاء بن سعید العسقلانی، قال: أنشدنی إملاء أبو الحسن، رحمه اللّه:

(_____ ۱) انظر ترجمته: ابن الجزری: غایة النهایة ۲/ ۶۷. (۲) فهرسة ما رواه عن شیوخه ابن خیر ص ۷۳- ۷۴. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۳۶ أقول لأهل اللّبّ و الفضل و الحجر مقال مرید للثواب و للأجر إلی آخرها. و هی تسعة و خمسون بیتا، و زاد فیها الحافظ أبو عمرو بیتا واحدا، تکملة ستین بیتا». و

قد نقل أبو الخير ابن الجزرى من هذه القصيدة أربعة أبيات من أولها، بسند ينتهى إلى أبى عمرو الدانى، ثم إلى المؤلف، و هى «۱»: أقول لأهل اللّب و الفضل و الحجر مقال مريد للثواب و للأجر و أسأل ربّى عفوه و عطاءه و طرد دواعى العجب عنّى و الكبر و أدعوه خوفا راغبا بتذلّل ليغفر لى ما كان من سيّئ الأمر و أسأله عونا كما هو أهله أعوذ به من آفة القول و الفخر

## ۲- قصيدة محمد بن أحمد العجلى فى معارضة قصيدة الخاقانى أيضا:

۲- قصيدة محمد بن أحمد العجلى فى معارضة قصيدة الخاقانى أيضا: العجلى هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن يعقوب بن على أبو عبد اللّه و يقال أبو على العجلى اللالكائى المقرئ، شيخ متصدر، قال عنه ابن الجزرى «۲»: «صاحب تلك القصيدة الرائية، عارض بها قصيدة أبى مزاحم الخاقانى، رواها عنه الأهوازى [أبو على الحسن بن على المتوفى سنة ۴۴۶ ه بدمشق]، فى البطائح سنة ست و ثمانين و ثلاثمائة، أولها (_____: ۱) غاية النهاية ۲/ ۶۷. (۲) غاية النهاية ۲/ ۸۵- ۸۶. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۳۷ لك الحمد يا ذا المنّ و الجود و البرّ كما أنت أهل للمحامد و الشّكر فهذا مقالى واضحا و بيانه شبيها بما قد شاع فى كلّ ما مصر عنيت به قول ابن خاقان منشدا أقول مقالا معجبا لأولى الحجر و أبياتها زادت زيادة مرجع على مائة خمسا تزيد على عشر

## ۳- كتاب «التنبيه على اللحن الجلى و اللحن الخفى»:

۳- كتاب «التنبيه على اللحن الجلى و اللحن الخفى»: تأليف أبى الحسن على بن جعفر بن محمد السعيدى الرازى المتوفى فى حدود سنة ۴۱۰ ه. نقل مؤلف هذا الكتاب بيتا من قصيدة أبى مزاحم، و هو يتحدث عن إخفاء الميم عند الفاء، حيث يقول (۴ ب): «و قال أبو مزاحم فى قصيدته بيتا، و هو فى معنى ذلك، هو: فلا تدغمنّ الميم إن جئت بعدها بحرف سواها، و اقبل العلم بالشكر» و نقل أبو الحسن السعيدى بيتا آخر من القصيدة الخاقانية، و هو يتحدث عن الهمزة إذا كان قبلها ياء أو واو، فقال «۱»: «و قد قال أبو مزاحم الخاقانى فى قصيدته بيتا فى هذا المعنى و هو: (_____ ۱) كتاب التنبيه ورقة ۶۸ و. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۳۸ و إن تك قبل الواو و الياء فتحة و بعدهما همز همزت على قدر «۱»

## ۴- كتاب شرح قصيدة أبى مزاحم الخاقانى:

۴- كتاب شرح قصيدة أبى مزاحم الخاقانى: تأليف أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى المتوفى سنة ۴۴۴ ه: توجد من هذا الكتاب نسخة ناقصة، من آخرها، محفوظة فى مكتبة جستربتى (رقم ۳۶۵۳/ ۱۰). و لم نطلع على غيرها «۲». و من المناسب نقل مقدمة المؤلف، ففيها بيان لأهمية القصيدة عند أهل ذلك الزمان، و توضيح لمنزلة أبى مزاحم فى نفوسهم. قال أبو عمرو الدانى، بعد حمد اللّه تعالى و الصلاة على نبيه، صلى اللّه عليه و سلم «۳»: «هذا كتاب قصدنا فيه إلى شرح قصيدة أبى مزاحم موسى بن عبيد اللّه يحيى بن خاقان البغدادى، المعروف بالخاقانى، التى قالها فى القراء و حسن الأداء، و لخّصنا الأصول التى أومأ إليها فيها، و قرّبنا معانيها، و نبّهنا على حقائقها، و دللنا على صحة مراده فيما أمر به و ندب إليه، من استعمال ما يجب استعماله، بالآثار المروية عن الأئمة الماضين، و السنن الواردة عن العلماء المتقدمين، و ذهبنا فى جميع ذلك إلى وجه الاختصار و ترك الإكثار، ليصل الناظرون فيه إلى حقيقة المراد فى قرب، و يحصل للمتناولين حفظه فى يسر، إن شاء اللّه تعالى. و الذى دعانا إلى شرح هذه القصيدة و تلخيص معانيها ما رأيناه من استحسان (_____ ۱) و نقل أبو الحسن السعيدى بيتا ثالثا نسبه إلى أبى مزاحم، و هو أدغم إذا ما قرأت اللام فى الراء و بيّن الميم عند الواو و الفاء (انظر: التنبيه، ورقة ۶۸ و).

و هذا البیت لیس من القصیدة الرائیة، فلعل لأبی مزاحم أبیاتا فی التجوید غیر هذه القصیدة. (۲) هناک نسخة من هذا الشرح فی مکتبة (رضا) فی مدینة رامبور فی الهند، رقمها (۲۷۹). (۳) کتاب شرح قصیدة أبی مزاحم الخاقانی ورقة ۱۲۷ و. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۳۹ العامة و الخاصة لها، و شدة ابتهال أهل القرآن بها، و أخذهم أنفسهم بحفظها، و ما وقفنا علیه من إتقان صنعتها، و حسن بهجتها، و تهذیب ألفاظها، و ظهور معانیها، و سلامتها من العیوب، و وفور حظها من الجودة. مع ما کان فی أبی مزاحم، رحمه اللّه، من المناقب المحمودة، و الأخلاق الشریفة، ظاهر النسک، مشهور الفضل، وافر الحظ من العلم و الدین، حسن الطریقة، سنّیا جماعیّا. فألزمنا أنفسنا لذلک الإبانة عن جلیّها، و تکلفنا البیان عن خفیّها، مع رغبتنا فی تعلیم من جهل ما رسمناه، و ابتغائنا الأجر و الثواب من اللّه- عز و جل- فیما تولیناه، و نحن نستغفر اللّه من زلل کان منا، و من تقصیر لحقنا، و نسأله التوفیق لنا، و السلامة لدیننا، و الهدایة لما فیه رشدنا و خلاصنا، فإنما نحن به و له. ذکر هذه القصیدة: قال أبو عمرو: أنشدنا أبو الفتح فارس بن أحمد بن موسی بن عمران الحمصی (ولد بحمص سنة ۳۳۳ ه، و توفی بمصر سنة ۴۰۱ ه)، و أبو الحسن طاهر بن غلبون الحلبی (ت بمصر سنة ۳۹۹ ه). قالا: أنشدنا جعفر بن محمد الدقاق (توفی بمصر سنة بضع و ثمانین و ثلاثمائة)، قال؛ أنشدنا أبو مزاحم لنفسه: أقول مقالا معجبا لأولی الحجر و لا فخر إنّ الفخر یدعو إلی الکبر» و سلسلة الإسناد التی یروی بها الدانی قصیدة أبی مزاحم، هنا، تبین کیف وصلت هذه القصیدة إلی مصر، ثم غربت حتی عبرت البحر و دخلت بلاد الأندلس، فجعفر بن محمد الدقاق «۱» هو الذی نقل القصیدة من بغداد إلی مصر، حیث أخذها منه شیخا الدانی، الذی نقلها إلی الأندلس حین عاد إلیها بعد رحلته المشرقیة «۲».

(_____ ۱) انظر ترجمته عند ابن الجزری: غایة النهایة ۱/ ۱۹۷. (۲) ذکر محقق کتاب «الرعایة لتجوید القراءة» لمکی بن أبی طالب فی مقدمة التحقیق (انظر ص ۱۳) أن الدانی شرح القصیدة الخاقانیة فی (التیسیر)، و الصواب هو أن الدانی شرحها أبحاث فی علم التجوید، ص: ۴۰

### ۵- مقدمة فی الوقف و الابتداء (تسمی بنظام الأداء).

۵- مقدمة فی الوقف و الابتداء (تسمی بنظام الأداء). تألیف الشیخ أبی الأصبغ عبد العزیز بن علی بن محمد السمانی الأندلسی المعروف بابن الطحان (ت بعد سنة ۵۶۰ ه) «۱»: قال السمانی، بعد أن ذکر بأن القارئ مأمور عند العلماء بإحسان الوقف و الابتداء، حتی یأمن الوقوع فی اللحن «۲»: «و قد قال أبو مزاحم الخاقانی: فأول علم الذّکر إتقان حفظه و معرفة باللحن فیه إذا یجری فکن عارفا باللحن کیما تزیله فما للذی لا یعرف اللحن من عذر»

### ۶- کتاب فی التجوید

۶- کتاب فی التجوید لعلّه لأبی العلاء الحسن بن أحمد الهمذانی العطار، المتوفی سنة ۵۶۹ ه: هذا کتاب من الکتب الجیدة فی علم التجوید، و إن کان مؤلفه غیر مقطوع به، و یترجح لدی أنه أبو العلاء الهمذانی «۳». و الذی یهمنا من أمر هذا الکتاب- _____بکتابه «شرح القصیدة الخاقانیة» الذی نقلنا منه النص السابق. أما کتاب «التیسیر» فهو فی القراءات السبع، و الذی جلب علی محقق الکتاب هذا الخلط هو عبارة حاجی خلیفة فی «کشف الظنون ۲/ ۱۳۳۷» و هی: (القصیدة الخاقانیة ... شرحها أبو عمرو الدانی المذکور فی التیسیر) فقوله (المذکور فی التیسیر) إشارة إلی أن الدانی قد مر ذکره عند ذکر کتاب «التیسیر» لا أن الدانی شرح القصیدة الخاقانیة بکتاب التیسیر. (۱) انظر ترجمته: ابن الجزری: غایة النهایة ۱/ ۳۹۵. (۲) مقدمة فی الوقف و الابتداء ورقة ۱۳۸ و. (۳) هذا الکتاب محفوظ فی مکتبة جستربتی‌بدبلن، تحت رقم (۳۹۵۴) باسم (التمهید فی التجوید)، لأبی بکر جعفر بن محمد المستغفری (ت ۴۳۲ ه)، و قد حصلت علی نسخة أبحاث فی علم التجوید، ص: ۴۱ هنا- هو ما ورد فیه من أمور تتصل بقصیدة أبی مزاحم، فقد نقل مؤلفه أبیاتا منها فی موضعین، بالسند الکامل إلی

ناظمها. قال المؤلف «۱»: «أخبرنا أبو القاسم على بن أحمد بن محمد بن بيان الرزاز، أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد اللّه بن بشران المعدل، قال: أنشدنا أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد اللّه الآجرى (ت ۳۶۰ ه). قال: قال أبو مزاحم الخاقانى. و أخبرنا أبو غالب أحمد بن عبيد اللّه بن محمد النهرى، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن عثمان بن عمران السواق، أخبرنا أبو القاسم إبراهيم بن أحمد بن جعفر الخرقى (ت ۳۷۴ ه). قال: سمعت أبا مزاحم موسى بن عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان الخاقانى يقول، فى حسن أداء القرآن. و أخبرنا أبو غالب أحمد بن عبيد اللّه المقرئ، أخبرنا أبو على الحسن بن غالب الحربى، قال: أنشدنا أبو القاسم إدريس بن على المؤدب (ت ۳۹۳ ه) قال: أنشدنا أبو مزاحم الخاقانى. فذكروا القصيدة كلها، و فيها:

مصورة منه، فوجدت أن ورقة أو أكثر

سقطت من أوله فذهبت باسمه و اسم مؤلفه، و أن ضررا لحق الورقة الأخيرة فمحا اسم الكتاب أيضا. و لا أدرى كيف توصل الذى وضع فهرس مخطوطات المكتبة إلى اسم الكتاب و مؤلفه. و قد وجدت من تتبع أسماء شيوخ الذى يروى عنهم المؤلف أنهم ليس لهم علاقة بالمستغفرى، لأنهم عاشوا بعده، و وجدت أن أكثرهم من شيوخ أبى العلاء الهمذانى العطار، فلعل الكتاب له، لا سيما أن ابن الجزرى يذكر لأبى العلاء كتابا فى التجويد (غاية النهاية ۱/ ۲۰۴) و أرجو أن يجرى التحقق من هذه القضية فى المستقبل. أما الآن فأعتقد أن الكتاب لا يمكن أن ينسب إلى المستغفرى على الأقل [و قد تحققت نسبة الكتاب إلى العطار و الحمد للّه، و قد طبع فى دار عمار فى عمان]. (۱) كتاب فى التجويد، ورقة ۱۵۶ و- ۱۵۶ ظ. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۴۲ و لا تدغمنّ الميم إن جئت بعدها بحرف سواها، و اقبل العلم بالشّكر و فى الموضع الآخر نقل مؤلف الكتاب بيتين من قصيدة أبى مزاحم، بنفس الأسانيد الثلاثة، مع اختلاف يسير جدا فى بعض الألفاظ، و البيتان هما «۱»: أيا قارئ القرآن أحسن أداءه يضاعف لك اللّه الجزيل من الأجر فما كلّ من يتلو الكتاب يقيمه و ما كلّ من فى الناس يقرئهم مقرى

## ۷- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة فى ضروب العلم و أنواع المعارف، الشيخ أبو بكر محمد بن خير الأموى الإشبيلى (۵۰۲- ۵۷۵ ه):

۷- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة فى ضروب العلم و أنواع المعارف، الشيخ أبو بكر محمد بن خير الأموى الإشبيلى (۵۰۲- ۵۷۵ ه): ذكر أبو بكر محمد بن خير فى فهرسته قصيدة أبى مزاحم فى التجويد، و قصيدته الأخرى التى نظمها فى الفقهاء. و ذكر أيضا شرح قصيدة أبى مزاحم فى التجويد لأبى عمرو الدانى، و ذكر إلى جانب ذلك قصيدة أبى الحسين محمد بن أحمد الملطى فى معارضة قصيدة أبى مزاحم، التى ذكرناها قبل قليل. قال أبو بكر محمد بن خير فى روايته لقصيدة أبى مزاحم فى التجويد «۲»: «قصيدة أبى مزاحم موسى بن عبيد اللّه الخاقانى رحمه اللّه، فى وصف القراءة و القراء. حدثنى بها الشيخ أبو الحسن عباد بن سرحان المعافرى، سماعا عليه. قال: أنشدنا الشيخ الصالح أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الطبرى، بالجانب الغربى من بغداد، بالكرخ منها، قال: أنشدنا أبو الحسن عمر بن عبد الواحد بن

(۱) المصدر نفسه ورقة ۵۵ و. (۲) فهرسة ما رواه عن شيوخه ابن خير ص ۷۲- ۷۳. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۴۳ محمد بن جعفر، المعروف بابن العدل، قال: أنشدنا أبو عمر محمد بن العباس ابن محمد بن حيويه. قال: أنشدنا أبو مزاحم الخاقانى، رحمه اللّه. و حدثنى بها الشيخ أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن أبى البحر، رحمه اللّه، مناولة منه لى، و أبو الحسن على بن محمد بن هذيل، رحمه اللّه، إجازة فيما كتب به إلىّ. قالا: حدثنا المقرئ أبو داود سليمان بن نجاح، رحمه اللّه، عن أبى عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الدانى الحافظ، قال أنشدناها شيخانا: أبو الفتح فارس ابن أحمد بن موسى، و أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم، المقرئان. قالا: أنشدنا جعفر بن محمد الدقاق. قال أبو عمرو المقرئ: و أنشدنى أيضا أبو عبد اللّه محمد بن عبد الواحد البغدادى. قال: أنشدنا أبو الفرج محمد بن إبراهيم الشّنبوذى، قال: أنشدنا أبو مزاحم

الخاقانی لنفسه». و بعد ذلک مباشرة قال أبو بکر بن خیر عن قصیدة أبی مزاحم فی الفقهاء «۱»: «و بهذا السند أیضا أروی قصیدة أبی مزاحم الخاقانی المذکور، فی الفقهاء، سماعا علی ابن سرحان، و إجازة من أبی الحسن بن هذیل، و من أبی الأصبغ بن أبی البحر، المذکورین بالسند المتقدم».

## ۸- عمدة المجید و عدة المفید فی معرفة التجوید «۲».

۸- عمدة المجید و عدة المفید فی معرفة التجوید «۲». لأبی الحسن علی بن محمد بن عبد الصمد، علم الدین السخاوی، المتوفی سنة ۶۴۳ ه: عمدة المجید قصیدة نظمها علم الدین السخاوی فی علم التجوید و مطلعها «۳»:

(_____ ۱) المصدر نفسه ص ۷۳. (۲) وردت فی بعض المصادر باسم (عمدة المفید و عدة المجید فی معرفة التجوید). (۳) جمال القراء ورقة ۱۹۵ ظ. و انظر القصیدة فی آخر المخطوط رقم ۹۴۱۴ فی مکتبة المتحف العراقی. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۴۴ یا من یروم تلاوة القرآن و یرود شأو أئمة الإتقان لا تحسب التجوید مدّا مفرطا أو مدّ ما لا مدّ فیه لوان و قد أشار علم الدین فی قصیدته هذه إلی القصیدة الخاقانیة، بقوله فی آخرها «۱»: أبرزتها حسنا، نظم عقودها درّ، فصل درّها بجمان فانظر إلیها وامقا متدبّر فیها فقد فاقت بحسن بیان و اعلم بأنک جائر فی ظلمها إن قستها بقصیدة الخاقانی قال شارح عمدة المجید «۲»: «و الغرض من هذه الأبیات التنبیه علی ما تحلّت به هذه القصیدة من نظم بدیع، و معنی رفیع، فلذلک فاقت بحسن المعانی، و أنفت من أن تقاس بقصیدة الخاقانی، فتغمد اللّه الناظمین برحمته و أسکنهما فسیح جنته، فلقد کانا من العلماء الأعلام، و کل منهما فی علوم القرآن إمام، و علی أن کلیهما بحر زاخر، فکم ترک الأول للآخر». و لسنا هنا بصدد المقارنة بین رائیة الخاقانی، و نونیة السخاوی، و لکن نشیر إلی أنه لا یضیر قصیدة أبی مزاحم شیئا أن تکون قصیدة علم الدین أغزر مادة منها أو أحسن ترتیبا، فتلک باکورة کتب التجوید، و هذه کتبت بعدها بثلاثة قرون تقریبا، حیث ظهرت خلال هذه الفترة أکبر کتب علم التجوید و أشهرها. علی أنه مما ینبغی ذکره هنا هو أن علم الدین السخاوی استخدم قصیدة أبی مزاحم فی الباب الذی عقده فی کتابه الکبیر «جمال القراء و کمال الإقراء»،

(_____ ۱) جمال القراء ورقة ۱۹۷ و. (۲) ابن أم قاسم: المفید شرح عمدة المجید ورقة ۱۱۸ و. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۴۵ و سماه «منهاج التوفیق إلی معرفة التجوید و التحقیق»، و ذلک حیث یقول «۱»: «فإن التحقیق هو إعطاء الحرف حقه فی الإسراع و التمکث، أ لا ـ تری إلی قول الخاقانی: فذو الحذق معط للحروف حقوقها إذا رتّل القرآن أو کان ذا حدر»

## ۹- المفید شرح عمدة المجید

۹- المفید شرح عمدة المجید لأبی محمد بدر الدین الحسن بن قاسم بن عبد اللّه المرادی، المعروف بابن أم قاسم، المتوفی سنة ۷۴۹ ه: کتاب المفید هو شرح لقصیدة علم الدین السخاوی التی ذکرت فی الفقرة السابقة، و قد نقل ابن أم قاسم أبیاتا من القصیدة الخاقانیة فی هذا الشرح، فی موضعین: الأول، و هو یتحدث عن تعریف التجوید، و أن التجوید لازم فی جمیع أحوال القراءة، من ترتیل و حدر و توسط، فقال «۲»: «و ربما توهم قوم أن التجوید إنما یکون مع الترتیل، لاعتقادهم أن التجوید إنما هو الإفراط فی المد و إشباع الحرکات و نحو ذلک، مما لا یتأتی مع الحدر، و لیس کما توهموه ... و إلی هذا المعنی أشار الخاقانی بقوله: فذو الحذق معط للحروف حقوقها إذا رتّل القرآن أو کان ذا حدر و الموضع الثانی: قوله، و هو یتحدث عن مراتب التلاوة «۳»: «و إلی تفضیل

(_____ ۱) جمال القراء ورقة ۱۹۱ و. (۲) ابن أم قاسم: المفید ورقة ۱۰۰ ظ. (۳) المصدر نفسه ورقة ۱۷ و. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۴۶ الترتیل أشار الخاقانی بقوله: و ترتیلنا

للقرآن أفضل للذی أمرنا به من لبثنا فیه و الفکر و أمّا حدرنا درسنا فمرخّص لنا فیه إذ دین العباد إلی الیسر»

### ۱۰- شرح الواضحة فی تجوید الفاتحة

۱۰- شرح الواضحة فی تجوید الفاتحة الواضحة قصیدة من نظم برهان الدین إبراهیم بن عمر الجعبری (ت ۷۳۲) و شرحها لابن أم قاسم المرادی (ت ۷۴۹ ه)، المذکور فی الفقرة السابقة. و قد نقل شارح الواضحة بیتین من القصیدة الخاقانیة، و هو یتحدث عن اللحن، حیث یقول «۱»: «و ذکر أبو عمرو الدانی، بإسناده إلی ابن مجاهد، أنه قال: اللحن لحنان: جلیّ و خفیّ. فالجلیّ لحن الإعراب، و الخفیّ ترک إعطاء الحرف حقه من تجوید لفظه، انتهی. فینبغی للقارئ أن یعرف اللحن لیتجنبه، کما أشار إلیه الخاقانی فی قوله: فأول علم الذکر إتقان حفظه و معرفة باللحن من فیک إذ یجری فکن عارفا باللحن کیما تزیله و ما للذی لا یعرف اللحن من عذر» ۱۱- ذکرنا من قبل أن بعض الذین ترجموا لأبی مزاحم ذکروا قصیدته، و إن لم

(۱) شرح الواضحة ۷۹ و. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۴۷ ینقلوا من أبیاتها شیئا، مثل الذهبی، و ابن الجزری، و حاجی خلیفة، و إسماعیل باشا البغدادی، و عمر رضا کحالة، و خیر الدین الزرکلی، و فؤاد سزکین، و نضیف هنا أن فؤاد سزکین أشار إلی أن «بونسکی» کتب عن هذه القصیدة فی تقاریر أکادیمیة لنشای «۱». و قد حاولت الوقوف علی ما کتبه بونسکی عن القصیدة، و لکن لم أظفر بشیء من ذلک إلی الآن.

## المبحث الرابع أول المؤلفات فی علم التجوید بعد القصیدة الخاقانیة

### اشارة

المبحث الرابع أول المؤلفات فی علم التجوید بعد القصیدة الخاقانیة یبدو- بعد ما عرضناه فی المباحث السابقة- أن قول أبی الخیر ابن الجزری عن أبی مزاحم إنه هو «أول من صنّف فی التجوید» «۲» قول صحیح، لکن یغلب أن تکون المحاولة الأولی فی أی مجال بحاجة إلی التتمیم و التوضیح و التفصیل، الذی تتکفل به المحاولات اللاحقة، و هو ما ینطبق علی القصیدة الخاقانیة، بوصفها أول مؤلف مستقل فی علم التجوید، إلی جانب أنها جاءت فی قالب شعری لا یسمح بمناقشة القضایا علی نحو مفصل، و مع ذلک تظل هذه القصیدة رائدة فی مجالها، أصیلة فی موضوعها، سهلة فی أسلوبها، مشتملة علی أصول علم التجوید فی إیجاز و وضوح. و إذا أراد الدارس أن یتجاوز القصیدة الخاقانیة، و یبحث عن أول مؤلف کتب فی التجوید بعدها، فعند أی کتاب سیقف؟ حین رجعت إلی کتاب الفهرست لابن الندیم، المتوفی سنة ۳۸۵ ه، لم أجده یذکر أی کتاب یفهم من عنوانه أنه فی علم التجوید، علی الرغم من أنه ذکر من أنواع الکتب المؤلفة فی أمور تتعلق بالقرآن الکریم عشرین نوعا، و أحصی

(۱) تاریخ التراث العربی ۱/ ۱۶۵. (۲) غایة النهایة ۲/ ۳۲۱. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۴۸ عشرات بل مئات الکتب فی ذلک «۱». فهل یعنی هذا أنه لم یظهر کتاب فی التجوید حتی عصر ابن الندیم سوی القصیدة الخاقانیة؟ ربما کان الأمر کذلک. فإذا انتقلنا إلی السنوات التی تلت الفترة التی عاش بها ابن الندیم، أواخر القرن الرابع و أوائل الخامس، نجد ثلاثة کتب تتنافس علی أن تکون أول کتاب ألّف بعد القصیدة الخاقانیة، و هی: ۱- کتاب التنبیه علی اللحن الجلی و اللحن الخفی- لأبی الحسن علی بن جعفر ابن محمد السعیدی الرازی، المتوفی فی حدود سنة ۴۱۰ ه. ۲- کتاب الرعایة لتجوید القراءة و تحقیق لفظ التلاوة- لأبی محمد مکی بن أبی طالب القیسی، المتوفی سنة ۴۳۷ ه. ۳- کتاب التحدید فی الإتقان و التجوید- لأبی عمرو عثمان بن سعید الدانی، المتوفی سنة ۴۴۴ ه. و هذا عرض موجز للکتب الثلاثة، لبیان منهج تألیفها، و ما یمتاز به کل کتاب منها، من حیث المادة العلمیة و طریقة تناولها لعل ذلک یکون مفیدا فی تصور مرحلة النضج لعلم

التجوید، کما تبدو فی هذه الکتب.

## أولا- کتاب التنبیه علی اللحن الجلی و اللحن الخفی

أولا- کتاب التنبیه علی اللحن الجلی و اللحن الخفی مؤلف هذا الکتاب هو أبو الحسن علی بن جعفر بن سعید السعیدی، الرازی، الحذاء، نزیل شیراز، أستاذ معروف، کان شیخ أهل فارس و مقرئهم. ذکر الذهبی أنه توفی فی حدود الأربعمائة «۲». و قال ابن الجزری: لا أدری متی (_____ ۱) انظر: الفهرست ص ۳۳- ۳۸، و انظر الهامش رقم (۱) فی المبحث الأول. (۲) معرفة القراء ۱/ ۲۹۸. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۴۹ مات، إلا أنه بقی إلی حدود العشر و أربعمائة. ثم قال: «و له مصنف فی القراءات الثمان، و جزء فی التجوید رویناه» «۱». و لعل کتاب «التنبیه» هو ذلک الجزء الذی یشیر إلیه ابن الجزری، فإن موضوعه فی التجوید، و لم یذکر له غیره، و توجد من کتاب التنبیه نسخ مخطوطة کثیرة «۲»، تحمل فی أولها اسم المؤلف. و قد جاء الکتاب باسم «التنبیه فی تجوید القرآن» فی مخطوطة مکتبة الأوقاف فی الموصل «۳». و أرجح أن یکون اسم الکتاب هو «التنبیه علی اللحن الجلی و اللحن الخفی» کما ورد فی المخطوطات الأخری التی اطلعت علیها منه «۴». و کتاب التنبیه رسالة صغیرة، تقع فی أقل من عشر ورقات، و قد بدأها المؤلف- بعد مقدمة موجزة- بالکلام علی اللحن الجلی و اللحن الخفی، ثم تحدث عن کیفیة تجوید ألفاظ سورة الفاتحة کلمة کلمة، و عقد بعد ذلک أربة أبواب قصیرة، تحدث فیها عن کیفیة النطق بالیاء، و الواو، و الیاءین، و الواوین، أعقبها بقوله: «و هذه حروف تحفظ علی القارئ إذا قرأ»، تحدث فیها عن قریب من عشرین صورة نطقیة، ینبغی علی القارئ أن یتحفظ عند النطق بها، خشیة الوقوع فی اللحن، و ختم المؤلف الکتاب ببابین قصیرین، الأول فی (اللفظ بحروف الهجاء)، و الثانی فی (مخارج الحروف) «۵». (_____ ۱) غایة النهایة ۱ / ۵۲۹. (۲) انظر: فؤاد سزکین: تاریخ التراث العربی ۱/ ۱۷۰. (۳) انظر: سالم عبد الرزاق أحمد: فهرس مخطوطات مکتبة الأوقاف العامة فی الموصل ۸/ ۳۳. (۴) انظر مخطوطة مکتبة المتحف العراقی (رقم ۳۷۶۷)، و مخطوطة دار الکتب الظاهریة (رقم ۳۰۹/ ۲۰ القراءات). و جاء الکتاب باسم «مقدمة مختصرة فی التنبیه علی اللحن الخفی» فی نسخة مکتبة جستربتی (رقم ۳۹۲۵/ ۴). (۵) ورد فی آخر نسخة الموصل من کتاب التنبیه، إضافة إلی ذلک، رسالة صغیرة تحدث فیها أبحاث فی علم التجوید، ص: ۵۰ و لا یزال کتاب التنبیه مخطوطا، فیما أعلم «۱»، و لم یکن أمره ذائعا بین المتقدمین من علماء التجوید، و قد أهمل ذکره الذین ألّفوا فی موضوع (اللحن) من المعاصرین «۲». و مهما یکن من أمر فإن کتاب «التنبیه» یرجع إلی نفس الفترة التی یرجع إلیها الکتابان الآخران، لا بل إن مؤلف التنبیه توفی قبل وفاة مؤلفی الکتابین الآخرین بسنین کثیرة. و کان مؤلف التنبیه مشرقیا، أما مکی و الدانی فإنهما أندلسیان، رحمهم اللّه جمیعا.

## ثانیا- کتاب الرعایة لتجوید القراء و تحقیق لفظ التلاوة

ثانیا- کتاب الرعایة لتجوید القراء و تحقیق لفظ التلاوة تألیف أبی محمد مکی بن أبی طالب القیسی، المولود سنة ۳۵۵ ه بالقیروان، و المتوفی بقرطبة سنة ۴۳۷ ه. و مؤلف کتاب الرعایة مشهور جدا بین المشتغلین بالدراسات العربیة و القرآنیة، قال عنه ابن الجزری: «إمام علامة، محقق عارف، أستاذ القراء و المجودین». و ذکر أنه «کان من أهل التبحر فی علوم القرآن و العربیة، حسن الفهم و الخلق، جید الدین و العقل، کثیر التألیف فی علوم القرآن، محسنا، مجودا، عالما بمعانی القراءات» «۳». و یعتبر کتابه الرعایة من أقدم و أهم الکتب المصنفة فی علم التجوید، و قد _____ أبو الحسن السعیدی عن اختلاف القراء فی النطق باللام و النون فی القرآن الکریم. (۱) حقّقت الکتاب و نشر فی مجلة المجمع العلمی العراقی سنة ۱۹۸۵ م، مج ۳۶، ج ۲. و طبع فی دار عمار/ الأردن مع رسالة أخری للسعیدی بعنوان «رسالتان فی التجوید» سنة ۲۰۰۰ م.

(۲) انظر: عبد العزیز مطر: لحن العامة فی ضوء الدراسات اللغویة الحدیثة ص ۶۷- ۶۸. و رمضان عبد التواب، لحن العامة و التطور اللغوی ص ۱۹۷- ۱۹۹. (۳) غایة النهایة ۲/ ۳۰۹. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۵۱ اعتمد علیه أکثر المؤلفین فی هذا العلم بعد مکی، و هو مطبوع «۱»، و نسخه المخطوطة کثیرة. و قد تضمنت مقدمة الکتاب أمورا مهمة، تتعلق بالکتاب، و توضح جانبا من بدایات التألیف فی علم التجوید، قال مکی فی المقدمة «۲»: «و إنی لما رأیت هذه الحکمة البدیعة و القدرة العظیمة فی هذه الحروف، التی نظمت ألفاظ کتاب اللّه- جل ذکره- و وقفت علی تصرفها فی مخارجها و ترتیبها عند خروج الصوت بها، و اختلاف صفاتها و کثرة ألقابها، و رأیت شرح هذا و بیانه متفرقا فی کتب المتقدمین و المتأخرین، غیر مشروح للطالبین، قویت نیتی فی تألیف هذا الکتاب و جمعه فی تفسیر الحروف و مخارجها، و صفاتها و ألقابها، و بیان قویها و ضعیفها، و اتصال بعضها ببعض، و مناسبة بعضها لبعض، و مباینة بعضها لبعض ...». ثم قال «۳»: «و ما علمت أحدا من المتقدمین سبقنی إلی تألیف مثل هذا الکتاب، و لا إلی جمع مثل ما جمعت فیه من صفات الحروف و ألقابها و معانیها، و لا- إلی ما أتبعت فیه کل حرف منها من ألفاظ کتاب اللّه تعالی، و التنبیه علی تجوید لفظه و التحفظ به عند تلاوته. «و لقد تصور فی نفسی تألیف هذا الکتاب و ترتیبه من سنة تسعین و ثلاثمائة، و أخذت نفسی بتعلیق ما یخطر ببالی منه فی ذلک الوقت، ثم ترکته إذ لم أجد معینا فیه، من مؤلف سبقنی بمثله قبلی، ثم قوّی اللّه النیة و حدّد البصیرة فی إتمامه بعد نحو ثلاثین سنة، فسهّل الله أمره، و یسّر جمعه، و أعان علی تألیفه، و عسی أن یکون ذلک سببا لأجر، و سلّما لذخر، جعله اللّه لوجهه خالصا (_____». ۱) طبع فی دمشق سنة ۱۳۹۳ ه- ۱۹۸۳، بتحقیق الدکتور أحمد حسن فرحات، و فی دار عمار/ الأردن عدة طبعات. (۲) الرعایة ص ۴۰- ۴۱. (۳) المصدر نفسه ص ۴۲- ۴۳. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۵۲ و یستخلص من ذلک أمران: الأول: هو تصریح مکی أنه لم یجد کتابا مؤلفا فی علم التجوید علی ذلک النحو المفصل، قبل کتابه. الثانی: هو أن مکیا حاول تألیف الکتاب سنة ۳۹۰ ه، قبل دخول الأندلس بثلاث سنوات «۱»، لکنه ترک المحاولة لعدم تیسر ما یعینه فی ذلک، و لم یعد إلی تألیف الکتاب إلا بعد ثلاثین سنة، أی فی حدود سنة ۴۲۰ ه، و لکنه لم یبین لنا ما استجد لدیه من الأمر ما جعله یشرع بتکمیل الکتاب: هل عثر علی مصادر فی الموضوع فتحت له أبواب البحث، أو توصل هو إلی صورة ما للکتاب فشرع بتکمیله. و الکتاب، بعد المقدمة (ص ۳۹- ۴۴)، یتألف من الأبواب التالیة: - سبعة أبواب فی فضائل القرآن و فضل تلاوته، و فی أخلاق القارئ و المقرئ، و ما ینبغی لهما (ص ۴۵- ۷۱). - ستة أبواب فی معرفة الحروف و الحرکات التی یتألف منها الکلام، و ما زادت العرب فی کلامها علی التسعة و العشرین، و ما یتعلق بذلک (۷۲- ۹۰). - باب فی صفات الحروف و ألقابها و عللها (ص ۹۱- ۱۱۸)، تحدث فیه مکی عن أربعة و أربعین لقبا من ألقاب الحروف. - تسعة و عشرون بابا، لکل حرف من الحروف العربیة باب، علی ترتیب المخارج، (ص ۱۱۹- ۲۱۶)، تحدث مکی فی کل باب عن مخرج الحرف و صفاته، و ما یلحقه أثناء الکلام من تغییر، و ما ینبغی من التحفظ فی نطقه فی بعض التراکیب، مع إیراد الأمثلة من الآیات و الکلمات القرآنیة (_____. ۱) انظر: ابن الجزری: غایة النهایة ۲/ ۳۰۹. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۵۳ - باب الاختلاف فی المخارج (ص ۲۱۷- ۲۱۸). - باب المشددات (ص ۲۱۹- ۲۳۵). - باب أحکام النون الساکنة و التنوین (ص ۲۳۶- ۲۴۳).

### ثالثا- کتاب التحدید فی الإتقان و التجوید ...

ثالثا- کتاب التحدید فی الإتقان و التجوید ... تألیف أبی عمرو عثمان بن سعید الدانی (۳۷۲- ۴۴۴ ه). و أبو عمرو الدانی لا یقل شهرة عن مکی بن أبی طالب، مؤلف الرعایة، فکلاهما علم من أعلام الدراسات القرآنیة و اللغویة و ربما ناف الدانی علی مکی فی بعض الجوانب، و قد وصفه ابن الجزری بأنه: «الإمام، العلامة، الحافظ، أستاذ الأستاذین، و شیخ مشایخ المقرئین» «۱». و کان الدانی ذا علم بالحدیث و طرقه و أسماء رجاله، إلی جانب علمه بالقرآن و الفقه و التفسیر، قال ابن بشکوال عن الدانی «۲»: «کان أحد الأئمة فی

علم القرآن و رواياته و تفسيره و معانيه و طرق إعرابه، و جمع فی معنی ذلک کله تواليف حسانا مفيدة، يکثر تعدادها و يطول إيرادها، و له معرفة بالحديث و طرقه و أسماء رجاله و نقلته». و کان الدانی- إلی جانب ذلک کله- حسن الخط، جيد الضبط، من أهل الحفظ و الذکاء و التفنن، ديّنا فاضلا ورعا سنّيا «۳». و کتاب التحديد لا يزال مخطوطا، فيما عرفت «۴»، و نسخه المخطوطة نادرة، عکس کتاب الرعاية، و قد اضطربت المصادر فی اسم الکتاب، و إن کان

(_____ ۱) غاية النهاية ۱ / ۵۰۳. (۲) ابن بشکوال: کتاب الصلة ۲/ ۳۸۶. (۳) انظر: الذهبی، معرفة القراء ۱/ ۳۲۷. و ابن الجزری، غاية النهاية ۱/ ۵۰۴. (۴) حقّقت الکتاب و نشر فی بغداد سنة ۱۹۸۸ م و الحمد للّه، و طبع فی دار عمار/ الأردن سنة ۲۰۰۰ م. أبحاث فی علم التجويد، ص: ۵۴ أغلبها يذکره باسم «التحديد فی الإتقان و التجويد» و هو الاسم الذی أرجح أن يکون الدانی سمی به کتابه. و قد ذکر الکتاب أبو بکر محمد بن خير الإشبيلی فی فهرسته باسم «کتاب التحديد، فی معرفة التجويد، لتلاوة القرآن» «۱». و ذکره ابن الجزری باسم «کتاب التحديد فی الإتقان و التجويد» فی کتابيه: غاية النهاية فی طبقات القراء «۲»، و التمهيد فی علم التجويد «۳». لکنه ورد باسم «التجريد» فی کتاب «النشر فی القراءات العشر» لابن الجزری أيضا «۴»، و أظنه تصحيفا. و ورد فی کشف الظنون باسم «التحديد فی الإتقان و التجويد» «۵». و سماه عمر رضا کحالة باسم «التحديد فی الإتقان و التجويد» «۶». و ذکر الزرکلی الکتاب باسم «التجديد فی الإتقان و التجويد» «۷». و کذلک ورد فی فهرس المخطوطات المصورة فی معهد المخطوطات العربية «۸». و أرجح أن تکون کلمة (التجديد) تصحيفا لکلمة (التحديد). و قد اطلعت- إلی الآن- علی مخطوطتين للکتاب، أحدهما کاملة، و الأخری ناقصة، أما الأولی فهی النسخة المحفوظة فی مکتبة جار اللّه بترکيا، تحت رقم (۲۳) و المحفوظ منها نسخة مصورة فی کل من مکتبة جامعة القاهرة و معهد المخطوطات العربية، و هی صعبة القراءة، و تقع فی ثلاثين ورقة، ضمن مجموع، و هی التی اعتمدت عليها فی هذا البحث. و أما الثانية فهی النسخة المحفوظة فی (_____ ۱) فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ۴۰. (۲) غاية النهاية ۱/ ۵۰۵. (۳) التمهيد ورقة ۳۱ و. (۴) النشر ۱/ ۲۰۶. (۵) کشف الظنون ۱/ ۳۵۵. (۶) معجم المؤلفين ۶/ ۲۵۵. (۷) الأعلام ۴/ ۳۶۶. (۸) فهرس المخطوطات المصورة ۱/ ۷. أبحاث فی علم التجويد، ص: ۵۵ مکتبة وهبی أفندی بترکيا تحت رقم (۴۰). و قد حصلت منها علی ثلاث ورقات مصورة من أولها. و جاء عنوان الکتاب فی نسخة مکتبة جار اللّه هکذا (کتاب تجويد التلاوة و تحقيق القراءة). و قد وضعت علامة فوق کلمة (تجويد)، و أشير فی الهامش إلی أن صوابها (تجريد) نقلا عن الجعبری و النشر. أما عنوان الکتاب فی نسخة مکتبة وهبی أفندی فقد طمست منه بعض الکلمات، و لکن يمکن أن يقرأ بوضوح علی هذا النحو: (التحديد فی [...] الإتقان و التجويد)، و ربما تکون الکلمة المطموسة (معرفة) أو (صفة). و يترجح لدی أن اسم الکتاب هو «التحديد فی الإتقان و التجويد» و ربما تکون هناک کلمة بعد حرف الجر، يمکن أن تکون (معرفة، أو صفة، أو علم). و قد أشار الدانی إلی عنوان الکتاب فی المقدمة تلميحا، حيث قال: «... أعملت نفسی فی رسم کتاب خفيف المحمل، قريب المأخذ، فی وصف علم الإتقان و التجويد ...» «۱». و تحدث الدانی فی مقدمة الکتاب عن السبب الذی حمله علی تأليف الکتاب، فقال «۲»: «أما بعد، فقد حدانی ما رأيته من إهمال قراء عصرنا و مقرئی دهرنا تجويد التلاوة و تحقيق القراءة، و ترکهم ما ندب اللّه تعالی إليه، و حثّ نبيه صلی اللّه عليه و سلم أمّته عليه، من تلاوة التنزيل بالترسل و الترتيل- أن أعملت نفسی فی رسم کتاب خفيف المحمل، قريب المأخذ فی وصف علم الإتقان و التجويد، و کيفية الترتيل و التحقيق، علی السبيل التی أداها المشيخة من الخلف، عن الأئمة من السلف ...».

(_____ ۱) التحديد ورقة ۸۳ ظ. (۲) المصدر نفسه، و الموضع کذلک. أبحاث فی علم التجويد، ص: ۵۶ و کتاب التحديد، بعد المقدمة (ورقة ۸۳ ظ- ۸۴ و)، مقسم إلی أبواب علی هذا النحو: - باب ذکر البيان عن معنی التجويد و حقيقة الترتيل و التحقيق، و ما جاء من السنن و الآثار فی الحث علی استعمال ذلک و الأخذ به (ورقة ۸۴ ظ- ۸۶ و). - باب فی قراءة التحقيق و تجويد الألفاظ و رياضة الألسن بالحروف (ورقة ۸۶ و- ۸۸ ظ). -

باب ذکر الأخبار الواردة عن أئمة القراء فی استعمال التحقیق (ورقة ۸۸ ظ- ۸۹ و). - باب ذکر الإفصاح عن مذاهب الأئمة فی حد التحقیق و نهایة التجوید و ما جاء عنهم من الکراهة فی التجاوز عن ذلک (ورقة ۸۹ و- ۹۱ و). - باب ذکر البیان عن حقائق الألفاظ و حدود النطق بالحروف (ورقة ۹۱ ظ- ۹۳ ظ) تحدث الدانی فی هذا الباب عن معنی المتحرک، و المسکن، و المختلس، و المرام، و المشم، و المهموز، و المسهّل، و المحقق، و المشدد، و المخفف، و الممدود، و المقصور، و المبیّن، و المدغم، و المخفی، و المفتوح، و الممال. - باب ذکر مخارج الحروف المعجمة و تفصیلها (ورقة ۹۳ ظ- ۹۴ ظ). - باب ذکر أصناف هذه الحروف و صفاتها (ورقة ۹۴ ظ- ۹۶ و) تحدث الدانی فی هذا الباب عن صفات الحروف فبین معنی الحروف المهموسة و المجهورة، و الشدیدة، و الرخوة، و المطبقة، و المنفتحة، و المستعلیة، و المستفلة، و حروف المد و اللین، و حروف الصفیر، و المتفشی، و المستطیل، و المکرر، و الهاوی، و المنحرف، و حرفا الغنة. - باب ذکر أحوال النون الساکنة و التنوین عند جمیع الحروف (ورقة ۹۶ و- ۹۸ و). - باب ذکر الحروف التی یلزم استعمال تجویدها و تعمّل بیانها و تخلیصها لتنفصل بذلک من مشبّهها، علی مخارجها (ورقة ۹۸ و- ۱۱۰ و). و هذا الباب هو أبحاث فی علم التجوید، ص: ۵۷ أطول و أغنی أبواب الکتاب تحدث فیه الدانی عن کل حرف من الحروف التسعة و العشرین فی فصل مستقل، مبینا مخرجه و صفاته، و ما یطرأ علیه فی الترکیب، و ما ینبغی له من التحفظ و التبیین، مع الأمثلة من الآیات القرآنیة. - باب ذکر أحوال الحرکات فی الوقف، و بیان معنی الروم و الإشمام (ورقة ۱۱۰ و- ۱۱۱ و). - باب ذکر الوقف، و بیان أقسامه (ورقة ۱۱۱ و- ۱۱۲ و). و ختم الدانی کتابه بفقرة ضمّنها عبارات الدعاء إلی اللّه عز و جل له و للقارئ ببلوغ مراتب العلماء و منازل الفقهاء، و العصمة من البدع المضلة و الأهواء المهلکة. و إذا کان من المسلّم به أن کتاب «الرعایة» لمکی، و کتاب «التحدید» للدانی، هما من أقدم الکتب التی ألّفت فی علم التجوید، فإنه من غیر المعروف- الآن- أیهما أسبق من الآخر فی التألیف، ففی الوقت الذی نعرف فیه أن مکیا أکمل کتابه فی حدود سنة ۴۲۰ ه فإننا لا نعلم بالضبط السنة التی انتهی فیها الدانی من تألیف کتابه. و هناک طریقة واحدة لعلها تؤدی إلی معرفة السابق من الکتابین فی اکتمال التألیف، و هی الدراسة الفاحصة لمنهج الکتابین، و مقارنة الأسلوب و النصوص و الأقوال فیهما، لنعرف أیهما قلّد صاحبه أو نقل عنه، إذا صح ما نتصوره من احتمال أن یکون أحدهما استفاد من جهد الآخر فی هذا المجال، لا سیما أنهما أقاما فی الأندلس فی فترة متقاربة. أما منهج الکتابین و طریقة ترتیب الموضوعات فیهما فالکتابان متقاربان فی ذلک، و إن کان الناظر فیهما یلمح أحیانا اختلافا فی تناول بعض الموضوعات، و أما أسلوب معالجة الموضوعات فالکتابان یختلفان فی ذلک اختلافا یدرکه کل من قرأ لهذین العالمین الجلیلین فی کتابی «الرعایة» و «التحدید» أو فی غیرهما من الکتب التی ألفاها. و لست هنا بصدد عقد مقارنة بین الکتابین فی ما امتازا به، أبحاث فی علم التجوید، ص: ۵۸ و ما اتفقا علیه او اختلفا فیه، لأن ذلک جدیر ببحث مستقل، و لکن هناک قضیة تتصل بما نحن فیه من محاولة تحدید السابق من الکتابین فی التألیف، فقد عثرت علی فقرة وردت فی کلا الکتابین، و بینما یعزوها الدانی لنفسه ینسبها مکی إلی غیره. جاء فی مقدمة کتاب «التحدید» للدانی هذا النص «۱»: «قال أبو عمرو، رحمه اللّه: و قراء القرآن متفاضلون فی العلم بالتجوید و المعرفة بالتحقیق، فمنهم من یعلم ذلک قیاسا و تمییزا، و هو الحاذق النبیه، و منهم من یعلمه سماعا و تقلیدا و هو الغبی الفهیه. و العلم فطنة و درایة آکد منه سماعا و روایة. فللدرایة ضبطها و نظمها، و للروایة نقلها و تعلمها، و الفضل بید اللّه یؤتیه من یشاء، و اللّه ذو الفضل العظیم». و ورد فی کتاب «الرعایة» فی باب (صفة من یجب أن یقرأ علیه و ینقل عنه) هذا النص «۲»: «و قد وصف من تقدمنا من المقرئین، القراء، فقال: القراء یتفاضلون فی العلم بالتجوید، فمنهم من یعلمه روایة و قیاسا و تمییزا، فذلک الحاذق الفطن، و منهم من یعرفه سماعا و تقلیدا، فذلک الوهن الضعیف، لا یلبث أن یشک و یدخله التحریف و التصحیف، إذ لم یبن علی أصل و لا- نقل عن فهم. قال: فنقل القرآن فطنة و درایة أحسن منه سماعا و روایة قال: فالروایة لها نقلها، و الدرایة لها ضبطها و علمها. قال: فإذا اجتمع للمقرئ النقل و الفطنة و الدرایة وجبت له الإمامة و صحت علیه القراءة، إن کان له مع ذلک دیانة». و من قراءة هذین النصین یتضح أن ألفاظهما متقاربة، و أن معانیهما واحدة، فهل یعنی ذلک أن مکیا نقل عن الدانی، أو أنهما کلیهما نقلا هذا المعنی عن عالم تقدّمهما، لا سیما أن الفقرة الأخیرة من کلام مکی

ليست عند الدانى؟ و مع ذلك فإن عبارة الدانى توحى أن الكلام له. لم ينقله عن غيره. و مكى يصرح بنسبته إلى بعض من تقدمه. فهذا دليلا على أن الدانى سبق فى

(۱) التحديد ورقة ۸۳ ظ. (۲) الرعاية ص ۶۹- ۷۰. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۵۹ تأليف كتاب «التحديد». خاصة أن مكيا لم يؤلف كتابه إلا بعد دخوله الأندلس، و إقامته فى قرطبة، التى مكث فيها الدانى شطرا طويلا من عمره، و لم يبرحها إلا بعد سنة ثلاث و أربعمائة «۱». و مهما يكن من أمر فإن القصيدة الخاقانية يظل وصفها بأنها أول مؤلف فى التجويد صحيحا، و تظل هذه الكتب الثلاثة: التنبيه، و الرعاية، و التحديد، هى أول ما ألّف بعد قصيدة أبى مزاحم، فى علم التجويد، أيّا كان المتقدم من الثلاثة على صاحبيه، و كذلك الحال بالنسبة للكتاب الذى شرح فيه الدانى قصيدة أبى مزاحم، أو أى كتاب آخر ألفه فى علم التجويد. و يظل أبو الحسن السعيدى (ت فى حدود ۴۱۰ ه) و أبو محمد مكى (ت ۴۳۷ ه) و أبو عمرو الدانى (ت ۴۴۴ ه) يمثلون الجيل الأول من علماء التجويد الذين أرسوا بكتبهم و دراساتهم المعالم الأولى لهذا العلم.

## المبحث الخامس مصطلح (علم التجويد)

### اشارة

المبحث الخامس مصطلح (علم التجويد) و مما يتصل بموضوع نشأة علم التجويد محاولة تحديد الوقت الذى استخدم فيه مصطلح (التجويد) خاصا بالمباحث التى يستخدم فيها اليوم. و هذا الجانب من البحث اللغوى التاريخى يعتبر من الأمور التى يصعب الخوض فيها، إلا بعد توفر نصوص كافية تساعد الدارس فيما يحاوله، و هو ما يتحقق قدر ضئيل منه بالنسبة لبحث القضية التى نحن بصددها الآن. خاصة فى مراحلها الأولى، و لكن هذا لا يمنع من تدوين الملاحظات المتيسرة حولها، لعل جهود الدارسين تزيد الأمر جلاء و وضوحا. و من المعلوم أنه لم يرد فى القرآن من مادة (التجويد) شىء فى وصف

(۱) انظر: ياقوت: معجم الأدباء ۱۲/ ۱۲۷. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۶۰ القراءة، كذلك لم أجد فى (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى)، الذى يعتمد على تسعة من أشهر كتب الحديث، شيئا من ذلك، و هذا قد يستدلّ به على أن كلمة (التجويد) لم تكن معروفة فى عصر النبوة، بالمدلول الذى صارت تدل عليه فيما بعد «۱». و ذلك لا يعنى أن مفردات هذه المادة اللغوية لم تكن مستخدمة فى تلك الفترة إذ نجد المعجم العربى يحدثنا فى مادة (ج و د) عن عدد من الكلمات المشتقة منها، من ذلك: الجيد نقيض الردىء، و جاد الشىء جودة و جودة أى صار جيدا، و أجاد أتى بالجيد من القول أو الفعل، و التجويد مثله. و جاد بالمال

(۱) جاءت فى عدد من المراجع القديمة رواية نقلها أبو معاوية الضرير، عن جويبر، عن الضحاك، قال: قال عبد اللّه بن مسعود- رضى اللّه عنه: «جرّدوا القرآن، و زيّنوه بأحسن الأصوات، و أعربوه فإنه عربى، و اللّه يحب أن يعرب». انظر: ابن أبى شيبة: الكتاب المصنف ۲/ ۴۹۷، و أبو عبيد: كتاب غريب الحديث ۴/ ۴۹. و ابن أبى داود: المصاحف ص ۱۴۰. و أبو بكر الأنبارى: كتاب إيضاح الوقف و الابتداء ۱/ ۱۶، و الدانى: المحكم ص ۱۰. و لقد جاءت هذه الرواية فى بعض المراجع المتأخرة، بنفس الإسناد، على هذا النحو: «جودوا القرآن ...». انظر: ابن الجزرى: النشر ۱/ ۲۱۰، و السيوطى: الإتقان ۱/ ۲۸۱. و قد حاول بعض المحدثين الاستدلال بالصيغة المنقولة فى المراجع المتأخرة، على أن كلمة (التجويد) كانت معروفة فى زمن الصحابة، فقال الدكتور احمد مختار عمر عن التجويد: «و كل الذى يعرف عن مراحله الأولى أن أول من استخدم هذه الكلمة فى معنى قريب من معناها هو ابن مسعود الصحابى، الذى كان ينصح المسلمين بقوله: جودوا

القرآن و زينوه بـأحسن الأـصوات ...». انظر: البحث اللغوى عنـد العرب ص ۷۷. و الـذى يترجـح لدى هو أن روايۀ (جودوا) بالواو من التجويد، التى جاءت فى المراجع المتأخرۀ، ما هى إلا تصـحيف للروايۀ القديمۀ (جردوا) بالراء، من التجريد، و حديث (جردوا القرآن) المنقول عن ابن مسعود حـديث مشـهور بين الدارسـين. (انظر: الزركشـى: البرهـان ۱ / ۴۷۹). و مـن ثم لاـ يمكن الاسـتدلال بالصـيغۀ المصـحفۀ للروايـۀ- إذا صـح ما ذكرناه- على أن كلمۀ (التجويد) أو ما اشـتقّ منها كانت معروفۀ فى ذلك الوقت المبكر بالمعنى الذى عرفت به فيما بعد. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۶۱ فهو جواد أى سخىّ ... الخ «۱». و قال الدانى: إن التجويد مصدر جوّدت الشىء، و معناه انتهاء الغايـۀ فى إتقانه، و بلوغ النهايـۀ فى تحسينه «۲». و قـد جـاء فى القرآن الكريم و فى الأحاديث النبويـۀ الشـريفۀ ما يتعلق بوصف القراءۀ كلمـۀ (الترتيل)، قال اللّه تعالى: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (۴) [المزمل]. و جاء فى الأحاديث أن النبى صـلى اللّه عليه و سلم (كـان يقرأ بـالسورۀ فيرتلهـا حتى تكون أطول من أطول منها) و أنه كان صـلى اللّه عليه و سـلم يفسّـر و يرتّل إذا قرأ «۳». إلى روايات أخرى مـذكورۀ فى مظانها «۴»: و الرّتـل فى اللغـۀ حسن تنـاسق الشـىء، و رتّـل الكلام: أحسن تأليفه و أبانه و تمهل فيه، و الترتيل فى القراءۀ: التّرسّـل فيهـا و التبين من غير بغى. قـال عبـد اللّه ابن عباس، رضـى اللّه عنه، فى قوله تعالى: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (۴) قال: «بيّنه تبيينا، و التبيين لا يتم بأن يعجل فى القراءۀ، و إنما يتم التبيين بأن يبين جميع الحروف، و يوفيها حقها من الإشـباع «۵». و استخدمت فى هـذه الفترۀ أيضا كلمـۀ أخرى تقابل كلمـۀ (الترتيل) و هى كلمـۀ (الهـذ)، و قـد جاء فى الحـديث الشـريف عن منزلۀ قارئ القرآن فى الآخرۀ قوله صلى اللّه عليه و سلم: «فهو فى صعود ما دام يقرأ، هذّا كان أو ترتيلا» «۶». و روى ابن أبى شيبۀ عن ابن مسعود، رضى اللّه عنـــــــــه، أنـــــــــه قـــــــــال: «لاـــــــــ تهـــــــــذّوا القرآن كهـــــــــذّ الشـــــــــعر، و لا

(_____ ۱) انظر: ابـن منظـور: لسـان العرب، مادۀ (جود). (۲) التحديد ورقۀ ۸۴ و. (۳) التحديد ۸۵ و. (۴) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحـديث النبوى ۲/ ۲۱۸. (۵) انظر: ابن منظور: لسـان العرب، مـادۀ (رتل). (۶) الـدانى: التحديد ورقۀ ۸۶ و. أبحـاث فى علـم التجويـد، ص: ۶۲ تنـثروه نثر الـدّقل، وقفوا عند عجـائبه، و حرّكوا به القلوب» «۱». و روى البخارى أن رجلا قال لابن مسـعود «۲»: «قرأت المفصل البارحۀ، فقال: هذّا كهذّ الشـعر!». و روى عن محمـد بن كعب القرظى أنه قـال: «لأـن أقرأ إذا زلزلت و القارعـۀ ليلـۀ، أردّدهمـا و أتفكر فيهمـا أحب إلى من أن أبيت أهذّ القرآن» «۳». و الهذّ فى اللغۀ سـرعۀ القطع و سـرعۀ القراءۀ، يقال: هو يهذّ القرآن هذّا، و يهذّ الحديث هذّا، أى يسـرده سـردا «۴». و قد جاءت كلمات أخرى تتعلق بوصف القراءۀ فى حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، من ذلك قوله صلى اللّه عليه و سلم: «ليس منا من لم يتغنّ بـالقرآن» «۵». و قـوله: «زيّنوا القرآن بـأصواتكم» «۶». و فى روايـۀ: «حسّـنوا القرآن بأصواتكم» «۷». و قـد ورد فى الكتاب الـذى رجحنـا أنه لأبى العلاء الهمـذانى العطار تعليقا على روايات الحـديث (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) «۸»: «و جميع هذه الأخبار التى سـقناها، من ذهب إلى أنهـا من الغنى المقصور، فـالمعنى بيّن لاـ خفـاء به، و من ذهب إلى أنهـا من الغناء الممـدود، فليس المراد بذلك هذا التطريب المكروه و التلحين المذموم، و إنما المراد به الترتيل و تحسـين الصوت و حفظ الحروف و مراعاۀ الوقوف، إلى ما ســـــــــوى ذلـــــــــك مـــــــــن تجويـــــــــد القراءۀ و تصـــــــــحيح التلاـــــــــوۀ ...».

(_____ ۱) الكتاب المصنف ۲/ ۵۲۱. (۲) ابن حجر: فتح البارى ۹/ ۸۸، و انظر النووى: التبيان ص ۴۱. (۳) ابن أبى شيبۀ: كتاب المصنف ۲/ ۵۲۱. (۴) ابن منظور: لسان العرب مادۀ (هذذ). (۵) البنـا الساعاتى: الفتـح الربانى ۱۸/ ۱۴. (۶) المصـدر نفسه ۱۸/ ۱۵. و انظر: أبـو شامـۀ، المرشـد الوجيز ص ۲۰۰. (۷) انظر السيوطى، الإتقان ۱/ ۳۰۲. (۸) كتاب فى التجويـد ورقۀ ۴۶ و. أبحاث فى علم التجويـد، ص: ۶۳ و جاء عن الحـديث الآخر، فى نفس الكتاب «۱»: «تزيين القراءۀ هو إعطـاء الحروف حقوقها ...». و قال أبو بكر الآجرى «۲»: «حدثنا جعفر الصندلى، ثنا صالح بن أحمد بن حنبـل، عن أبيه، قـال: قلت له: قوله صـلى اللّه عليه و سـلم، زينوا القرآن بأصواتكم، ما معناه؟ قال: التزيين أن يحسـنه». و ورد فى كلام الصـحابۀ ذكر بعض الألفاظ التى تتعلق بصـفۀ القراءۀ. فمن ذلك، أن علقمـۀ قرأ على عبد اللّه بن مسـعود، فكأنه عجل، فقال عبد اللّه:

فداك أبى و أمى، رتّل فإنه زين القرآن «۳». و من ذلك أيضا ما روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم و عائشة مرّا بأبى موسى، و هو يقرأ فى بيته، فقاما يستمعان لقراءته، ثم إنهما مضيا، فلما أصبح لقى أبو موسى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا أبا موسى، مررت بك، فذكر الحديث، فقال أبو موسى: أما إنى لو علمت بمكانك لحبّرته لك تحبيرا «۴». و فى «لسان العرب»، لابن منظور: «حبّرت الشعر و الكلام حسّنته، و فى حديث أبى موسى: لو علمت أنك تسمع لقراءتى لحبّرتها لك تحبيرا، يريد تحسين الصوت، و حبّرت الشيء تحبيرا إذا حسّنته» «۵». و هكذا يبدو أن كلمات مثل: الترتيل، و التغنى، و التزيين، و التحسين و التحبير، كانت تستخدم فى وصف القراءة إذا جاءت تامة، قد استوفى كل حرف فيها حقّه

(_____ ۱) المصدر نفسه ورقة ۶ و. (۲) كتاب أخلاق حملة القرآن ورقة ۶۰ ظ. و انظر: النووى، التبيان ص ۵۱. (۳) ابن أبى شيبة: الكتاب المصنف ۲/ ۵۲۰، و الدانى: التحديد ورقة ۸۶ و. (۴) انظر: ابن حجر، فتح البارى ۹/ ۹۳. (۵) لسان العرب مادة (حبر). أبحاث فى علم التجويد، ص: ۶۴ من مخرجه و صفته، إلى جانب ما يضفيه صوت القارئ من حسن على القراءة، و قوة فى التأثير على النفوس، و يبدو أن كلمة التجويد لم تكن مستخدمة مع هذه الكلمات فى تلك الفترة المتقدمة من الزمن. و لعل هذه الكلمات و ما يرادفها فى المعنى، ظلت مستخدمة فى وصف قراءة القرآن، منذ زمن النبى صلى اللّه عليه و سلم ثم الصحابة و التابعين، إلى ما بعد عصر التدوين و التأليف بزمن طويل، و لقد تتبعت صفحات كثيرة من كتاب «السبعة فى القراءات» لأبى بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت ۳۲۴ ه)، لأجد كيف يستخدم الكلمات فى وصف القراءة و القراء، فما وجدته استخدم كلمة التجويد، و ما يتصل بها من ألفاظ، و قد وجدت ابن مجاهد يقول عن عاصم بن أبى النجود: «و كان عاصم متقدما فى زمانه، مشهورا بالفصاحة، معروفا بالإتقان» «۱». و كان ابن مجاهد يقصد فى عبارته هذه ما قاله الدانى فيما بعد: «و كان عاصم موصوفا بحسن الصوت و تجويد القراءة» «۲». و ما قاله ابن الجزرى عن عاصم أيضا من أنه «۳»: «جمع بين الفصاحة و الإتقان و التحرير و التجويد، و كان أحسن الناس صوتا بالقرآن». و من ثم يبدو أن كلمة (التجويد) لم تكن قد ذاعت فى زمن ابن مجاهد فلجأ إلى كلمة (الإتقان). و إذا تجاوزنا ابن مجاهد إلى معاصره أبى مزاحم الخاقانى (ت ۳۲۵ ه)، صاحب أول مؤلف فى علم التجويد، لننظر أى الألفاظ يستخدم للتعبير عن العلم الذى نتحدث عنه، وجدنا أنه لم يستخدم كلمة التجويد فى قصيدته، و يمكنك أن تعود إلى القصيدة ثانية و تتأمل فى ما استخدمه فيها من ألفاظ بهذا الصدد، و أنقل هنا البيت الخامس من القصيدة، و هو قوله (_____: ۱) كتاب التحديد ص ۷۰. (۲) التحديد ورقة ۹۱ و. (۳) غاية النهاية ۱/ ۳۴۶. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۶۵ أيا قارئ القرآن أحسن أداءه يضاعف لك اللّه الجزيل من الأجر و البيت السابع عشر، و هو قوله: فقد قلت فى حسن الأداء قصيدة رجوت إلا هى أن يحطّ بها وزرى تأمل قوله: (أحسن أداءه) و قوله: (حسن الأداء) تجد أنه يعنى ما نسميه اليوم بالتجويد. و عدم استخدام أبى مزاحم لهذه الكلمة، و استخدامه مكانها (حسن الأداء)، قد يدل على عدم شيوع استخدام كلمة التجويد بعد فى المعنى الذى صارت تستخدم فيه إلى وقتنا. و قد أطلت القراءة فى كتاب «إيضاح الوقف و الابتداء فى كتاب اللّه عز و جل» لأبى بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى (ت ۳۲۸ ه) و هو كتاب موضوعه قريب الصلة بموضوع القراءة و التجويد، فى محاولة للعثور على ما يشير إلى استخدام كلمة (التجويد) فى هذه الفترة، فما وجدت إلا ما علق به أبو بكر الأنبارى على ما رواه عن عبد اللّه بن مسعود، رضى اللّه عنه، من أنه قال: «أعربوا القرآن فإنه عربى، فإنه سيجيء قوم يثقّفونه، و ليسوا بخياركم». قال أبو بكر: «معنى يثقّفونه: يقوّمون حروفه، كما يقوّم المثقّف الرّمح ... و معنى الحديث أنهم يقوّمون حروفه و لا يعملون به» «۱». و هذه مناسبة كان بإمكان أبى بكر الأنبارى أن يستخدم فيها كلمة (يجوّدون) مثلا، بدل كلمة (يقوّمون) فى تفسير كلمة (يثقّفون) و لكنه لم يفعل! و هناك فترة تقرب من قرن، تمتد بين تأليف أبى مزاحم الخاقانى قصيدته و بين ظهور مؤلفات التجويد الأولى لا نملك عنها ما يمكن أن يعين فى متابعة تطور استخدام الكلمات المعبّرة عما صار يسمى فيما بعد بعلم التجويد. فإذا انتقلنا إلى الفترة التى وصلتنا منها أولى مؤلفات التجويد بعد القصيدة

(_____ ۱) کتاب إیضاح الوقف و الابتداء ۱/

۳۵- ۳۶. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۶۶ الخاقانیة صادفتنا أول محاولة لاستخدام ما اشتق من مادة (ج و د) فی هذا المجال. و لنبدأ بکتاب «التنبیه علی اللحن» لأبی الحسن السعیدی (ت فی حدود ۴۱۰ ه) الذی ذکرناه من قبل. یکاد أبو الحسن السعیدی یکون أول من استخدم کلمة (تجوید) فیما اطلعت علیه من مصادر «۱»، قال فی أول کتابه «۲»: «سألتنی، أسعدک اللّه بطاعته، و وفّقک لمرضاته، أن أصنف لک نبذا من تجوید اللفظ بالقرآن». و استخدم الکلمة فی موضع آخر، حیث یقول «۳»: «و یؤمر القارئ بتجوید الضاد من (الضالین) و غیرها». و استخدم أبو الحسن کلمة أخری فی هذا المعنی، و هی کلمة (المتقن)، قال «۴»: «و اللحن الخفی لا یعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط». و قال فی موضع آخر «۵»: «... و لم أر أحدا من المقرئین المتقنین میز ذلک علی القارئ». أما مکی بن أبی طالب (ت ۴۳۷ ه) فقد استخدم کلمة (تجوید) کثیرا، حتی فی عنوان الکتاب، «الرعایة لتجوید القراءة و تحقیق لفظ التلاوة». و یضم إلیها کلمة (تحقیق) غالبا، قال فی المقدمة «۶»: «قویت نیتی فی تألیف هذا الکتاب لیکون ... عونا لأهل تلاوة القرآن علی تجوید ألفاظه و إحکام النطق به»، و جاء فی کتابه الرعایة أیضا:

(_____ ۱) عثرت فی کتاب التحدید للدانی

علی روایة جاء فیها أن ابن مجاهد (ت ۲۵۴ ه) قال: «اللحن فی القرآن لحنان: جلیّ و خفی، فالجلی لحن الإعراب، و الخفی ترک إعطاء الحرف حقه من تجوید لفظه» (التحدید ص ۱۱۸). (۲) التنبیه ورقة ۶۲ ظ. (۳) التنبیه ورقة ۶۴ و. (۴) التنبیه ورقة ۶۳ و. (۵) التنبیه ورقة ۶۶ ظ. (۶) الرعایة ص ۴۱. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۶۷ (تجوید لفظه، و التحفظ به عند التلاوة) «۱». (تحقیق اللفظ و تجویده و إعطائه حقه) «۲». (تجوید ألفاظه و تحقیق تلاوته) «۳». (التجوید بحکایة ألفاظ القرآن) «۴». (التحفظ لتجوید لفظه، و إعطائه حقه) «۵». (تجوید اللفظ بالهمزة) «۶». و استخدم مکی کلمة (التجوید) من غیر إضافة، حیث ذکر أن «القراء یتفاضلون فی العلم بالتجوید» «۷». و استخدم کذلک کلمة (المجود)، حیث قال: «فیجب علی القارئ المجود لقراءته» «۸». أما أبو عمرو الدانی (ت ۴۴۴ ه) فقد کان کثیر الاستخدام لکلمة (التجوید)، مضافة و غیر مضافة، کذلک استخدم کلمة (الإتقان) و کلمة (التحقیق). و قد سمّی الدانی کتابه فی التجوید باسم «التحدید فی الإتقان و التجوید» و سمی هذا العلم باسم (علم الإتقان و التجوید) «۹». و قد وردت کلمة (التجوید) فی هذا الکتاب فی

(۱) الرعایة ص ۴۲. (۲) الرعایة ص ۴۲. (۳) الرعایة ص ۴۳. (۴) الرعایة ص ۶۹. (۵) الرعایة ص ۴۳. (۶) الرعایة ص ۱۲۰. (۷) الرعایة ص ۶۹. (۸) الرعایة ص ۱۲۴. (۹) التحدید ورقة ۸۳ ظ. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۶۸ مواضع عدة «۱». و عرّف الدانی التجوید فقال: «تجوید القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها و ترتیبها مراتبها» «۲». و مما جاء فی الکتاب أیضا، من ذلک: (تجوید التلاوة و تحقیق القراءة) «۳». (تحقیق القراءة و تجوید الألفاظ) «۴». (قراءة التحقیق و تجوید الألفاظ) «۵». (استعمال قراءة التحقیق و تعلم الإتقان و التجوید) «۶». (إن قطب التجوید و منتهی التحقیق معرفة مخارج الحروف و صفاتها) «۷». (حروف التجوید) «۸». و استخدم الدانی شیئا من هذه الکلمات فی کتابه «شرح قصیدة أبی مزاحم الخاقانی» مثل: (تجوید الألفاظ) «۹». و (تجوید التلاوة و حقیقة القراءة) «۱۰». و وردت فی هذا الکتاب عبارة تکررت مرتین، و هی (صار غایة فی الإتقان، و نهایة فی التجوید) «۱۱». و هی عبارة تنبئ أن الدانی یستخدم کلمة (الإتقان) مرادفة

(_____ ۱) التحدید ورقة ۸۳ ظ، ۸۴ و، ۹۱

ظ، ۱۱۱ و. (۲) التحدید ورقة ۸۴ و. (۳) التحدید ورقة ۸۳ ظ. (۴) التحدید ورقة ۸۵ ظ. (۵) التحدید ورقة ۸۵ و. (۶) التجوید ورقة ۸۵ ظ. (۷) التحدید ورقة ۹۳ ظ. (۸) التحدید ورقة ۹۸ ظ، ۱۱۰ و. (۹) شرح قصیدة أبی مزاحم ورقة ۱۲۸ و. (۱۰) المصدر نفسه ورقة ۱۲۸ ظ. (۱۱) المصدر نفسه ورقة ۱۳۲ و، ۱۳۶ و. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۶۹ لکلمة (التجوید)، و هو ما یلمح من تسمیة کتابه «التحدید فی الإتقان و التجوید». و للدانی قصیدة فی موضوع التجوید سماها (المتبهة فی الحذق و الإتقان و صفة التجوید للقرآن)

«۱». و یمکن أن نقرر- بناء علی ما تقدم- أنه منذ عصر الدانی استقر مصطلح التجوید، و صار اسما شائعا للعلم الذی یهتم بالأصوات: مخارجها و صفاتها، و کیفیة النطق بها فی القرآن الکریم. إلی جانب استخدام کلمة (الإتقان) فی بعض الأحیان، مع کلمة (التجوید) «۲». و قد نقل ابن الجزری نصا فی کتابه «النشر» عن کتاب الأستاذ أبی الحسن شریح بن محمد بن شریح (ت ۵۳۷ ه) فی التجوید، الذی سماه «نهایة الإتقان فی تجوید القرآن» «۳». و نقل منه أیضا فی کتابه «التمهید فی علم التجوید» «۴». و کان قد ذکره من قبل ابن خیر فی فهرسته، بعنوان «کتاب نهایة الإتقان فی تجوید تلاوة القرآن» «۵». و تصادفنا فی الکتاب الذی یترجح عندنا أنه لأبی العلاء الحسن بن أحمد الهمذانی العطار (ت ۵۶۹ ه) فی التجوید کلمات مثل (تجوید القراءة و تصحیح

(_____۱) ذکر أن منها نسخة ناقصة فی (الخزانة العامة) بالرباط برقم ۲۸۰۹ (۲۱۸۶ د). انظر: فهرس المخطوطات العربیة فی الخزانة العامة ق ۳ ج ۱ ص ۱۸. و کان ابن خیر قد ذکر القصیدة فی فهرسته باسم مغایر نوعا ما (انظر ص ۲۹ و ۴۱). (۲) ذکر ابن خیر فی فهرسته (ص ۷۲) (کتاب البیان عن تلاوة القرآن) لأبی عمر یوسف بن عبد اللّه بن عبد البر النمری (ت ۴۶۳ ه). و لا یعرف عن موضوع هذا الکتاب: هل هو فی التحدید أو فی القراءات؟ (۳) النشر ۱/ ۲۰۴. (۴) التمهید ورقة ۲۴ ظ، ۲۶ ظ. (۵) فهرسة ابن خیر ص ۳۸. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۷۰ التلاوة) «۱»، و (تجوید القراءة و ترتیلها، و تحقیق التلاوة و ترسیلها) «۲». و یعرّف المؤلف التجوید بقوله «۳»: «إن تجوید القراءة و تحبیرها هو تصحیح الحروف و تقویمها و إخراجها من مخارجها، و ترتیبها مراتبها وردها إلی أصولها و إلحاقها بنظائرها من غیر إفراط یؤدی إلی التشنیع و لا نقصان یفضی إلی التضییع، بل بملاحظة الرفق و السهولة، و مجانبة الشدة و الصعوبة، و متی ما أخل التالی بشیء من وصفها فقد أزالها عن حدها و رصفها. و التجوید زینة القراءة و حلیة التلاوة ...». و قال علم الدین السخاوی (ت ۶۴۳ ه) فی أول منظومته النونیة فی التجوید، المسماة «عمدة المجید و عدة المفید فی معرفة التجوید» «۴»: یا من یروم تلاوة القرآن و یرود شأو أئمة الإتقان لا تحسب التجوید مدّا مفرطا أو مدّ ما لا مدّ فیه لوان و قد عقد شارح «عمدة المجید» الحسن بن أم قاسم (ت ۷۴۹ ه) فی کتابه «المفید فی شرح عمدة المجید» فصولا فی أول الکتاب، تحدث فی الفصل الأول عن تعریف التجوید، فقال «۵»: «اعلم، وفقنا اللّه و إیاک، إن التجوید هو إعطاء کل حرف حقه من مخرجه و صفته». و قد ألف أبو الخیر محمد بن الجزری (ت ۸۳۳ ه) کتابا حافلا فی التجوید، سماه «التمهید فی علم التجوید».

(_____۱) کتاب فی التجوید ورقة ۴۶ و. (۲) المصدر نفسه ورقة ۵۰ ظ. (۳) المصدر نفسه ورقة ۵۰ ظ. (۴) انظر: جمال القراء ورقة ۱۹۵ ظ. و انظر القصیدة فی آخر المخطوط رقم ۹۴۱۴ المحفوظ فی مکتبة المتحف العراقی. (۵) المفید ورقة ۱۰۰ ظ. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۷۱ و یبدو أن الاسترسال فی تتبع مصطلح التجوید فی مصادره بعد هذا الشوط من البحث لا یأتی بکبیر فائدة فقد اتضح بما لا یقبل الشک أن (علم التجوید) صار علما مستقلا، منذ أوائل القرن الخامس الهجری، علی أقل تقدیر، حین ظهرت مؤلفات أبی الحسن السعیدی، و مکی بن أبی طالب القیسی، و أبی عمرو عثمان بن سعید الدانی، فی هذا العلم الذی وضع اللبنة الأولی فی صرحه أبو مزاحم موسی بن عبید اللّه بن یحیی الخاقانی، بقصیدته الرائیة، فی حسن أداء القرآن، رحمهم اللّه تعالی جمیعا، و رضی عنهم. و إذا کان مصطلح (التجوید) هو الذی صار اسما لمباحث هذا العلم فإن کلمة (الإتقان) و کلمة (التحقیق) قد استخدمتا کمرادف أحیانا لکلمة التجوید، و معناهما اللغوی متقارب، فإن إتقان الشیء: إحکامه، و أتقن الشیء: أحکمه «۱»، و التحقیق مصدر حقّقت الشیء، أی عرفته یقینا، و الاسم منه الحق، و معناه أن یؤتی بالشیء علی حقه من غیر زیادة فیه و لا نقصان منه «۲». و لعل کلمة (التجوید) حین صارت اسما لهذا العلم قد استخدمت فی معنی لا یطابق بالضبط معناها اللغوی، فالتجوید فی اللغة معناه التحسین، و فی الاصطلاح: «هو إعطاء کل حرف حقه من مخرجه و صفته» «۳». فالتحسین (أی التجوید) فی القراءة کائن فی استیفاء الحروف حقوقها من المخارج و الصفات، لا بأمر إضافی یحصل به التحسین. هذا بغض النظر عن اختلاف أصوات التالین رقّة و خشونة، و هو أمر لا دخل لعلم التجوید فیه، و إن کان هذا العلم یساعد

على ترقيق الأصوات و تهذيبها إلى حد ما.

(۱) ابن منظور: لسان العرب مادة (ت ق ن). (۲) الدانى: التحديد ورقة ۸۴ ظ، و ابن الجزرى: النشر ۱/ ۲۰۵. (۳) انظر ابن أم قاسم: المفيد ورقة ۱۰۰ ظ. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۷۲

## خاتمة البحث

خاتمة البحث أرجو فى نهاية هذا البحث أن أكون قد وفّقت فى عرض عناصر الموضوع بما يوضح نشأة (علم التجويد)، و يبين بداياته الأولى، و يحدد موقع القصيدة الخاقانية فى ذلك، و يكشف عن الكتب التى ألّفت بعد القصيدة الخاقانية، آملا فى أن يكون هذا البحث دافعا للدارسين إلى العناية بهذا العلم فى مصادره الأصيلة، لما لهذا العلم من أهمية فى دراسة الأصوات العربية، و فى تقويم الألسنة و تصحيح النطق فى قراءة القرآن الكريم، و فى ما سواها من وجوه النطق العربى. و من الأمور التى أرجو أن يكون هذا البحث منبها عليها هو أن الدراسات الصوتية اللغوية العربية قد أغفلت مصدرا مهما جدا من مصادرها حين أهملت كتب التجويد و أعرضت عنها، فكتب هذا العلم خاصة القديمة منها غنية بالدراسة الصوتية العميقة الموضحة بالأمثلة التطبيقية الحية من القرآن الكريم. و يبدو لى أن محققى كتاب «سر صناعة الإعراب» لابن جنى مبالغون فى زعمهم بأن كتب التجويد لم تزد على ما عند النحويين من الدراسة الصوتية إلا شيئا يسيرا، فقد قالوا، و هم يتحدثون عن أثر الدراسة الصوتية التى قام بها الخليل و سيبويه و ابن جنى، فى فروع الثقافة العربية «۱»: «و كذلك صنع أصحاب الأداء القرآنى (التجويد)، فقد نظموا لهم دراسات و قواعد، اشتقوها من دراسات الخليل و تلاميذه، و من دراسات الكوفيين، و ألفوا فى ذلك كتبا كثيرة، مطولة و مختصرة، يقبل الناس على التعلم منها، كيف يؤدون تلاوة القرآن أداء صحيحا، و سموا دراساتهم هذه علم التجويد، و لكنهم لم يزيدوا على أصول قواعد الأصوات شيئا، و إنما زادوا شيئا يسيرا فى التفاصيل، كما أشار إليه المستشرق برجستراسر فى كتابه «التطور النحوى». و نص عبارة برجستراسر التى أشاروا إليها هى «۲»: «و قد كان علم الأصوات

(۱) مقدمة تحقيق سر صناعة الإعراب ۱/ ۱۴- ۱۵. (۲) التطور النحوى للغة العربية ص ۵. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۷۳ فى بدايته جزءا من أجزاء النحو، ثم استعاره أهل الأداء و المقرءون، و زادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم» «۱». و مع الاعتراف الكامل بالفضل للخليل و تلميذه سيبويه فى وضع أسس الدراسة الصوتية العربية، و مع الاعتراف للنحويين من بعدهما فى مواصلة هذا النوع من الدراسة، خاصة أبا الفتح عثمان بن جنى، الذى ألّف فى ذلك كتابا مستقلا، هو «سر صناعة الإعراب»، و مع اعتراف علماء التجويد أنفسهم بأنهم يعتمدون فى كثير من القضايا الصوتية على دراسات النحويين، إلّا أنه لا ينبغى إغفال دور علماء التجويد فى احتضان هذه الدراسة و إغنائها بكثير من الملاحظات بما صيّرها علما مستقلا، موضوعه دراسة الأصوات العربية بصورة عامة، و تطبيق تلك الدراسة على ألفاظ القرآن بصورة خاصة. علماء قراءة القرآن هم الذين جعلوا هذه المباحث الصوتية علما مستقلا اسمه (علم التجويد)، و ظل هذا العلم علما تطبيقيا حيّا، و كان له أكبر الأثر فى المحافظة على النطق العربى الفصيح طيلة قرون كثيرة، أما النحويون بعد الأجيال الأولى منهم فقد ذوت فى كتبهم جذوة الدراسة الصوتية، و تخلوا عنها تدريجيا، حتى صارت أثرا بعد عين. و الكتاب الوحيد الذى ألّفه واحد من النحويين فى مجال الأصوات هو كتاب «سر صناعة الإعراب»، لابن جنى، الذى قدّم فيه دراسة جيدة للأصوات العربية، و لكنه فى الواقع كتاب تختلط فيه الدراسة الصوتية بالدراسة الصرفية و النحوية، و ربما طغت هذه على تلك فى أحيان كثيرة. و يمكن أن نذكر هنا أيضا رسالة (أسباب حدوث الحروف) لأبى على بن سينا، لكن ابن سينا كان طبيبا و فيلسوفا،

(۱) لاحظ الفرق بين عبارة المحققين (و إنما زادوا شيئا يسيرا فى التفاصيل) و عبارة برجستراسر (زادوا تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم) على أن كلمة

برجستراسر لیست هی الفصل فی ما نحن بصدده- علی الرغم من جهوده الکبیرة فی الدراسات القرآنیة- و إنما ساقنا إلی إیرادها استشهاد المحققین بها مع تحریفهم إیاها عن قصدها. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۷۴ و لم یکن نحویا، و کان منهجه فی معالجة الموضوع غیر منهج النحویین، و عبارته کانت غیر عبارتهم. یجب علینا- إذن- أن نحتفل بکتب علم التجوید، و نقف عندها، و نطیل الوقوف، فما أحوج الناطقین بالعربیة- الیوم- إلی معرفة هذه الکتب و دراستها، حتی تقوّم هذه الألسنة المعوجّة، و السلائق المنحرفة، و إنی واثق کل الثقة أن فی تلک الکتب أشیاء کثیرة نافعة نحتاج إلیها الیوم، و إنی بهذه المناسبة أنبّه دارسی الأصوات العربیة إلی کتب مثل: «الرعایة لتجوید القراءة و تحقیق لفظ التلاوة» لمکی بن أبی طالب، و «التحدید فی الإتقان و التجوید» لأبی عمرو الدانی، و «التمهید فی علم التجوید» لأبی الخیر محمد بن الجزری. و إذا أردت أن تعجب مما أحدثک عنه من أهمیة هذا العلم و أهمیة کتبه فدونک کتاب «جهد المقل» لمحمد المرعشی، المشهور بساجقلی‌زاده (ت ۱۱۵۰ ه- ۱۷۳۷ م)، و «بیان جهد المقل» الذی کمل به المرعشی کتابه الأول، و اقرأ فیهما ستجد دراسة صوتیة لغویة محضة، دقیقة و عمیقة، و لا یصدّنک عن هذین الکتابین ما تراه من تأخر وفاة مؤلفهما إلی الفترة التی یحلو للبعض أن یصفها بالفترة المظلمة، إنّ هذه الفترة إذا کانت قد شهدت تدهور أوضاع المسلمین و انحسار سلطانهم و قوتهم فی کثیر من بقاع الأرض فإنها لم تخل من عالم نابه و لا من بحث أصیل، کما أنها لم تخل من مصلحین رواد، و لا من أبطال أفذاذ. کتاب «جهد المقل» و صنوه «بیان جهد المقل» هما غایة ما وصل إلیه علم التجوید دقة و عمقا، فیما اطلعت علیه و قرأت فیه من کتب هذا العلم، علی أهمیة الکتب القدیمة الأولی، و علوّ قدرها. و إن مما یمیز ذینک الکتابین ما ذکره المؤلف فی مقدمة «جهد المقل» من قوله «۱»: «فعملت فیه رسالة محتویة علی عامة مسائله، بعبارات سهلة، خالیة من مسامحات المصنفین، رجاء أن ینشرح (_____ ۱) جهد المقل ورقة ۱ و. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۷۵ لها صدور الناظرین، و تمیل إلیها قلوب الطالبین». فالکتابان خالیان- بصورة عامة من (مسامحات المصنفین) التی تخرج بالعلم أحیانا إلی نوع من الجدل العقیم، هذا إلی جانب تضمنهما نظرات ثاقبة فی تحلیل الأصوات و تفهم ظواهرها، لا یسمح المجال بذکرها هنا «۱». و لیس بوسعی فی هذه العجالة- أن أحدثک عن کل شیء، فلربما کنت- أخی القارئ- أوعی منی بکثیر من جوانب هذا الموضوع، و لکنی ألفت النظر إلی هذا الإهمال الذی أصاب علم التجوید، الذی ینبغی أن یسعی المهتمون بأمر سلامة اللغة إلی إحیاء ما اندرس من معالمه و العمل علی تدریسه فی مراحل الدراسة المتقدمة، لیعم نفعه و یؤتی ثمرته، فی وقت تخوض فیه اللغة العربیة معرکة حیاة ضد جهل الناطقین بها قبل أن تخوضها ضد أعدائها المتربصین بها. و فی الختام أرجو أن ینظر القارئ إلی ما قد یکون فی هذا البحث من جوانب النقص أو القصور من خلال کون هذا البحث محاولة أولی فی سبیل الکشف عن تاریخ علم التجوید و بیان مراحله الأولی، و ما یحتاج ذلک إلی وفرة فی المراجع، و أکثرها مخطوط، مشتت فی أصقاع الأرض النائیة، یصعب الوصول إلیه، أو الاطلاع علیه، و ما یحتاج إلیه أیضا من فسحة فی الوقت، و هی ما لا نکاد نجدها الیوم، مع ما تزدحم به حیاتنا من شواغل، و بدون هذا أو ذاک فإن الإنسان مهما بلغ من العلم فإنه عرضة للوقوع فی الخطأ و التقصیر، فکیف و نصیبنا من العلم قلیل؟! اللهم علمنا ما جهلنا، و انفعنا بما علمتنا، و اجعل أعمالنا خالصة لک یا رب العالمین، و صلی اللّه علی سیدنا محمد، و علی آله و صحبه أجمعین، و الحمد للّه رب العالمین. (_____ ۱) درس أخی الدکتور سالم قدوری الحمد کتاب «جهد المقل» و حققه فی رسالته التی تقدم بها لنیل شهادة الدکتوراة من کلیة الآداب بجامعة بغداد سنة ۱۹۹۵ م. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۷۶

## (۲) مناهج کتب تعلیم قواعد التلاوة «۱»

### مقدمة

مقدمة الحمد للّه، و الصلاة و السلام علی رسول اللّه، و بعد: فإن کثیرا من المسلمین الیوم لا یحرصون علی شیء حرصهم علی تعلم تلاوة القرآن و إتقانها، و تسهم فی ذلک جهود الأفراد و الجمعیات و المؤسسات الرسمیة، فی البیوت و المساجد و المدارس و المعاهد و الجامعات، و تسترشد تلک الجهود بعشرات من الرسائل و الکتب و المؤلفات لبیان قواعد التلاوة و آدابها. و یرجع بدء التألیف فی قواعد التلاوة إلی عصر نشأة العلوم الإسلامیة، ممتزجة فی المراحل الأولی بکتب قواعد اللغة العربیة، و مستقلة بعد ذلک فی کتب خاصة، حملت اسم (علم التجوید) منذ القرن الرابع الهجری، و لم ینقطع التألیف فی علم التجوید منذ ظهور مؤلفاته الأولی حتی وقتنا الحاضر، و کانت حصیلة ذلک عشرات الکتب و الرسائل، التی تتباین فی الحجم و المنهج و المادة «۲». و یتداول المشتغلون بتعلیم قواعد التلاوة فی عصرنا رسائل و کتبا موجزة من تألیف بعض العلماء المتأخرین، رحمهم اللّه، و عدد من المعاصرین، و قد لفتت نظری فیها جملة من الملاحظات و القضایا المتعلقة بالمناهج و المادة، موازنة بکتب علم التجوید القدیمة، و کتب علم الأصوات اللغویة الحدیثة، و هی أمور قد یؤثر بعضها فی طریقة الأداء، و قد یفضی بعضها إلی الإخلال بالنطق أو تحریف التلاوة (_____. ۱) منشور فی مجلة کلیة المعارف الجامعة، العدد الاول، الأنبار، العراق ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۸. (۲) یمکن أن یطلع القارئ علی أسماء أکثر تلک المؤلفات فی کتابی: الدراسات الصوتیة عند علماء التجوید ص ۲۳- ۴۶. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۷۷ و لا شک فی أنه یجب أن یحتاط لتلاوة القرآن و أن یحرص علی اعتماد أصحّ المناهج و أحدث الأسالیب فی تعلیم قواعد التلاوة بما یتیح للمتعلمین فهم تلک القواعد و یعطیهم القدرة علی الأداء بالقرآن الکریم عربیا مبینا بریئا من شوائب اللحن الخفی التی بذل علماء السلف، رحمهم اللّه تعالی، کل ما وسعهم کی یخلّصوا قراءة القرآن منها. و قد حملنی واجب النصیحة لکتاب اللّه تعالی أن أشیر فی هذا البحث إلی القضایا التی لفتت نظری فی کتب علم التجوید التی ألّفت فی القرن الأخیر و فی زماننا، حتی تکون موضع اهتمام المتخصصین فی هذا الحقل الحیوی من ثقافتنا، و تجتمع کلمتهم علی ما یرونه صحیحا أو نافعا منها لیأخذوا به فی تعلیم قواعد التلاوة و فی تألیف کتبها. و إنی کنت مترددا فی نشر هذه الملاحظات سنین کثیرة، خوفا من نسبة الوهم إلی العلماء الذین خدموا علوم القرآن بمؤلفاتهم، و تحرجا من إخواننا الأساتذة و الشیوخ الذین کتبوا فی هذا العلم من المعاصرین، و لکن ترجّحت لدی أخیرا مصلحة نشرها، لأن ما فیها لا یقصد به الأشخاص و إنما الأفکار و القضایا التی عرضوها، و هی فی أکثرها مما عمّت به البلوی، ثم إن الأنفاس معدودة علینا، و الآجال مغیّبة عنا، و قد یفوت بکتمانها علم نافع یحتاج إلیه المهتمون بتلاوة القرآن الکریم. و لعل أهم القضایا التی سوف أعرضها فی هذا البحث مما یتعلق بالمنهج هو مبحث مخارج الحروف و صفاتها من ناحیة أهمیته لمتعلم التجوید، و من ناحیة موقعه فی الکتب التی تؤلّف فی هذا العلم. أما القضایا المتعلقة بالمادة العلمیة فسوف أقتصر علی قضیة واحدة تتعلق بالمخارج هی مخرج الضاد، و قضیة واحدة تتعلق بالصفات هی تعریف الصوت المجهور و الصوت المهموس، و قضیة تتعلق بالأحکام الصوتیة الناشئة عن الترکیب فی قضیة إخفاء النون الساکنة و التنوین. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۷۸ و منهجی فی تناول هذه القضایا هو أن أعرض موقف علماء التجوید الأوائل من الموضوع الذی أناقشه، ثم أعرض طریقة تناوله فی کتب علم التجوید المتأخرة أو المعاصرة لیتضح مقدار الخلل فی طریقة تناوله فی هذه الکتب، و سوف أرجع إلی کتب علم الأصوات اللغویة المعاصرة فی بیان دقائق الظواهر الصوتیة فی قواعد علم التجوید، إذ إن مباحث علم الأصوات اللغویة تشکل جزءا من مباحث علم التجوید، علی الرغم من أن المشتغلین بتعلیم قواعد التلاوة فی زماننا لا یولون تلک الکتب أی عنایة، و لا یستفیدون منها فی مباحثهم. و قد تجمع لدی أکثر من ثلاثین کتبا و رسالة من کتب علم التجوید (أو قواعد التلاوة) مؤلفة فی سنی القرن الرابع عشر الهجری و سنوات هذه القرن، و هی بین مختصر و مطول، و أکثرها مؤلف فی العراق و مصر و بلاد الشام، و لدی مطبوع واحد من کل من تونس و الجزائر و السودان و الکویت، و بعض مؤلفیها أساتذة جامعیون، و بعضهم من علماء القراءة، و بعضهم قراء محترفون. و لا شک فی أن هناک کتبا أخری لم أطلع علیها من مؤلفات علم التجوید المعاصرة، سواء من البلدان التی سمیتها أو من بلدان العالم الإسلامی الأخری، و أحسب أن ما وقفت علیه من هذه الکتب یعطی

الصورة العامة للكتب الأخرى التى لم أطلع عليها. و لا أقصد فى هذا البحث مناقشة كل صغيرة و كبيرة تحتمل المناقشة مما ورد فى الكتب المذكورة. و لكنى سوف أركز كلامى على القضايا الكبيرة المتعلقة بالمنهج و المادة العلمية، التى تكرر ورودها فى أكثر تلك الكتب، أما الهفوات الصغيرة أو الاجتهادات الفردية فإنى لن أعرض لها فى هذا البحث، و قد أعود إليها فى وقت آخر إن وجدت ضرورة تدعو إلى ذلك أو فائدة ترتجى منه. رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً (۱۰) [الكهف]. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۷۹

## المبحث الأول مخارج الحروف و صفاتها أهميتها و موقعها فى علم التجويد

### اشارة

المبحث الأول مخارج الحروف و صفاتها أهميتها و موقعها فى علم التجويد اللغة فى جوهرها أصوات تنتجها أعضاء آلة النّطق لدى الإنسان، و عملية إنتاج الصوت اللغوى مركبة من عدة حركات لأعضاء آلة النطق، لكن جرت عادة علماء العربية و علماء التجويد على النظر إلى الصوت من ناحيتين، الأولى: النقطة التى يتكون فيها الصوت أو يخرج منها، و سمّوها (المخرج)، و الثانية: الكيفية المصاحبة لتكون الصوت فى مخرجه، و سمّوها (الصفة)، و غالبا ما يكون للصوت الواحد اكثر من صفة، بعضها يتعلق بطريقة مرور النفس فى المخرج، و بعضها يتعلق بحالة الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت، و غير ذلك. و كان علماء العربية قد درسوا النظام الصوتى للغة العربية و أشاروا إلى أهمية هذا الجانب من الدرس اللغوى، و كان سيبويه (ت ۱۸۰ ه) من أوائل الذين كتبوا فى هذا الموضوع، و ظل ما كتبه يحدد ملامح الدرس الصوتى العربى لدى علماء العربية و علماء التجويد حتى عصرنا الحاضر. و قد خصص سيبويه القسم الأخير من كتابه للموضوع، و افتتحه بالحديث عن مخارج الأصوات (و هو يستخدم مصطلح الحروف) و بيان صفاتها. و ذلك حيث قال: «هذا باب عدد الحروف العربية، و مخارجها و مهموسها و مجهورها، و أحوال مجهورها و مهموسها، و اختلافها» «۱». ثم قال بعد أن استوفى الكلام عن المخارج و الصفات: «و إنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه من الإدغام و ما يجوز فيه، و ما لا يحسن فيه ذلك و لا يجوز فيه، و ما تبدله استثقالا كما تدغم، و ما تخفيه و هو بزنة المتحرك» «۲».

(_____ ۱) الكتاب ۴/ ۴۳۱. (۲) الكتاب ۴/ ۴۳۶. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۸۰ و لا يلزم فى هذا الموضع تتبع من درس المخارج و الصفات من علماء العربية، و لكن من المفيد نقل أقاويل بعضهم عن أهمية دراسة المخارج و الصفات فى دراسة الظواهر الصوتية فى اللغة العربية، مثل الإدغام، و الإبدال، و الإمالة، و المد، و الترقيق، و التفخيم، فمن ذلك قول الزمخشرى (ت ۵۳۸ ه) فى كتابه «المفصل» و هو يتحدث عن الإدغام: «و يقع الإدغام فى المتقاربين كما يقع فى المتماثلين فلا بد من ذكر مخارج الحروف لتعرف متقاربها من متباعدها» «۱». و قال السيوطى (ت ۹۱۱ ه) و هو يتحدث عن إدغام المتقاربين: «و ذلك يتوقف على بيان مخارج الحروف» «۲». و قال عن صفات الحروف: «و أما ألقاب الحروف فذكرها النحويون لفائدتين، إحداهما: لأجل الإدغام، ليعرف ما يدغم فى غيره لقربه منه فى المخرج و الصفة أو فى أحدهما، و ما لا يدغم لبعده منه فى ذلك. و الثانية: بيان الحروف العربية حتى ينطق من ليس بعربى بمثل ما ينطق به العربى» «۳». أما علماء التجويد المتقدمون فإن عنايتهم بمخارج الحروف و صفاتها كانت أكثر، و احتفالهم بها أشد، و لم أجد كلمة أكثر وضوحا فى ذلك من قول الدانى (ت ۴۴۴ ه) فى كتابه «التحديد فى الإتقان و التجويد»: «اعلموا أن قطب التجويد و ملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف و صفاتها التى بها ينفصل بعضها من بعض، و إن اشترك فى المخرج» «۴». و قال أحمد بن أبى عمر الأندرابىّ (ت فى حدود ۵۰۰ ه) بعد أن ذكر مخارج الحروف و صفاتها: «و إنما ذكرت مخارج الحروف و أصنافها لأن حاجة

(_____ ۱) ابن يعيش: شرح المفصل ۱۰/

۱۲۲. (۲) همع الهوامع ۲/ ۲۲۸. (۳) همع الهوامع ۲/ ۲۳۰. (۴) التحدید ص ۱۵۴. و ینظر عبد الوهاب القرطبی: الموضح ص ۹۹.

أبحاث فی علم التجوید، ص: ۸۱ قارئ القرآن إلی معرفة ذلک فی کل حرف ماسّة، لیخرجه من مخرجه، و یؤدی حقه بتمامه، علی اللغة التی أنزل اللّه تعالی القرآن بها، و لأن بعدها باب الإدغام لمن أراد معرفة تفصیله منها، لأنه یحتاج إلیها فیه لیعلم المتباعد من المتقارب، و المتشاکل من المتنافر، حتی یظهر ما یجوز أن یدغم مما لا یجوز فیه، فإنه لا یدغم فی المتباعد و لا المتنافر، و یدغم مع المتقارب و المتشاکل، أ لا تری أن حروف الحلق لا تدغم فی حروف الفم لتباعدها منها، فلهذا یحتاج إلی معرفة مخارج الحروف و أصنافها فی معرفة الإدغام و وجوهه، و اللّه ولی التوفیق» «۱». و قال أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمذانی (ت ۵۶۹ ه) فی أول باب مخارج الحروف و صفاتها: «اعلم أن هذا الباب من أشرف أصول القراءة، و أهم فصول التلاوة، و ذلک أن الحروف أصل الکلام کله، و علیها مدار تألیفه، ثم من یقرأ القرآن، و یتعاطی هذا الشأن، متی ما أهمل إحکام هذا الباب لم یهتد إلی تجوید القراءة و تهذیبها، و کان کمن رام قطع تیه «۲» بلا دلیل، و إصعاد قنة نیق «۳» بغیر ما سبیل، فإذا عرف الحروف و أتقنها، و لاحظ أجناسها و أحکمها، ثم انضاف إلی ذلک طبع یتقبل هذا الشأن و یمتزج به، أشفی به ذاک علی القراءة الصحیحة و الألفاظ القویمة، بعون اللّه و منّه» «۴». و حدّد الحسن بن قاسم المرادی (ت ۷۴۹ ه) أرکان علم التجوید، و بیّن مستلزماته بقوله: «إن تجوید القراءة یتوقف علی أربعة أمور: أحدها: معرفة مخارج الحروف. و الثانی: معرفة صفاتها.

(_____ ۱) الإیضاح فی القراءات ورقة ۷۵.

(۲) التیه: المفازة، یتاه فیها (لسان العرب ۱۷/ ۳۷۵). (۳) النیق: الطویل من الجبال (اللسان ۱۲/ ۲۴۲)، و القنّة: أعلی الجبل (اللسان ۱۷/ ۲۲۸). (۴) التمهید فی معرفة التجوید ورقة ۱۴۱ ظ. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۸۲ و الثالث: معرفة ما یتجدد لها بسبب الترکیب من الأحکام. و الرابع: ریاضة اللسان بذلک و کثرة التکرار. و أصل ذلک کله و أساسه تلقّیه من أولی الإتقان، و أخذه عن العلماء بهذا الشأن، و إن انضاف إلی ذلک حسن الصوت و جودة الفک و ذرابة اللسان و صحة الأسنان کان الکمال» «۱». و قال المرادی بعد أن فرغ من تفصیل الکلام علی المخارج و الصفات: «و اعلم أن صفات الحروف أغمض و أدق من مخارجها، فعلیک بإتقانها، فإنه ملاک التجوید» «۲». و قال ابن الجزری (ت ۸۳۳ ه): «أول ما یجب علی مرید إتقان قراءة القرآن تصحیح إخراج کل حرف من مخرجه المختص به تصحیحا یمتاز به عن مقاربه، و توفیة کل حرف صفته المعروفة به توفیة تخرجه عن مجانسه، یعمل لسانه و فمه بالریاضة فی ذلک إعمالا یصیّر ذلک طبعا و سلیقة .. فإذا أحکم القارئ النطق بکل حرف علی حدته موفّ حقه، فلیعمل نفسه بإحکامه حالة الترکیب، لأنه ینشأ عن الترکیب ما لم یکن حالة الإفراد ...» «۳». و قد صاغ ابن الجزری هذا المعنی صیاغة واضحة فی قصیدته المشهورة بالمقدمة، و ذلک حیث قال: «۴» و بعد إن هذه مقدّمه فیما علی قارئه أن یعلمه إذ واجب علیهم محتّم قبل الشروع أوّلا أن یعلموا مخارج الحروف و الصفات لیلفظوا بأفصح اللغات

(_____ ۱) شرح الواضحة ۳۰، و ینظر: الدراسات الصوتیة ۶۰ هامش ۱. (۲) المفید ۵۴. (۳) النشر ۱/ ۲۱۴. (۴) متن الجزریة ۵- ۶. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۸۳ و قال الشیخ خالد الأزهری: «و قوله (قبل الشروع) أی یجب علی کل قارئ قبل الشروع فی القرآن أن یعلم مخارج الحروف و صفاتها، لیحسن التلفظ بأفصح اللغات، و هی لغة العرب، و بها نزل القرآن» «۱». و لما کان لمعرفة مخارج الحروف و صفاتها هذه الأهمیة فی إتقان التلاوة و معرفة أحکامها و الوقوف علی أسرارها فإن علماء التجوید المتقدمون جعلوا المبحث الخاص بالمخارج و الصفات فی صدر کتبهم، قبل کلامهم علی الأحکام الصوتیة الناشئة عن الترکیب مثل الإدغام و الإخفاء و الترقیق و التفخیم و الإمالة و المدود و نحوها، و النصوص التی نقلتها من کتبهم تشیر إلی ذلک، و لا أجد ضرورة لإطالة الکلام فی استعراض أبواب مؤلفاتهم لکی یتضح موضع مبحث مخارج الحروف و صفاتها منها، و من أراد الوقوف علی ذلک فعلیه بإلقاء نظرة فی فهرس موضوعات تلک الکتب «۲». و إذا نظرنا فی کتب علم التجوید (أو قواعد التلاوة) المؤلفة فی القرن الماضی و مطالع هذا القرن لوجدنا تباینا فی الموضع الذی

یحتله مبحث المخارج و الصفات فیها، و یمکن أن أجمل مذاهب مؤلفی تلک الکتب فی أربعة اتجاهات: ۱- منهم من وضع ذلک المبحث فی وسط الکتاب، بعد أن تحدث عن عدد من الظواهر الصوتیة الناشئة عن الترکیب، ثم یکمل بحث تلک الظواهر بعد أن یستوفی حدیثه عن المخارج و الصفات. ۲- و منهم من وضع ذلک المبحث فی آخر الکتاب.

(_____۱) الحواشی الأزهریة ۶. (۲) ینظر مثلا: الدانی: التحدید ۱۰۴، و مکی: الرعایة ۹۱، و عبد الوهاب القرطبی: الموضح ۸۷، و ابن الجزری: التمهید ۹۵ و ۱۱۳، و النشر ۱/ ۱۹۸ و ۲۰۲، و البقری: غنیة الطالبین ورقة ۱ ظ، و المرعشی: جهد المقل ۱۰۰ و ۱۱۴. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۸۴ ۳- و منهم من وضعه فی أول الکتاب، و هم قلة قلیلة. ۴- و بعضهم حذف هذا المبحث من کتابه جملة و تفصیلا.

### فمن أمثلة الاتجاه الأول:

فمن أمثلة الاتجاه الأول: ما ذکره مؤلف کتاب «البرهان فی تجوید القرآن» «۱»، فقد جاءت موضوعاته مرتبة علی هذا النحو بعد المقدمة: الاستعاذة و البسملة، أحکام النون الساکنة و التنوین، أحکام المیم الساکنة، حکم لام أل و لام الفعل، باب مخارج الحروف، صفات الحروف، باب الترقیق و التفخیم، باب المثلین و المتقاربین و المتجانسین، باب المد و القصر ... الخ. و من أمثلته أیضا ما ذکره مؤلف کتاب «الرائد فی تجوید القرآن»، و مؤلف کتاب «فن التجوید»، و مؤلف «رسالة فی قواعد التلاوة»، و کتاب «الأصول فی تجوید القرآن الکریم»، و کتاب «الفرید فی فن التجوید» «۲».

### و من أمثلة الاتجاه الثانی:

و من أمثلة الاتجاه الثانی: ما ذکره مؤلف کتاب «هدایة المستفید فی أحکام التجوید» حیث جاء مبحث المخارج و الصفات فی آخر مباحث التجوید هکذا «۳»: أحکام الاستعاذة و البسملة، أحکام النون الساکنة و التنوین، أحکام المیم الساکنة، أحکام أل المعرفة، أحکام اللام الواقعة فی الفعل، أحکام الإدغام، أحکام الراء، مخارج الحروف، صفات الحروف، أقسام الوقف، و تتمة تتصل بالقراءة و ختم القرآن. و من أمثلته أیضا ما ذکره مؤلف کتاب «ملخص العقد الفرید فی فن التجوید»، و مؤلف کتاب «کفایة الراغبین فی تجوید القرآن المبین»، و مؤلف کتاب «خلاصة

(_____۱) هو الأستاذ محمد الصادق قمحاوی، و قد فرغ من تألیفه سنة ۱۳۷۵ ه ۱۹۵۶ م. (۲) تنظر قائمة المصادر للوقوف علی أسماء مؤلفیها و بلدانهم و تواریخهم. (۳) هو الشیخ محمد محمود النجار الحموی المشهور بأبی ریمة، و قد فرغ من تألیفه سنة ۱۳۱۶ ه. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۸۵ فی علم التجوید» و مؤلف کتاب «حق التلاوة» الذی جعل مبحث صفات الحروف فی وسط الکتاب، و جعل مبحث المخارج فی آخر الکتاب.

### و من أمثلة الاتجاه الثالث

و من أمثلة الاتجاه الثالث ، الذی یرد فیه بحث المخارج و الصفات فی أول المباحث: ما ذکره مؤلف کتاب «التجوید و الأصوات» حیث لخص فی المباحث الأولی من کتابه قضایا علم الأصوات ثم أردفها بأحکام التجوید «۱». و من أمثلته أیضا کتاب «قواعد التلاوة و علم التجوید»، و کتاب «قواعد التلاوة»، و کتاب «نظرات فی علم التجوید»، و کتاب «التجوید الواضح»، و کتاب «عمدة المفید و عدة المجید فی أصول التجوید».

### و من أمثلة الاتجاه الرابع

و من أمثلة الاتجاه الرابع ، حیث خلت مؤلفات هذا الاتجاه من مبحث المخرج و الصفات: کتاب «تحفة الراغبین فی تجوید الکتاب المبین»، و لعل مؤلف هذا الکتاب لم یذکر هذا المبحث حرصا منه علی الإیجاز و الاختصار «۲»، لأنه حین شرح منظومة «هدایة الصبیان فی تجوید القرآن» و کانت خالیة منه، قال: «و لما لم یتعرض المصنف لبیان مخارج الحروف و صفاتها، و هما مما یحتاج إلی معرفته ذیّلت هذه الکلمات بنبذة حوت من الفوائد ما لا بد للقارئ من معرفته» و منها مخارج الحروف و صفاتها «۳». و من أمثلة هذا الاتجاه أیضا کتاب «المقتطف منظومة فی علم الصوت اللغوی» «۴»، و «دلیل معلم القرآن الکریم فی مرحلة التعلیم الأساسی فی الوطن

(_____ ۱) هو الدکتور إبراهیم محمد نجا، عمید کلیة اللغة العربیة فی جامعة الأزهر فی زمانه و الکتاب (د. ت). (۲) هو الشیخ محمد علی خلف الحسینی المعروف بالحداد، شیخ القراء فی مصر (ت ۱۳۵۷ ه ۱۹۳۹ م). ینظر: الأعلام ۶/ ۳۰۴. (۳) ینظر: إرشاد الإخوان شرح هدایة الصبیان ۲. (۴) للمؤلف د. عبد اللّه مصطفی وجهة نظر تتلخص فی أن علم الأصوات ینقسم إلی قسمین: أبحاث فی علم التجوید، ص: ۸۶ العربی» «۱». و من کتب هذا الاتجاه ذات الشهرة فی عصرنا کتاب «فتح الأقفال بشرح تحفة الأطفال» للشیخ سلیمان بن حسین الجمزوری، و هو یرجع إلی عصر أقدم قلیلا من الحقبة التی نتناول کتبها بالدراسة فی هذا البحث «۲». إن الموقع المناسب لمبحث المخارج و الصفات فی کتب علم التجوید هو أولها، قبل عرض الأحکام الصوتیة الناشئة عن الترکیب، لأن فهم هذه الأحکام و الوقوف علی قوانینها الصوتیة ینبنی علی معرفة مخارج الأصوات و صفاتها، و إن من لم یحط علما بالمخارج و الصفات فإن معرفته بالأحکام ستکون ناقصة، و قد قرر ذلک علماء التجوید المتقدمون علی نحو ما یتضح من النصوص التی نقلتها من کتبهم فی أول هذا المبحث، کما أن علماء الأصوات اللغویة المعاصرین یخصصون صفحات کثیرة فی صدر کتبهم لوصف أعضاء آلة النطق و کیفیة إنتاج الأصوات اللغویة و دراسة مخارج الأصوات و صفاتها و تصنیفها. و من ثم فإن دراسة مخارج الأصوات و صفاتها فی آخر کتب علم التجوید لا یحقق الفائدة من دراستها، و کذلک فإن دراستها فی وسط تلک الکتب یؤدی إلی النتیجة نفسها، إضافة إلی دلالته علی اضطراب فی المنهج، لأن حاجة دارس أحکام النون الساکنة إلیها مثلا- لا تقل عن حاجة دارس أحکام إدغام المتقاربین و المتجانسین. و تلزم الإشارة هنا إلی أن الکتب المؤلفة لتعلیم قواعد التلاوة یجب أن

(_____ علم المخارج) و یعنی بالأصوات المفردة، و (علم التجوید) و یعنی بأحکام الأصوات مرکبة بعضها مع بعض. و قد جعل منظومته فی العلم الثانی، و من ثم أهمل مبحث المخارج و الصفات. (ینظر: مجمع الأشتات ۲۸۴). (۱) تألیف د. محمد عبد الرحمن حامد الفولی، أصدرته المنظمة العربیة للتربیة و الثقافة و العلوم، تونس ۱۴۰۸ ه ۱۹۸۸ م. (۲) تأریخ تألیفه سنة ۱۱۹۸ ه ۱۷۸۴ م. (ینظر: معجم المؤلفین ۴/ ۲۵۷). أبحاث فی علم التجوید، ص: ۸۷ یراعی فیها مستوی من یستخدمها، و أحسب أن الکتب التی تخصص لتعلیم الأطفال یمکن أن تخلو من مبحث المخارج و الصفات، کما یحسن أن تبسّط فیها القواعد علی نحو یسهل معه استیعابها و تطبیقها، أما الکتب المؤلفة للمراحل المتقدمة فیلزم أن یتصدرها مبحث المخارج و الصفات و أن تفصّل فیها الأحکام بالقدر المناسب لکل مرحلة. و لا- یکفی وضع مبحث المخارج و الصفات فی أول تلک الکتب، و لکن یجب النظر فی المادة التی تضمنها هذا المبحث، فقد لاحظت أن أکثر الکتب التی تشملها هذه الدراسة عالجت الموضوع بطریقة لا تخلو من المآخذ و التعقیدات التی تحول بین الدارس و فهمه لحقائق هذا الموضوع بالصورة التی تمکنه بعد ذلک من فهم الأحکام الصوتیة الناشئة عن الترکیب. و هذه قضیة ستکون موضوع المبحث الثانی من هذا البحث إن شاء اللّه تعالی.

## المبحث الثانی ملاحظات حول المادة العلمیة فی کتب علم التجوید أو قواعد التلاوة

## اشارة

المبحث الثانی ملاحظات حول المادة العلمیة فی کتب علم التجوید أو قواعد التلاوة إن الملاحظات التی سوف أعرضها فی هذا المبحث حول المادة العلمیة فی کتب علم التجوید المؤلفة فی القرن الهجری الماضی و هذا القرن لا تشمل الأخطاء الفردیة التی قد یقع فیها بعض المؤلفین، و لا الاجتهادات الخاصة التی یتبناها بعض الباحثین، و لکنها تترکز حول قضایا عامة أخذ بها مؤلفو تلک الکتب و صاغوها بعبارات یشوبها الغموض، و هی فی الواقع لم تعد تتطابق مع حقائق العلم و لا تتوافق مع المأخوذ به فی التلاوة، و سوف أکتفی بتناول قضیة واحدة من کل باب من أبواب علم التجوید الثلاثة الأساسیة: باب المخارج، و باب الصفات، و باب الأحکام الصوتیة الناشئة عن الترکیب. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۸۸

## أولا- مخرج صوت الضاد:

أولا- مخرج صوت الضاد: حصل اختلاف فی عدد مخارج أصوات العربیة، فذهب کثیر من علماء العربیة و التجوید إلی أنها ستة عشر، و منهم من جعلها سبعة عشر، و بعضهم عدّها أربعة عشر، و من المحدثین من یحصرها فی اثنی عشر مخرجا «۱». و لا یستند هذا التباین إلی اختلاف فی حقیقة نطق الأصوات، و إنما یرجع ذلک إلی اختلاف وجهة نظرهم فی جعل أصوات مثل (ل، ر، ن) من مخرج واحد أو من ثلاثة مخارج، و نحو ذلک مما یمکن أن تختلف فیه الأنظار، من غیر أن یکون لذلک أثر فی النطق أو طریقة الأداء. و هناک صوت واحد من أصوات العربیة أثار تحدید مخرجه نقاشا طویلا بین الدارسین المحدثین، و هو صوت الضاد، فقد لاحظوا أن تحدید علماء العربیة و علماء التجوید لمخرج هذا الصوت لم یعد یتطابق مع أداء مجیدی القرآن المعاصرین، و لکن ظل مؤلفو کتب التجوید المعاصرین یرددون عبارة سیبویه فی تحدید مخرج هذا الصوت و إن کانت طریقة أدائهم له لا تتطابق مع ما یسطرونه فی کتبهم. و کان سیبویه، رحمه اللّه، قد قال فی تحدید مخرج الضاد: «و من بین أوّل حافّة اللسان و ما یلیها من الأضراس مخرج الضاد» «۲». و تحدّث أیضا عن الضاد الضعیفة، و هی نوع غیر مستحسن من نطق الضاد العربیة فی زمانه، فقال: «إلا أن الضاد الضعیفة تتکلّف من الجانب الأیمن، و إن شئت تکلفتها من الجانب الأیسر و هو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقة» «۳». و عدّ سیبویه الضاد العربیة (_____ ۱) ینظر کتابی: الدراسات الصوتیة ۱۷۶. (۲) الکتاب ۴/ ۴۳۳. (۳) الکتاب ۴/ ۴۳۲. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۸۹ من الحروف الرخوة التی یجری فیها الصوت، و لا ینحبس النّفس فی مخرجها، إضافة إلی کونها صوتا مجهورا «۱». و الضاد بهذه الصفات لم یعد لها وجود فی النطق العربی الفصیح فی زماننا، لا فی قراءة القرآن و لا فی غیرها، و قد صارت علی ألسنة بعضهم دالا مفخمة، کما فی مصر، و صارت علی ألسنة آخرین صوتا لا یختلف عن الظاء فی شیء کما فی العراق «۲». و هناک مناقشات کثیرة لدی القدماء و المحدثین حول ما أصاب صوت الضاد من تطور «۳»، لا یعنینا أمرها فی هذا البحث بقدر ما یعنینا هنا أن نشیر إلی أن تمسک مؤلفی کتب علم التجوید فی زماننا بعبارة سیبویه فی وصف مخرج الضاد لم یعد مناسبا، و أن علیهم أن یفکروا فی وصف جدید لمخرج هذا الصوت یتطابق مع نطقه الفعلی علی ألسنة مجیدی القراءة، و أن تغییر عبارة سیبویه تغییرا محدودا لیس کافیا فی تصحیح الأمر. و إذا حاول الدارس أن یدقق فی عبارات المؤلفین فی تحدید مخرج الضاد، و هم یرددون فی الواقع عبارة سیبویه، سیجد اضطرابا فی الألفاظ، و خلطا بین مخرجی الضاد العربیة و الضاد الضعیفة، مما أدی إلی غموض المعنی و صعوبة الوقوف علی حقیقة مخرج هذا الصوت الذی یتحدثون عنه، فسیبویه حین قال: «و من بین أول حافة اللسان و ما یلیها من الأضراس مخرج الضاد» فإن عبارته واضحة، فحافة اللسان جانبه، و للسان حافتان من جهة یسار الفم و یمینه «۴». فالضاد صوت جانبی ینفذ النّفس حین النطق به من بین أول حافته- من جهة (_____ ۱) الکتاب ۴/ ۴۳۴- ۴۳۵. (۲) ینظر:

إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ۴۸، و یوسف الخلیفة أبو بکر: أصوات القرآن ۶۹، و حسام النعیمی: أصوات العربیة ۵۰. (۳) ینظر: الدراسات الصوتیة ۲۶۵- ۲۸۱. (۴) ینظر: ابن غانم المقدسی: بغیة المرتاد ۱۲۱. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۹۰ أقصاه علی ما یبدو- و الأضراس، و هی الطواحن، علی جانبی الفم، ثمان من فوق، و ثمان من أسفل، فی کل جانب أربع «۱». و هو صوت مجهور، رخو، مطبق. و هذه الأمثلة من عبارات المؤلفین الذین یشملهم البحث فی تحدید مخرج الضاد: ۱- الضاد «یخرج من حافة اللسان مما یلی الأضراس» «۲». ۲- من أول حافته إلی ما یلی الأضراس من الجانبین أو من أحدهما ض» «۳». ۳- «إحدی حافتی اللسان و ما یحاذیه من الأضراس العلیا، و یخرج منه الضاد المعجمة، و خروجها من الجهة الیسری أسهل و أکثر استعمالا، و من الیمنی أصعب و أقل استعمالا، و من الجانبین أعز و أعسر، فهی أصعب الحروف مخرجا» «۴». ۴- «من أول حافة اللسان إلی ما یحاذی الضرس الضاحک مع ما یلی الأضراس العلیا المحاذی لأقصی اللسان» «۵». ۵- «إحدی حافتی اللسان (أی جانبه) مع ما یحاذیها من الأضراس العلیا التی أولها الناجذ المسمی بضرس العقل، و آخرها الضاحک المجاور للناب، و هو مخرج الضاد (ض) الذی هو أصعب الحروف علی اللسان، و خروج الضاد من الجهة الیسری أسهل و أکثر استعمالا، و من الجهة الیمنی أصعب و أقل استعمالا، و من الجانبین أعز و أصعب. و کان سیدنا رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یخرج

(_____ ۱) الأسترآبادی: شرح الشافیة ۳/ ۲۵۲. (۲) إرشاد الإخوان ۶۳. (۳) فن التجوید ۳۸. (۴) البرهان فی تجوید القرآن ۱۶. (۵) التجوید الواضح ۲۸. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۹۱ الضاد من الجانبین، لذلک کان یقول «۱»: «أنا أفصح من نطق بالضاد، بید أنی من قریش» ...» «۲». إن المتفحص للنصوص السابقة یلاحظ علیها عدة ملاحظات: الملاحظة الأولی: إن هذا التحدید لمخرج الضاد لا ینطبق علی الضاد التی ینطقها مجید قراءة القرآن فی زماننا. الملاحظة الثانیة: أن جمیع تلک النصوص لم تحافظ علی عبارة سیبویه، و قد غیرت فیها بالزیادة علیها أو بتغییرها. و الملاحظة الثالثة: أن بین تلک النصوص من الاختلاف فی العبارة ما یؤدی إلی اختلاف المعنی، فهناک فرق کبیر بین العبارات الثلاث الآتیة: عبارة سیبویه: من بین أول حافة اللسان و ما یلیها من الأضراس. عبارة إرشاد الإخوان: من حافة اللسان مما یلی الأضراس. عبارة فن التجوید: من أول حافة اللسان إلی ما یلی الأضراس. و هکذا فی النصوص الأخری، علی ما فیها من التطویل الحاصل من خلط کلام سیبویه علی مخرج الضاد الفصیحة بکلامه علی الضاد الضعیفة. إن علماء الأصوات اللغویة المعاصرین یقررون أن الضاد التی ینطقها الآن مجید و القراءة لیست الضاد العربیة القدیمة، و أنها تختلف عنها فی المخرج و بعض الصفات، فمخرجها من بین طرف اللسان و أصول الثنایا (اللثة)، مع الطاء و الدال و التاء، و هی مجهورة مطبقة کالضاد القدیمة، و لکنها صارت فی

(_____ ۱) قال ابن الجزری (النشر ۱/ ۲۲۰): «و الحدیث مشهور علی الألسنة: أنا أفصح من نطق بالضاد» لا أصل له و لا یصح. (۲) رسالة فی قواعد التلاوة ۶۴. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۹۲ النطق المعاصر صوتا شدیدا (انفجاریا) و فقدت صفة الرخاوة، و لا فرق بینها و بین الطاء إلا أن الضاد مجهورة و الطاء مهموسة (فی النطق المعاصر)، کما أنه لا فرق بینها و بین الدال سوی أن الضاد مطبقة و الدال منفتحة «۱». و إذا کان الأمر کذلک فهل یصح أن یظل مؤلفو علم التجوید المعاصرون یرددون عبارة سیبویه فی تحدید مخرج الضاد، مع ما فی عبارتهم من تحریف لها؟ و أ لا یستحقّ الأمر منهم وقفة، أو مناقشة؟ و إنی أحسب أن الأمر یستحق أکثر من ذلک، و عسی أن یصار إلی عقد ندوة أو مؤتمر علمی فی یوم ما، لحسم موضوع الضاد فی کتب علم التجوید و فی الأداء!

### ثانیا- تعریف الصوت المجهور:

ثانیا- تعریف الصوت المجهور: تتحدد ملامح الصوت اللغوی من خلال الموضع الذی یحدث فیه الحبس للنّفس أو التضییق له، و هو المخرج، و من خلال الکیفیات المصاحبة لتکوّن الصوت فی مخرجه، و هی الصفات. و قد جرت عادة الدارسین أن یتناولوا بالحدیث

أولا المخارج، ثم يتبعوها بالصفات «۲». و قد أشرت إلى بعض القضايا المتعلقة بالمخارج فی الفقرة السابقة، و يتطلب الحديث عن الصوت المجهور هنا الكلام على الصفات و لو بصورة موجزة. و لعل أهم الصفات التی تحدد ملامح الصوت بالإضافة إلى ما يحدث له فی المخرج من حبس أو تضييق للنفس هو صفة الجهر و الهمس، و الشدة و الرخاوة، و الإطباق و الانفتاح، و هناك صفات صوتية أخرى لا- تسهم فی التفريق بين (_____ ۱)

ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ۴۸، و كمال محمد بشر: الأصوات ۱۳۳، و يوسف الخليفة أبو بكر: أصوات القرآن ۶۹. (۲) بحث بعض المؤلفين المعاصرين الصفات قبل المخارج (ينظر: التجويد الواضح ۱۲ و ۲۴ و حق التلاوة ۹۰ و ۱۱۴، و خلاصة فی التجويد ۶۷ و ۶۹). و هذا خلاف ما تقتضيه طبيعة الموضوع. أبحاث فی علم التجويد، ص: ۹۳ الأصوات التی تخرج من مخرج واحد، و إن كانت توضّح جانبا من خصائص الأصوات، و لا يستلزم الموضوع التعرض لها هنا، و هی مفصلة فی مواضعها من كتب علم التجويد و علم الأصوات اللغوية. و الصوت المجهور- عند علماء الأصوات المحدثين- هو الصوت الذی يصاحب تكوّنه فی مخرجه تذبذب (أو اهتزاز) الوترين الصوتيين فی الحنجرة، و هما يشبهان شفتين رقيقتين تعترضان مجرى النفس فی أعلى القصبة الهوائية، فإذا تذبذب الوتران حدثت نغمة صوتية مصاحبة لتكوّن الصوت فی مخرجه تسمى الجهر، و سمّی ذلك الصوت مجهورا، و إذا ظل الوتران ساكنين فی أثناء تكوّن الصوت فی مخرجه لم تحدث تلك النغمة، و كان الصوت مهموسا، و الأصوات المجهورة فی العربية فی النطق المعاصر خمسة عشر صوتا هی: ع غ ج ی ل ر ن د ض ز ذ م ب و، و المهموسة ثلاثة عشر صوتا هی: ه ء ح خ ق ك ش ت ط س ص ث ف «۱». أما وصف الصوت بالشدة و الرخاوة فإن ذلك يعتمد على كيفية مرور الهواء فی مخرج الصوت، فإذا حبس النّفس فی المخرج حبسا كاملا ثم أطلق بعد ضغطه لحظة كان الصوت شديدا و يسميه كثير من المحدثين انفجاريا، و إذا حصل تضييق لمجرى النفس فی المخرج من غير أن يحتبس فيه كان الصوت رخوا، و يسميه كثير من المحدثين احتكاكيا. و يحصل فی أثناء نطق بعض الأصوات اعتراض لمجرى النفس فی المخرج، و لكن لا يحصل حبس تام، لأن النفس يجد له منفذا يتسرب منه، و يسمى الصوت حينئذ متوسطا. و الأصوات الشديدة فی العربية فی النطق المعاصر هی: ء ق ك ج ط ت د (_____ ۱) ينظر: إبراهيم انيس: الأصوات اللغوية ۱۷، و محمود السعران: علم اللغة ۱۴۴، و كمال محمد بشر: الأصوات ۸۴، أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوی ۸۰. أبحاث فی علم التجويد، ص: ۹۴ ض ب، و الأصوات الرخوة هی: ه ع ح غ خ ش ص ز س ظ ذ ث ف ی و «۱»، و المتوسطة: ل ر ن م «۲». أما وصف الصوت بالإطباق و الانفتاح فإن ذلك يعتمد على حالة أقصى اللسان عند النطق بأصوات طرف اللسان، فإذا تصعد أقصى اللسان اتخذ شكلا مقعرا يشبه الطبق، و كان الصوت مطبقا، و أصوات الإطباق فی العربية أربعة هی: ص ط ض ظ، و ما عداها منفتحة «۳». و كان سيبويه، رحمه اللّه، قد تحدث عن صفات الأصوات حديثا دقيقا و مفصلا، و كان حديثه ذلك معتمد الدارسين من بعده، لكن عبارته فی تعريف الصوت المجهور لا تخلو من غموض لم يتمكن العلماء من إزالته إلا فی العصر الحديث، و قد ظل المؤلفون فی علم التجويد من المحدثين يرددون عبارة سيبويه بعد أن أدت كثرة تناقلها فی الكتب و تقادم العهد بها إلى حصول تحريفات فاحشة فيها تستلزم أن يعيدوا النظر فيها و يريحوا قرّاء كتبهم و المتعلمين فيها من هذا العناء الذی يكابدونه و هم يعالجون نصوصا صارت أشبه ما تكون بالألغاز أو الأحاجی. قال سيبويه فی تعريف الصوت المجهور: «حرف أشبع الاعتماد فی موضعه، و منع النّفس أن يجری معه حتى ينقضی الاعتماد و يجری الصوت» و الأصوات المجهورة عنده هی: ء ا ع غ ق ج ی ض ل ن ر ط د ز ظ ذ ب م و. و قال فی تعريف الصوت المهموس: «فأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فی موضعه حتى جری النفس معه ...»، و الأصوات المهموسة عنده عشرة هی: ه ح خ ك ش س ت ص ث ف. (_____ ۱) عدّ بعض الدارسين الياء و الواو من الأصوات المتوسطة، و فی ذلك نظر، يراجع كتاب الدراسات الصوتية ۲۵۸. (۲) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ۲۲. (۳)

ینظر: إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ۴۷- ۴۸. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۹۵ و عرّف الصوت الشدید بقوله: «و هو الذی یمنع الصوت أن یجری فیه ..» «۱». و کان قد توقف عدد من الباحثین المحدثین أمام تعریف سیبویه للصوت المجهور طویلا، محاولین تفسیره بموجب الفهم المعاصر لظاهرة الجهر، و هم لا یخفون حیرتهم فی بعض جوانبه، و لکنهم یقررون مع ذلک أن تحدید سیبویه للأصوات المجهورة و المهموسة یتطابق مع ما دلّت علیهم الدراسات المعاصرة ما عدا صوت الهمزة و القاف و الطاء التی وصفها سیبویه بالجهر و هی عند المحدثین مهموسة «۲». و إذا دقق الباحث فی کتب التجوید المعاصرة فإنه سوف یجد اضطرابا کبیرا فی تعریف الصوت المجهور و الصوت المهموس، و تحریفا مفسدا لعبارة سیبویه التی لا تخلو من غموض أصلا، و هذه أمثلة من تلک الکتب: ۱- قال مؤلف کتاب البرهان: «الهمس: لغة الخفاء، و اصطلاحا جریان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد علی المخرج، و حروفه عشرة یجمعها قوله: (فحثه شخص سکت) ... و الجهر: لغة الإعلان، و اصطلاحا انحباس جریان النّفس عند النطق بحروفه لقوة الاعتماد علی المخرج، و حروفه تسعة عشر، و هی الباقیة بعد حروف الهمس» «۳». و ردّد کثیر من المؤلفین المعاصرین هذا التعریف «۴ (_____». ۱) الکتاب ۴/ ۴۳۴. (۲) ینظر: إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ۱۲۰، و عبد الصبور شاهین: فی التطور اللغوی ۲۳۰، و حسام النعیمی: الدراسات اللهجیة و الصوتیة عند ابن جنی ۳۱۳. (۳) البرهان فی تجوید القرآن ۱۹. (۴) ینظر: فن التجوید ۴۲، و الرائد فی تجوید القرآن ۴۳، و حق التلاوة ۹۶، و قواعد التلاوة ۲۴، و قواعد التلاوة و علم التجوید ۳۵، و الفرید فی فن التجوید ۲/ ۱۴. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۹۶ ۲- و أضاف مؤلف «رسالة فی قواعد التلاوة» إضافة أخری إلی التعریف السابق تزید من غموضه و اضطرابه حین قال: «الجهر انحباس جری النّفس عند النطق بحروفه لقوة الاعتماد علی المخرج، مع تحرک حروفه» «۱». و حاول أن یفرق بین الجهر و الشدة من خلال تحرک الحرف و سکونه فقال: «و الفرق بین الجهر و الشدة: أن الجهر انحصار النّفس عند تحرک حروفه، و الشدة انحصاره عند إسکانها» «۲». و کل هذا مما لا أصل له فی کتب علم التجوید و لا یتطابق مع حقائق النطق بالأصوات. ۳- و نتیجة للتشابه الکبیر بین تعریف الصوت المجهور و الصوت الشدید لدی سیبویه، و استخدامه (جری النفس) فی المجهور و (جری الصوت) فی الشدید فإن الأمر قد التبس علی بعض المؤلفین المحدثین کما التبس علی السکاکی «۳» من قبل، فخلط بین الشدید و المجهور، و ذلک حیث یقول: «توضیح الهمس «۴» الهمس: معناه الخفاء، و ضده الجهر و هو الإعلان و الإظهار. و عدد حروف الهمس عشرة هی: حثّ شخصه فسکت. توضیح الشدة و الجهر «۱»: الشدة و الجهر: و معناهما القوة، و ضدهما الرخاوة. و معنی الرخاوة فی اللغة اللین. و الشدة و اللین هما صفتان متضادتان. و اصطلاحا: ضعف التصویت بالحرف فی مخرجه حتی جری معه النفس فکان فیه همس أی خفاء. و عددها ثمانیة هی: أ ج د ت ق ط ب ک. توضیح الرخاوة «۲»: الرخاوة: و معناها لغة اللین و اصطلاحا ضعف لزوم (_____ ۱) ینظر: رسالة فی قواعد التلاوة ۱۹، و ینظر: الأصول فی تجوید القرآن ۴۹. (۲) ینظر: مفتاح العلوم ۱۱. (۳) ینظر: کتاب الدراسات الصوتیة ۱۴۹. (۴) ینظر رسالة فی قواعد التلاوة ۱۹، و ینظر: الأصول فی تجوید القرآن ۴۹. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۹۷ الحرف له لضعف الاعتماد علیه فی مخرجه فسمی رخوا، و عدد حروفها سبعة و هی: ل م ی ر ع و ن» «۱». و یلاحظ أنه إلی جانب خلطه بین الشدة و الجهر قد أخطأ فی الحروف الرخوة فذکر مکانها الحروف المتوسطة التی عدها بعضهم سبعة. ۴- و اختصر بعض المؤلفین التعریف فصار تعریف المصطلحات الأربعة عنده هکذا: الهمس: جریان النفس عند النطق بالحرف. الجهر: عدم جریان النفس عند النطق بالحرف. الشدة: عدم جریان الصوت عند النطق بالحرف. الرخاوة: جریان الصوت عند النطق بالحرف «۲». و أحسب أن الأمر لا یتطلب إیراد تعریفات أخری للصوت المجهور، مما ورد فی کتب علم التجوید المؤلفة فی العصر الحدیث، لا سیما أن جمیع التعریفات التی أوردتها، و مثلها الأخری التی لم أوردها تتسم بما یأتی: أولا: لم تلتزم بعبارة سیبویه فی تعریف الصوت المجهور، و عبارة سیبویه لا تخلو من الغموض أصلا. ثانیا: إن الإضافات و التغییرات التی تعرضت لها عبارة سیبویه لا تستند إلی فهم لحقیقة الموضوع، و إنما هی تعریفات تراکمت

و انتهت إلی صورة مضطربة لا- تعبر عن حقیقة علمیة جدیدة. ثالثا: إن جمیع المؤلفین الذین أوردت النصوص السابقة کتبهم، و کذلک (_____ ۱) ینظر: التجوید الواضح ۱۴. (۲) ینظر: خلاصة فی علم التجوید ۶۷. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۹۸ الآخرین الذین لم أنقل عنهم ممن اطلعت علی کتبهم، یعدّون صوت الطاء و صوت القاف و صوت الهمزة من الأصوات المجهورة، و هی لیست کذلک فی النطق العربی الفصیح و قراءة مجیدی القراءة فی زماننا، بل هی أصوات مهموسة حسب التعریف الحدیث للجهر و الهمس «۱». و لعل هذه الحقائق تستلزم التأکید علی أمرین اثنین: ۱- وجوب إعادة صیاغة تعریف الصوت المجهور و الصوت المهموس، فی ضوء حقائق علم الأصوات اللغویة المعاصر، فی الکتب التی تؤلف فی علم التجوید، و تحویل تعریف سیبویه لهما إلی البحوث التاریخیة و عدم إیراده فی الکتب التعلیمیة. ۲- التوقف عن وصف الأصوات الثلاثة (ط ق ء) بصفة الجهر، لأنها أصوات مهموسة فی واقع التلاوة المعاصرة، و عسی أن یتقرر ذلک فی ندوة أو مؤتمر علمی یعقد لمناقشة قضایا الأداء و التلاوة القرآنیة فی زماننا.

### [ثالثا] إخفاء النون الساکنة:

#### اشارة

[ثالثا] إخفاء النون الساکنة: تتأثر الأصوات إذا تجاورت فی الکلام المنطوق، فیؤثر بعضها فی بعض، و یتوقف مقدار ذلک التأثر علی عدة عوامل، منها مقدار القرب و البعد بین الأصوات المتجاورة من حیث المخرج و الصفات، و منها طبیعة الصوت نفسه و ما یتمیز به من خصائص. و لعل النون الساکنة من أکثر أصوات العربیة تنوعا فی تأثرها بما یجاورها من أصوات، و یرجع ذلک إلی توسط مخرجها و تمیزها بصفة الأنفیة أی الغنة، و من ثم فإن أحکام النون الساکنة تشغل صفحات من کتب علم التجوید، و أفرد لها بعضهم رسائل مستقلة «۲ (_____». ۱) ینظر: إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ۶۲ و ۸۵ و ۹۱، و محمود السعران: علم اللغة ۱۶۸ و ۱۷۰، و کمال محمد بشر: الأصوات ۱۳۰ و ۱۴۱ و ۱۴۶، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوی ۲۹۴، و حسام النعیمی: أصوات العربیة بین التحول و الثبات ۲۵- ۳۷. (۲) مثل: علی بن عثمان بن القاصح (ت ۸۰۱ ه): نزهة المشتغلین، و زکریا الأنصاری (ت أبحاث فی علم التجوید، ص: ۹۹ إن صوت النون یتمیز بأن له معتمدا فی الفم حیث یستند طرف اللسان علی أصول الثنایا (اللثة)، و له مجری للنفس من الأنف، و یشارکه فی ذلک صوت المیم، أما بقیة أصوات العربیة فإن المعتمد و المجری یکونان فی مخرج الصوت ذاته، و قد قال بعض علماء التجوید المتقدمین لذلک: إن النون و المیم لهما مخرجان «۱». و تتلخص حالات النون إذا وقعت ساکنة قبل واحد من حروف العربیة الثمانیة و العشرین فی الأحکام الآتیة: ۱- الإظهار: قبل حروف الحلق الستة: ء ه ع ح غ خ. ۲- الإدغام: قبل حروف کلمة (یرملون)، بغیر غنة مع الراء و اللام، و بغنة مع حروف کلمة (ینمو). ۳- الإقلاب: قبل حرف الباء. ۴- الإخفاء: قبل حروف العربیة الباقیة، و هی خمسة عشر حرفا. و لا تحتمل طبیعة هذا البحث التوسع فی عرض تلک الأحکام، لا سیما بعد الجهود الکبیرة التی بذلها علماء العربیة و التجوید فی ذلک، لکن عبارة المؤلفین المعاصرین فی وصف الإخفاء تفتقر فیما أحسب إلی الوضوح الذی یستطیع المتعلم من خلاله فهم حقیقة هذه الظاهرة و أداءها بصورة صحیحة، و من ثم سوف أقتصر هنا علی عرض عباراتهم، و محاولة استجلاء طبیعة ظاهرة إخفاء النون الساکنة و حقیقتها فی النطق. کان سیبویه، رحمه اللّه، أول من فصّل الحدیث عن إخفاء النون الساکنة، و هو یتحدث عما تتعرض له النون من تأثر بالأصوات التی تجاورها، فقال: «و تکون _____ ۹۲۶ ه): تحفة نجباء العصر، و ناصر الدین الطبلاوی (ت ۹۶۶ ه): مرشدة المشتغلین، و محمد بن القاسم البقری (ت ۱۱۱۱ ه): العمدة السّنیّة. (۱) مکی: الکشف ۱/ ۱۶۴.

أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۰۰ النون مع سائر حروف الفم حرفا خفیا مخرجه من الخیاشیم، و ذلک أنها من حروف الفم، و أصل الإدغام لحروف الفم لأنها أکثر الحروف، فلما وصلوا إلی أن یکون لها مخرج من غیر الفم کان أخف علیهم ألا یستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة ... و ذلک قولک: من کان، و من قال، و من جاء» «۱». و تناول علماء التجوید المتقدمون ظاهرة إخفاء النون الساکنة بالبحث و التحلیل، علی نحو أکثر تفصیلا مما فعله سیبویه، فقال أبو عمرو الدانی: «و أما إخفاء النون و التنوین فحقّه أن یؤتی بهما لا مظهرین و لا- مدغمین، فیکون مخرجهما من الخیاشیم لا غیر، و یبطل عمل اللسان بهما، و یمتنع التشدید لامتناع قلبهما، و ذلک إذا لقیا حروف اللسان غیر الراء و اللام، و سنری هذا مبینا ممثلا- إن شاء اللّه- فی موضعه» «۲». و قد بین الدانی ذلک فی الباب الذی عقده لأحکام النون الساکنة و التنوین فقال: «و الحالة الرابعة: أن یکونا مخفیین، و ذلک عند باقی حروف المعجم، نحو: أنفسکم، و قوما فاسقین، و إن کنتم، و لئن قلت، و قوما قلنا، و ما أشبهه، و الفاء من حیث اتصلت بالتفشی بالثاء بمنزلة الثاء فی الإخفاء، و إنما أخفیا عندهن لأنهما لم یبعدا منهن کبعدهما من حروف الحلق، فیجب الإظهار للتراخی، و لم یقربا منهن کقربهما من حروف (لم یرو) فیجب الإدغام للمزاحمة، فأخفیا فصارا عندهن لا- مظهرین و لا- مدغمین، و غنتهما مع ذلک باقیة، و مخرجهما من الخیشوم خاصة، و لا عمل للسان فیهما، و الخیشوم خرق الأنف المنجذب إلی داخل الفم، و إخفاؤهما علی قدر قربهما و بعدهما، فما قربا منه کانا عنده أخفی مما بعدا منه، و الفرق بین المخفی و المدغم، أن المخفی مخفف و المدغم مشدد، و اللّه اعلم» «۳».

(_____ ۱) الکتاب ۴ / ۴۵۴. (۲) التحدید

۱۰۲. (۳) التحدید ۱۱۷. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۰۱ و کان عبد الوهاب القرطبی (ت ۴۶۱ ه) أکثر تدقیقا و هو یحاول توضیح حقیقة إخفاء النون، فقال: «و أما الإخفاء فحکم یجب عند اجتماع حرفین أخذا حالا متوسطة ... و حقیقته السّترة، لأن المخرج یستتر بالاتصال. فالتشدید إذن إدخال حرف فی حرف، و الإظهار هو قطع حرف من حرف، و الإخفاء هو اتصال حرف بحرف، فبالتشدید یدخل الحرف و یغیب، و بالقطع یظهر و یبین، و بالاتصال یخفی و یستتر، و لهذه العلة لم یکن الإخفاء إلا فی حرفی الغنة النون و المیم، لأن الاتصال لا- یتأتی إلا فیهما، لأن الصوت إذا جری فی الخیشوم أمکن اتصال حرفین من غیر إظهار و لا تشدید، و لذلک ینبغی أن یکون النطق بالمخفی بین التخفیف و التشدید، کما أنه بین الإظهار و الإدغام» «۱». و قال القرطبی و هو یورد أمثلة الإخفاء: «و معنی خفائها ما قدمناه من اتصال النون بمخارج هذه الحروف و استتارها بها و زوالها عن طرف اللسان، و خروج الصوت من الأنف من غیر معالجة بالفم ...» «۲». إن اتصال مخرج النون بمخرج الصوت الذی تخفی فیه و استتارها به یعنی انتقال معتمد النون فی الفم من طرف اللسان و اللثة إلی مخرج الصوت الذی یلیها، مع بقاء مجری النفس من الخیشوم الذی یعبّر عنه علماء التجوید بکلمة (الغنة). إن عبارة علماء التجوید المتأخرین عن الإخفاء غلب علیها التر کیز و الاختصار، فقال الشیخ زکریا الأنصاری (ت ۹۲۶ ه) مثلا، و هو یشرح کلام ابن الجزری عن الإخفاء فی مقدمته: «و الإخفاء لغة الستر و اصطلاحا النطق بحرف بصفة بین الإظهار و الإدغام، عار عن التشدید، مع بقاء الغنة فی الحرف الأول، و یفارق

(_____ ۱) الموضح ۱۵۷. (۲) الموضح ۱۷۰.

أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۰۲ الإخفاء الإدغام، لأنه بین الإظهار و الإدغام، و بأنه إخفاء الحرف عند غیره لا فی غیره، بخلاف الإدغام» «۱». و قد استمد الشیخ زکریا ذلک من کتابات المتقدمین علیه «۲». و کان سلیمان الجمزوری قد نظم قصیدته (تحفة الأطفال) سنة ۱۱۹۸ ه، ثم شرحها فی کتابه (فتح الأقفال)، و قال فی التحفة عن الإخفاء: و الرابع الإخفاء عند الفاضل من الحروف واجب للفاضل فی خمسة من بعد عشر رمزها فی کلم هذا البیت قد ضمّنتها صف ذا ثنا کم جاد شخص قد سما دم طیّبا زد فی تقی ضع ظالما و قال فی شرحها: «الرابع من أحکام النون الساکنة و التنوین الإخفاء لهما، و هو لغة الستر، و اصطلاحا عبارة عن النطق بحرف بصفة بین الإظهار و الإدغام عار عن التشدید مع بقاء الغنة فی الحرف الأول، فإخفاؤهما واجب بلا خلاف عند الفاضل، أی الباقی من الحروف ...» «۳». و نقل أکثر المؤلفین المعاصرین فی علم التجوید عبارة الشیخ زکریا الأنصاری و عبارة الجمزوری عن

الإخفاء مع إيراد البيت الذى ضمنه الجمزورى حروف الإخفاء فى أوائل كلماته «۴». و حاول مؤلف «فن التجويد» أن يغير فى

(_____ ۱) الدقائق المحكمة بهامش متن الجزرية ۲۸، و ينظر تحفة نجباء العصر ۶۰. (۲) ينظر: المرادى: المفيد: ۱۱۹. (۳) فتح الأقفال ۱۶- ۱۷. (۴) ينظر: ملخص العقد الفريد ۶، و البرهان فى تجويد القرآن ۹، و الرائد فى تجويد القرآن أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۰۳ تلك العبارة و لكنى أحسب أنه لم يزد الامر وضوحا، إن لم تكن عبارته أكثر غموضا و اضطرابا، و ذلك حين قال: «تعريف الإخفاء فى اللغة الستر، و فى الاصطلاح وجوب الغن بإخفاء النون الساكنة و التنوين عند ما يتلوهما حرف من حروفه ال ۱۵» «۱». و قال بعد ذلك: «و الإخفاء هنا إذهاب ذات النون و التنوين من اللفظ و إبقاء صفتها التى هى الغنة، فانتقل مخرجهما من اللسان إلى الخيشوم» «۲». و أحسب أن دقة ظاهرة الإخفاء و عدم وضوح عبارات المؤلفين المتأخرين عنها هو من أسباب تعدد صور أداء هذه الظاهرة لدى القراء المعاصرين التى يمكن تلخيصها فى ثلاثة مذاهب «۳»:

### المذهب الأول:

المذهب الأول: يخفى بعض القراء المعاصرين النون بنقل معتمد اللسان إلى مخرج الصوت الذى بعدها، مع بقاء جريان النفس من التجويف الأنفى، فيكون للنون المخفاة جرس متميز مع كل حرف من حروف الإخفاء الخمسة عشر.

### المذهب الثانى:

المذهب الثانى: يماثل المذهب الأول إلا فى نطق النون المخفاة عند التاء و الدال و الطاء و (الضاد) و ذلك بأن يجافى بعض القراء طرف لسانه قليلا فلا يلصقه باللثة عند النطق بالنون المخفاة قبل الأصوات المذكورة.

_____ ۱۱، و هداية المستفيد ۱۱، و الفريد فى فن التجويد ۱/ ۲۹، و خلاصة فى علم التجويد ۱۶، و الأصول فى تجويد القرآن الكريم ۳۸، و قواعد التلاوة ۷۲، و عمدة المفيد فى عدة المجيد ۳۴، و رسالة فى قواعد التلاوة ۵۱، و كفاية المستفيد ۳۱، و نظرات فى علم التجويد ۷۶، ... إلخ. (۱) فن التجويد ۲۳. (۲) فن التجويد ۲۵. (۳) ورد تحديد لمذاهب القراء المعاصرين فى إخفاء النون فى بحث كتبته سنة ۱۹۹۴ بعنوان (إخفاء النون: حقيقته الصوتية و طريقة أدائه لدى القراء المعاصرين) و هو فى طريقة إلى النشر الآن، إن شاء اللّه. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۰۴

### المذهب الثالث:

المذهب الثالث: يخفى قليل من القراء النون بأن يضع لسانه بمحاذاة اللثة و لا يلصقه بها، فيظل طرف اللسان شاخصا نحو اللثة غير منطبق عليها، و ذلك مع جميع حروف الإخفاء الخمسة عشر، فتكون النون المخفاة لدى هؤلاء صوتا واحدا ذا جرس واحد مع كل أصوات الإخفاء. و لا شك فى أن ترجيح المذهب الأول فى نطق النون المخفاة أمر ممكن، و تؤيده النصوص السابقة، و لكنى حين كتبت هذا البحث كنت أهدف إلى لفت الأنظار إلى قضايا مهمة فى كتب علم التجويد المعاصرة حتى تحظى بعناية المشتغلين بهذا العلم، و تتفق كلمتهم بصددها. و فى الدراسات الصوتية العربية المعاصرة ما يفيد فى دراسة ظاهرة إخفاء النون الساكنة، و على المشتغلين بعلم التجويد تأليفا أو تعليما أن يضموا ذلك إلى جهود علماء العربية و علماء التجويد المتقدمين حتى تتضح حقيقة الإخفاء للدارس و المتعلم و تتحدد طريقة أدائه، و هذا مثال لمعالجة حديثة لظاهرة إخفاء النون يمكن ان تكون نموذجا لما يجب أن تتضمنه كتب علم التجويد و هى تعالج هذا الموضوع: قال مؤلف كتاب «أصوات القرآن، كيف نتعلّمها و نعلّمها) و هو يتحدث عن إخفاء

النون: «نأتی إلی الحالة الثانیة من حالات الغنة و هی الإخفاء، و لنبسّط لک عملیة الإخفاء بغنة نلفت نظرک إلی أن مخرج النون، کما علمت، هو طرف اللسان مع اللثة (فوق أصول الثنایا العلیا)، و أن مخرج المیم و النون یخرج عن طریق الأنف، و فیما عداهما من الحروف یخرج عن طریق الفم. فی حالة الإخفاء تخرج النون من مخرج الحرف التالی لها من غیر إدغام و تبقی غنتها، کأنک تقول بعبارة أخری: إن الحرف التالی للنون یخرج من مخرجه الأصلی مع مرور الهواء عن طریق الأنف، فالنون فی أَنْذَرْتَهُمْ لم تخرج بوضع طرف اللسان وراء الأسنان العلیا [و إنما تخرج بوضع طرف اللسان أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۰۵ بین الثنایا العلیا] «۱» و السفلی، و هو مخرج الذال، و النون فی (منکم) خرجت من مخرج الکاف، و فی (إن فاتکم) خرجت من مخرج الفاء، و هکذا. و قد یکون مخرج الحرف الذی أخفیت فیه النون مجانسا أو مقاربا لمخرج النون کالتاء و الدال و الطاء فیتحد حینئذ المخرجان، نحو: أنتم، انطلقوا» «۲».

## الخاتمة

الخاتمة ۱- ناقش هذا البحث عددا من القضایا المتعلقة بکتب علم التجوید و قواعد التلاوة المؤلفة فی القرن الهجری الماضی و فی هذا القرن، و کشفت تلک المناقشة عن أمور یلزم إعادة النظر فیها و مراعاتها فی الکتب المؤلفة فی هذا العلم منها: تحدید مخرج الضاد، و تعریف الصوت المجهور و المهموس، و توضیح حالة إخفاء النون الساکنة. ۲- هناک قضایا أخری تحتمل المناقشة فی تلک الکتب، فی المنهج و المادة، لا تسمح طبیعة هذا البحث بالخوض فیها و مناقشتها، إذ الهدف من هذا البحث تنبیه المشتغلین بعلم التجوید فی زماننا و المؤلفین لکتبه و لفت أنظارهم إلی حقیقة مهمة تتلخص فی أن الکتب التی یتعلم فیها الناس علم التجوید فی زماننا لیست فی أحسن صورة، و أن علی من یتصدی للتألیف فی هذا العلم أن یلمّ إلماما کافیا بحقائق هذا العلم و أن یدرس کتبه القدیمة و یطلع علی کتب علم الأصوات اللغویة الحدیثة، و یفید منها فی الکشف عن دقائق النطق العربی.

(_____ ۱) ما بین المعقوفین زدته علی النص، لأن المعنی لا یستقیم بدونه. (۲) ینظر: یوسف الخلیفة أبو بکر: أصوات القرآن ۱۱۲- ۱۱۳، و ینظر مثال آخر لمعالجة حدیثة لظاهرة إخفاء النون فی کتاب: علم التجوید دراسة صوتیة میسرة ۱۰۸- ۱۲۰. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۰۶ ۳- إن العلوم تتقدم، و وسائلها تتطور، و المعارف تتسع، و طرق حیازتها تتنوع، و صار التخصص سمة العلم فی هذا العصر، فیجب علی المشتغلین بعلم التجوید و المؤلفین لکتبه فی زماننا أن یکونوا ممن حازوا قدرا کافیا من المعرفة بکتب علم التجوید الأولی، و أن یکونوا علی معرفة مناسبة بعلم الأصوات اللغویة، الذی تقدم کثیرا فی عصرنا، و فیه مادة کثیرة مفیدة فی فهم دقائق علم التجوید و الکشف عن أسرار النطق العربی، و یجب علی ضعاف طلبة العلم أن یتحولوا إلی شیء آخر سوی التألیف فی هذا العلم. ۴- إن ضبط قراءة القرآن و المحافظة علیها نقیة خالصة من شوائب اللحن و من مظاهر التغیر من واجب علماء الأمة و قرائها، و لا تکفی فی ذلک جهود الأفراد منعزلة، و إنما یلزم أن یکون الجهد جماعیا یسهم فیه المتخصصون بعلم التجوید و قراءة القرآن و علم الأصوات، من خلال ندوات أو حلقات بحثیة، أو مؤتمرات علمیة، أو نشرات دوریة، تناقش قضایا هذا العلم و تبحث فی شئونه. و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمین. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۰۷

## (۳) إخفاء النون حقیقته الصوتیة و طریقة أدائه لدی القراء المعاصرین

### مقدمة

مقدمة الحمد للّه رب العالمین، و الصلاة و السلام علی سیدنا محمد و علی آله و أصحابه أجمعین. و بعد، فقد قال الإمام محمد بن

إدریس الشافعی، رحمه اللّه: «من تعلّم علما فلیدقّق فیه، لئلا یضیع دقیق العلم». و من دقیق علم التجوید (و علم الأصوات العربی) ظاهرة إخفاء النون التی یعالجها علماء العربیة و علماء التجوید ضمن أحکام النون الساکنة و التنوین، و قد کتبوا فی بیانها فصولا کاملة، و خصّ ها بعضهم برسائل مستقلة. و کان أکثرهم یعرّف الإخفاء بأنه حالة بین الإظهار و الإدغام. و یکتفون بالمشافهة فی ضبط النطق بتلک الحالة، و قلیل منهم من حاول وصفها و بیان الوضع الذی تتخذه أعضاء آلة النطق معها. و المصغی إلی قرّاء القرآن المعاصرین و المتأمل فی طریقة أدائهم لظاهرة إخفاء النون یلاحظ أنهم ینقسمون إلی قسمین فی ذلک، فبعضهم ینقل معتمد النون المخفاة فی الفم إلی مخرج الصوت الذی یأتی بعدها، و بعضهم یدع طرف لسانه فی مخرج النون لکنه یجافی بینه و بین اللّثة شیئا قلیلا. و الهدف من کتابة هذا البحث هو التدقیق فی نصوص علماء التجوید و علماء العربیة فی وصف ظاهرة إخفاء النون، و تطبیق ذلک علی أداء مجیدی قراءة القرآن الکریم المعاصرین، ثم موازنته بحقائق علم الأصوات اللغویة المعاصر، للانتهاء من ذلک إلی وصف دقیق لإخفاء النون و بیان الوضع الذی تکون علیه آلة أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۰۸ النطق عند النطق بالنون المخفاة مع کل صوت من الأصوات التی تخفی عندها، و إعطاء رأی فی مذهب الفریقین من أهل الأداء المعاصرین. و یمکن عرض الموضوع و مناقشته من خلال المباحث الآتیة: المبحث الأول: تعریف موجز بصوت النون و أحکامه: (۱) مخرج النون و صفاته الصوتیة. (۲) أحکام النون الساکنة فی الترکیب. المبحث الثانی: إخفاء النون فی التراث الصوتی العربی: (۱) إخفاء النون فی نصوص الکتب القدیمة. (۲) إخفاء النون فی کتب علم الأصوات اللغویة. (۳) إخفاء النون فی أداء القراء المعاصرین المبحث الثالث: إخفاء النون، مناقشة و استنتاج: (۱) حقیقة إخفاء النون الصوتیة. (۲) درجات إخفاء النون. (۳) عدد أصوات النون المخفاة. (۴) إخفاء النون و الکتابة الصوتیة. و هذا البحث لا یهدف إلی تقدیم رأی نهائی فی ظاهرة إخفاء النون بقدر ما یهدف إلی تنبیه المهتمین بالأداء القرآنی إلی ما یبدو من تعدد صور إخفاء النون علی ألسنة القراء المعاصرین، و إلی عرض المعلومات المتصلة بالموضوع، لیکون ذلک حافزا للنظر فی القضیة لتوحید النطق بألفاظ القرآن الکریم و المحافظة علی القراءة بریئة من شوائب اللحن الخفی، نقیة من التغییر و التبدیل، إن شاء اللّه تعالی. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۰۹

## المبحث الأول تعریف موجز بصوت النون و أحکامه

### أولا: مخرج النون و صفاته الصوتیة:

أولا: مخرج النون و صفاته الصوتیة: تتمیز آلة النطق لدی الإنسان بالقدرة علی إصدار عدد کبیر من الأصوات التی تتشکل منها اللغات البشریة. لکن هذه الأصوات لا تحدث إلا بعاملین رئیسیین، الأول: النّفس المندفع من الرئتین، و الثانی: العارض الذی یعترض النّفس فی الحنجرة أو الحلق أو الفم أو الشفتین، إضافة إلی عوامل ثانویة أخری تکسب الصوت جرسه المیز له. و معظم الأصوات اللغویة یندفع النّفس بعد تکونها فی مخارجها خلال الفم و الشفتین إلا صوتین رئیسیین اثنین هما: النون و المیم. حیث یقوم العارض معهما فی الفم أو الشفتین، لکن النّفس یندفع إلی الخارج خلال التجویف الأنفی عبر فتحة المنخرین. و صوت المیم یتکوّن بحبس الهواء حبسا تاما فی الفم بأن تنطبق الشفتان انطباقا کاملا، و ینخفض الحنک اللین (اللهاة و ما اتصل بها) فیتمکن الهواء الخارج من الرئتین من النفوذ عن طریق الأنف، و فی أثناء مرور الهواء بالحنجرة عند النطق بالمیم یهتز الوتران الصوتیان فتحدث من ذلک النغمة الصوتیة التی تسمی بالجهر، و یوصف المیم لذلک بأنه صوت مجهور «۱». و یتکوّن صوت النون بأن یوقف الهواء وقفا تاما بأن یعتمد طرف اللسان علی اللثة، و ینخفض الحنک اللین فیتمکن الهواء الخارج من الرئتین من أن ینفذ

(_____ ۱) إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ص ۴۵، و محمود السعران: علم اللغة ص ۱۸۴. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۱۰ عن طریق الأنف، و یهتز الوتران عند النطق بالنون

أیضا و من ثم فإنه یوصف بأنه صوت مجهور «۱». و کان علماء العربیة الأوائل و علماء التجوید مدرکین لطبیعة الأصوات الأنفیة، عارفین خصائصها و صفاتها، و الذی یهمنا الحدیث عنه هنا هو صوت النون، لأن البحث معقود لبیان حکم من أحکامه الصوتیة حین ینطق به ساکنا فی الترکیب. قال سیبویه فی تحدید مخرج النون: «و من طرف اللسان بینه و بین ما فویق الثنایا مخرج النون» «۲». لکن سیبویه و من تابعه یتحدثون عن مخرج آخر للنون حیث قالوا: و من الخیاشیم مخرج النون الخفیفة» «۳». و قال السیرافی إنهم یریدون بالنون الخفیفة النون الخفیة فی نحو منک و عنک «۴». و قال أبو حیان: «مخرج الخیشوم و هو للنون الساکنة الخفیفة المخفاة» «۵». و لا تناقض فی کلام سیبویه و علماء العربیة فی تحدید مخرجین للنون، و لکن کلامهم قد یؤدی إلی اللبس، علی الرغم من أنهم کانوا مدرکین لحقیقة الأمر، فهذا سیبویه یقول: «إن النون و المیم قد یعتمد لهما فی الفم و الخیاشیم فتصیر فیهما غنة، و الدلیل علی ذلک أنک لو أمسکت بأنفک ثم تکلمت بهما لرأیت ذلک قد أخل بهما» «۶». و قال فی موضع آخر: «و منها حرف شدید یجری معه الصوت، لأن ذلک الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفک و اللسان

(_____ ۱) المصدران السابقان ص ۶۷، و ص ۱۸۵. (۲) الکتاب ۴/ ۴۳۳، و ابن جنی: سر صناعة الإعراب ۱/ ۵۲. (۳) سیبویه: الکتاب ۴/ ۴۳۴، و المبرد: المقتضب ۱/ ۱۹۳- ۱۹۴. (۴) شرح کتاب سیبویه ۶/ ۴۴۳، و القرطبی: الموضح ص ۸۱. (۵) ارتشاف الضرب ۱/ ۷. (۶) الکتاب ۴/ ۴۳۴. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۱۱ لازم لموضع الحرف، لأنک لو أمسکت بأنفک لم یجر معه الصوت، و هو النون، و کذلک المیم» «۱». و کانت عبارة بعض علماء التجوید أکثر وضوحا، فقال الدانی: «و النون من طرف اللسان بینه و بین ما فویق الثنایا العلیا، و یتصل بالخیاشیم، و هی المبیّنة و المدغمة ... و المخرج السادس عشر مخرج التنوین، و هو یخرج من الخیاشیم خالصا، کذا مخرج النون المخفاة عند حروف الفم نحو منک و عنک من الخیاشیم، فأما النون المتحرکة فمخرجها من الفم مع صویت من الأنف» «۲». و الحدیث عن مخرجین للنون یحتاج إلی وقفة و تأمل، حتی لا یکون ذلک سببا فی حصول غموض أو لبس فی فهم أحکامها الصوتیة، لا سیما حالة الإخفاء التی نحن بصدد الحدیث عنها. إن القول بوجود مخرجین للنون یستند إلی ما ذکره سیبویه عن مخرج النون «۳»، و مخرج النون الخفیة «۴»، فقال العلماء من بعده إن للنون مخرجین، علی نحو قول المبرد: «و أما النون فإن لها مخرجین، کما وصفت لک: مخرج الساکنة من الخیاشیم محضا، لا یشرکها فی ذلک الموضع شیء بکماله، و لکن النون المتحرکة مخرجها مما یلی مخرج الراء و اللام» «۵». و قال مکی (ت ۴۳۷ ه): «إن النون الساکنة صار لها مخرجان؛ مخرج لها، و هو المخرج التاسع، و مخرج لغنّتها و هو المخرج السادس عشر علی مذهب سیبویه» «۶».

(_____ ۱) الکتاب ۴/ ۴۳۵. (۲) التحدید ص ۱۰۵- ۱۰۶. (۳) الکتاب ۴/ ۴۳۳. (۴) الکتاب ۴/ ۴۳۴. (۵) المقتضب ۱/ ۲۱۵. (۶) الکشف ۱/ ۱۶۶. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۱۲ و قال الأوزاعی: «فللنون مخرجان أحدهما من الفم و الآخر من الخیاشیم» «۱». و لا تخلو العبارات السابقة من إشکال أو تناقض لا سیما قول المبرد: «مخرج الساکنة من الخیشوم» و قول مکی: «إن النون الساکنة صار لها مخرجان»، و قد أحسن المرادی (ت ۷۴۹ ه) العبارة عن هذه القضیة، مزیلا اللبس فی عبارات السابقین له حیث قال: «و التحقیق أن النون لها مخرجان أحدهما من الفم، و الثانی من الخیشوم، فالمتحرکة و الساکنة المظهرة من الفم، و الساکنة المخفاة من الخیشوم و لا نصیب لها فی الفم. و هو مذهب سیبویه و الأخفش و أصحابهما، قال الأخفش (ت ۲۱۵ ه) فی تفسیر النون کیف صار لها مخرجان: و ذلک أن النون الخفیفة لا مخرج لها من الفم، إنما هی من الخیاشیم، نحو عنک، و منک، و نون عن خالد من الفم» «۲». إن القول بوجود مخرجین للنون لا یعنی أنهما مخرجان منفصلان أحدهما عن الآخر، فمخرج المتحرکة و الساکنة المظهرة یکون من الفم، و ذلک بأن یستند طرف اللسان علی اللثة، و لکن فی الوقت ذاته یجری النّفس من الخیشوم، أما مخرج النون الساکنة المخفاة فیکون بجریان النفس من الخیشوم و یزول معتمد طرف اللسان من اللثة. و کان رضی الدین الأسترآبادی (ت ۶۸۶ ه) قد وضّح قضیة المخرجین للنون بالطریقة ذاتها، حیث قال:

«و الحق أن یقال: إن للنون مخرجین: أحدهما فی الفم و الآخر فی الخیشوم، إذ لا بد فیها من الغنة ... فإن حصل للنون الساکنة مع الحروف التی بعدها، من غیر حروف الحلق، قرب مخرج کاللام و الراء ... وجب إدغام النون فی تلک الحروف ... و إن لم یکن هناک قرب لا- فی المخرج و لا- فی الصفة أخفی النون بقلة الاعتماد، و ذلک بأن یقتصر علی أحد مخرجیه، و لا یمکن أن یکون ذلک إلا- الخیشوم، و ذلک لأن (_____ ۱)

الإیضاح ۷۳ و. (۲) المفید ص ۴۵. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۱۳ الاعتماد فیها علی مخرجها من الفم یستلزم الاعتماد علی الخیشوم بخلاف العکس، فیقتصر علی مخرج الخیشوم فیحصل النون الخفیة ... «أما مع الحلقیة فلا- تخفی ... و کذلک الساکنة الموقوف علیها تخرجان من المخرجین ... و کذلک النون المتحرکة قبل أی حرف کانت تخرج من المخرجین» «۱» و لخص السمرقندی (ت نحو ۷۸۰ ه) هذه القضیة بقوله: «النون لها مخرجان: نطق اللسان و صوت یخرج من الخیاشیم» «۲». و هو ما یمکن أن نسمیه معتمد اللسان فی الفم. و مجری النّفس فی الخیشوم. و أطلق بعض علماء التجوید علی النون الخفیة (أو المخفاة) مصطلح الغنة «۳»، و یعرّفون الغنة بأنها (صوت یخرج من الخیشوم) «۴»، و لا تختص الغنة فی واقع الأمر بالنون المخفاة، بل هی مصاحبة للأصوات الأنفیة، و قدیما قال الجعبری (ت ۷۳۲ ه): «الغنة صفة النون، و لو تنوینا، و المیم، تحرکتا أم سکنتا، ظاهرتین أو مخفاتین أو مدغمتین» «۵». و خلاصة القول إن صوت النون یتمیز، هو و المیم، عن أصوات العربیة الأخری فی طریقة إنتاجه، فصوت النون یتکون بقیام عارض فی الفم، باعتماد طرف اللسان علی ما فویق الثنایا (أی علی اللثة)، و جری النّفس من الخیشوم (أی الأنف)، فللنون معتمد فی الفم و مجری من الأنف، بینما تجد أصوات العربیة الأخری یعتمد لها فی مخارجها و یجری النّفس من المخرج، فیتحد فیها المعتمد و المجری (_____. ۱) شرح الشافیة ۳/ ۲۷۱- ۲۷۳. (۲) روح المرید ۱۳۴ و. (۳) مکی: الرعایة ص ۲۴۱. (۴) مکی: الکشف ۱/ ۱۶۴، و المرعشی: جهد المقل ص ۱۳۵. (۵) نقلا عن المرعشی: جهد المقل ص ۱۳۵. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۱۴

### ثانیا: أحکام النون الساکنة فی الترکیب:

ثانیا: أحکام النون الساکنة فی الترکیب: النون الساکنة من أکثر الأصوات تأثرا بغیرها من الأصوات التی تجاورها فی الکلام، و من ثمّ تعددت حالاتها النطقیة، و قد اعتنی ببیانها علماء العربیة و التجوید عنایة کبیرة، فخصص لها کثیر من علماء التجوید بابا مستقلا فی کتبهم «۱»، و أفرد لها عدد منهم رسائل مستقلة «۲». و لا- یکاد کتاب من کتب علم التجوید یخلو من ذکر أحکامها. و لیس من الضروری عرض تلک الأحکام مفصلة هاهنا «۳». و لذا سوف أکتفی بذکرها مجملة لیتضح موقع الإخفاء منها. یذهب أکثر علماء العربیة و علماء التجوید إلی حصر أحکام النون الساکنة فی أربعة أحکام هی «۴»: ۱- الإظهار: و هو أن یکون نطق النون باعتماد طرف اللسان علی اللثة و جریان النّفس من الخیشوم، علی نحو ما تنطق النون المتحرکة، و ذلک قبل ما یعرف بأصوات الحلق الستة: ء ه ع ح غ خ. ۲- الإدغام: و هو أن تقلب النون إلی مثل الصوت الکائن بعدها و تدغم فیه، و ذلک إذا وقعت قبل ستة أصوات مجموعة فی حروف کلمة (یرملون) و یکون الإدغام مصحوبا بغنة مع المیم و النون و الواو و الیاء، و بدونها مع اللام و الراء. ۳- القلب، و هو أن تقلب النون الساکنة میما إذا وقعت قبل الباء. (_____ ۱) مثل: مکی: الرعایة ص ۲۳۶، و الدانی: التحدید ص ۱۱۳، و ابن الجزری: التمهید ص ۱۶۵. (۲) مثل: نزهة المشتغلین لابن القاصح، و تحفة نجباء العصر لزکریا الأنصاری، و مرشدة المشتغلین للطبلاوی، و العمدة السنیة للبقری (ینظر: کتابی: الدراسات الصوتیة ص ۳۴). (۳) من أراد الوقوف علیها مفصلة فعلیه بکتابی: الدراسات الصوتیة ص ۴۲۶- ۴۵۸. (۴) ینظر: الدانی: التحدید ص ۱۱۳، و ابن الباذش: الإقناع ۱/ ۲۴۶ و ابن یعیش: شرح المفصل ۱۰/ ۱۴۴، و أبو حیان: ارتشاف الضرب ۱/ ۳۳۸. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۱۵ ۴- الإخفاء، و ذلک

عند الأصوات الخمسة عشر الباقية من أصوات العربية الثمانية و العشرين، و سوف نوضح معنى الإخفاء فی المبحث الآتی، إن شاء اللّه. و زاد بعض علماء التجويد فی عدد أحكام النون الساكنة فجعلها ستة، و ذلك بجعل الإدغام ثلاثة أنواع «۱». و جعلها بعضهم خمسة «۲»، و نقص بعضهم فيها فجعلها ثلاثة «۳». و قد قال البقری (ت ۱۱۱۱ ه) فی ذلك: «إن بعض العلماء جعل للنون الساكنة أحكاما خمسة، و بعضهم جعلها أربعة، و بعضهم جعلها ثلاثة، و الأمر فی ذلك سهل: فأما من جعلها خمسة فقال: هی إدغام بغنة، و إدغام بلا غنة، و إظهار، و إقلاب، و إخفاء. و من جعلها أربعة أسقط الإدغام الذی بلا غنة و أبهم الإدغام، فشمل الشيئين. و من جعلها ثلاثة فعل كذلك و أسقط الإقلاب أدخله فی الإخفاء ...» «۴».

## المبحث الثانی إخفاء النون فی التراث الصوتی العربی

### أولا- إخفاء النون فی نصوص الكتب القديمة:

أولا- إخفاء النون فی نصوص الكتب القديمة: مصطلح الإخفاء من المصطلحات الصوتية العربية القديمة استخدمه سيبويه و من جاء بعده من علماء العربية و علماء القراءة و التجويد، و قد استعملوه للدلالة على إخفاء النون، و إخفاء الحركة أيضا «۵»، قال الدانی: «و المخفی شيئان (_____: ۱) مكی: الرعاية ص ۲۳۶، و الكشف ۱/ ۱۶۱. (۲) ابن الجزری: التمهيد ص ۵۲. (۳) زكريا الأنصاری: تحفة نجباء العصر ص ۲. (۴) غنية الطالبين ص ۴۷. (۵) ينظر: سيبويه: الكتاب ۴/ ۴۳۸ و ۴۵۴. أبحاث فی علم التجويد، ص: ۱۱۶ حرف و حركة، فإخفاء الحرف نقصان صوته، و إخفاء الحركة نقصان تمطيطها» «۱». و قال فی موضع آخر: «و أما المخفی فعلی نوعين: إخفاء الحركات، و إخفاء النون و التنوين» «۲». و سوف نتتبع ما قاله العلماء عن إخفاء النون، أما إخفاء الحركة فلا يدخل فی موضوع هذا البحث. ۱- قال سيبويه (ت ۱۸۰ ه): «و تكون النون مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه من الخياشيم، و ذلك أنها من حروف الفم، و أصل الإدغام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، و كان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها و هی من الفم، لأنه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختاروا الخفة إذ لم يكن لبس، و كان أصل الإدغام و كثرة الحروف للفم، و ذلك قولك: من كان، و من قال، و من جاء» «۳». ۲- و قال أبو الحسن السعيدی (ت ۴۱۰ ه): و اعلم أن النون الساكنة إذا لقيت حرفا من حروف الفم (نفرت) صوتا فی الخياشيم، فلا يكون لها حظ فی الفم، أ لا ترى أنك إذا قلت: منك و عنك و من ضربك و من صلح و من شرب و من قرأ و ما أشبهها، لا يتحرك اللسان بها، و تسمّی حينئذ النون الخفيفة». «۴» ۳- و ذكر مكی بن أبی طالب القيسی (ت ۴۳۷ ه): أن النون الساكنة مخرجها من طرف اللسان بينه و بين ما فويق الثنايا و معها غنة تخرج من الخياشيم، ثم قال: «فإذا خفيت لأجل ما بعدها زال مع الخفاء ما كان يخرج من طرف اللسان منها، و بقی ما كان يخرج من الخياشيم ظاهرا. و علة إخفاء النون (_____ ۱) التحديد ص ۹۸. (۲) التحديد ص ۱۰۲. (۳) الكتاب ۴/ ۴۵۴، و ينظر: ابن السراج: الأصول فی النحو ۳/ ۴۱۷. (۴) اختلاف القراء فی اللام و النون ۶۰ ظ. أبحاث فی علم التجويد، ص: ۱۱۷ و التنوين عنده هذه الحروف أن النون الساكنة قد صار لها مخرجان: مخرج لها، و هو المخرج التاسع، و مخرج لغنتها، و هو المخرج السادس عشر على مذهب سيبويه، فاتسعت بذلك فی المخرج، بخلاف سائر الحروف، فأحاطت (باتساعها) بذلك فی المخرج، بحروف الفم، فشاركتها بالإحاطة بها، فخفيت عندها، و كان ذلك أخف، لأنهم لو استعملوها مظهرة لعمل اللسان فيها من مخرجها، و من مخرج غنتها، فكان خفاؤها أيسر ليعمل اللسان مرة واحدة ...» «۱». ۴- و قال أبو عمرو الدانی (ت ۴۴۴ ه): «و أما إخفاء النون و التنوين فحقه أن يؤتی بهما و لا مظهرين و لا مدغمين، فيكون مخرجهما من الخياشيم لا غير، و يبطل عمل اللسان

بهما، و یمتنع التشدید لامتناع قلبهما و ذلک إذا لقیا حروف اللسان غیر الراء و اللام» «۲». ۵- و قال عبد الوهاب القرطبی (ت ۴۶۱ ه): «و أما الإخفاء فحکم یجب عند اجتماع حرفین أخذا حالا متوسطة بین المباعدة فی ذینک «۳» و المقاربة، و سبق أحدهما بالسکون، کقوله تعالی: مَنْ کانَ فِی الضَّلالَةِ (۷۵) [مریم]، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ (۲۱) [آل عمران]، و وَ لَمَنْ صَبَرَ (۴۳) [الشوری]، و ما أشبه ذلک. و حقیقته السترة، لأن المخرج یستتر بالاتصال. فالتشدید إذن هو إدخال حرف فی حرف، و الإظهار هو قطع حرف عن حرف، و الإخفاء هو اتصال حرف بحرف، فبالتشدید یدخل الحرف و یغیب، و بالقطع یظهر و یبین، و بالاتصال یخفی و یستتر، و لهذه العلة لم یکن الإخفاء إلا فی حرفی الغنة: النون و المیم، لأن الاتصال لا یتأتی إلا فیهما، لأن الصوت إذا

(_____ ۱) الکشف ۱ / ۱۶۶، و الرعایة ص ۲۴۱. (۲) التحدید ۱۰۲ و تنظر ص ۱۱۷. (۳) یعنی المخرج و الصفة. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۱۸ جری فی الخیشوم أمکن اتصال الحرفین من غیر إظهار و لا تشدید، و لذلک ینبغی أن یکون النطق بالمخفی بین التخفیف و بین التشدید، کما أنه بین الإظهار و بین الإدغام» «۱». و قال عبد الوهاب القرطبی فی مکان آخر: «و معنی خفائها ما قدمنا من اتصال النون بمخارج هذه الحروف و استتارها بها و زوالها عن طرف اللسان، و خروج الصوت من الأنف، من غیر معالجة بالفم ...» «۲». ۶- اکتفی أکثر المتأخرین من علماء التجوید بالقول: إن الإخفاء حالة بین الإدغام و الإظهار، عار من التشدید، مع بقاء الغنة فی الحرف الأول «۳». و قبل أن ننقل ما ورد فی کتب علم الأصوات اللغویة المعاصرة عن إخفاء النون یلزم أن نستخلص من النصوص السابقة ما یوضح الوضع الذی یتخذه اللسان و آلة النطق عند إخفاء النون، و أحسب أن ذلک یتحقق بالنظر فی العبارات الآتیة الواردة فی تلک النصوص: سیبویه: کان أخف علیهم أن لا یستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة. السعیدی: لا یتحرک اللسان بها. مکی: زال مع الخفاء ما کان یخرج من طرف اللسان منها، و بقی ما یخرج من الخیاشیم. الدانی: یبطل عمل اللسان بهما. عبد الوهاب القرطبی: معنی خفائها اتصال النون بمخارج هذه الحروف و استتارها بها، و زوالها عن طرف اللسان، و خروج الصوت من الأنف.

(_____ ۱) الموضح ص ۱۵۷ - ۱۵۸. (۲) الموضح ۱۷۰. (۳) المرادی: المفید ص ۱۱۹، و زکریا الأنصاری: تحفة نجباء العصر ص ۶۰، و الدمیاطی: إتحاف فضلاء البشر ص ۳۲. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۱۹ و هذه العبارات یکمل بعضها بعضا فی تحدید شکل آلة النطق عند إخفاء النون و هو ما یمکن أن نلخصه فی ملاحظة أن نطق النون یتکون من عملین هما: اعتماد طرف اللسان علی ما فویق الثنایا (من اللثة)، و جریان النّفس من الخیاشیم، و الذی یحدث عند إخفاء النون هی زوال أو بطلان عمل طرف اللسان و انتقال مکان الاعتماد إلی مخرج الصوت الذی تخفی عنده، فیتحرک اللسان حرکة واحدة بدلا من حرکتین، ففی مثل قولک (من کان) یعمل أقصی اللسان عند النطق بالنون من موضع الکاف، بدلا من عمل طرف اللسان أولا، ثم عمل أقصی اللسان، و هذا هو جانب التخفیف الذی یتحقق من الإخفاء الذی ذکره سیبویه بقوله: «کان أخف علیهم أن لا یستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة». و نحن حین نقرر هذه الحقیقة إنما نستنطق عبارات علماء العربیة و التجوید السابقة، محاولین صیاغتها علی نحو نحرص أن یکون أکثر تحدیدا و وضوحا، حتی یمکن فی النهایة أن نقدم تعریفا محددا للإخفاء و وصفا واضحا لحالة آلة النطق معه.

### ثانیا- إخفاء النون فی کتب علم الأصوات اللغویة:

ثانیا- إخفاء النون فی کتب علم الأصوات اللغویة: أشار عدد من علماء الأصوات العرب المعاصرین إلی ظاهرة إخفاء النون، لکن إشارتهم کانت موجزة غالبا و تفتقر إلی الوضوح فی بعض الأحیان، و هذا نص ما قالوه: ۱- قال الدکتور إبراهیم أنیس: «الدرجة التی تلی إظهار النون هی ما اصطلح القدماء علی تسمیته بالإخفاء، و یکون هذا مع خمسة عشر صوتا عند جمهور القراء، هی: القاف، الکاف، ... الخ، و لیس ما سمّوه بالإخفاء إلا محاولة الإبقاء علی النون و ذلک بإطالتها مما أدی إلی ما نسمّیه بالغنة. هذا إلی أننا

نلحظ مع ما يسمونه بالإخفاء ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها» «۱».

(۱) الأصوات اللغوية ص ۷۱ - ۷۲.

أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۲۰ ۲- و قال الدکتور أحمد مختار عمر، و هو یتحدث عن النون الساکنة المخفاة: «فهی تطول و تمیل إلی مخرج الصوت الذی بعدها» «۱». ۳- و قال الدکتور عبد الصبور شاهین فی تعلیقاته علی کتاب «علم الأصوات» لمالمبرج: «إخفاء النون الساکنة، بمعنی نطقها أنفیة مع وضع اللسان موضع الحرف التالی لها بشکل متزامن» «۲». إن النصین الأولین یشترکان فی ذکر صفتین للنون المخفاة هما أنها تطول، و أنها تمیل إلی مخرج الصوت الذی بعدها، و هذا الوصف تعوزه الدقة فی وصفها بالطول، و الوضوح فی وصفها بالمیل إلی مخرج الصوت الذی بعده. و قد جاء النص الثالث دقیقا و واضحا علی الرغم من اختصاره الشدید الذی لا یوضح کل الجوانب المتعلقة بالنون المخفاة.

## ثالثا- إخفاء النون فی أداء القراء المعاصرین:

### اشارة

ثالثا- إخفاء النون فی أداء القراء المعاصرین: إن وصف طریقة إخفاء النون فی أداء القراء المعاصرین فی هذا البحث یعتمد علی الملاحظة الشخصیة و ذلک بالإنصات إلی عدد من تسجیلات القراء المعاصرین و إلی ما یذاع من القرآن الکریم من الإذاعات العربیة، مع مناقشة الموضوع مع عدد من القراء، و هذه الطریقة قد لا تکون کافیة فی توضیح کل دقائق الظاهرة، لکنها هی الطریقة المتاحة الآن، و عسی أن تسنح فرصة أخری یمکن فیها استخدام أجهزة مختبر الصوت فی دراسة الموضوع. إن الملاحظة الشخصیة و الاستماع المتکرر لأداء القراء المعاصرین تشیر إلی أنهم یذهبون مذاهب متعددة فی إخفاء النون یمکن أن نحصرها فی ثلاثة هی «۳».

(۱) دراسة الصوت اللغوی ص ۳۳۴.

(۲) علم الأصوات ص ۱۲۴. (۳) حاولت فی البدء تصنیف القراء الذین أنصت إلی قراءتهم حسب المذاهب الثلاثة، و لکنی أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۲۱

### المذهب الأول:

المذهب الأول: نقل معتمد اللسان عند النطق بالنون المخفاة إلی مخرج الصوت الذی بعدها مع بقاء جریان النّفس من التجویف الأنفی، و یأخذ اللسان عند نقل معتمده الشکل الذی یتخذه اللسان عند النطق بالصوت الواقع بعد النون، سواء أقرب ذلک الصوت من النون کما فی نحو (کنتم) أم بعد کما فی (من کان)، و سواء أ کان الصوت شدیدا (انفجاریا) کما فی المثالین أم کان رخوا کما فی (من شاء) و (من ذا) و نحو ذلک.

### المذهب الثانی:

المذهب الثانی: یماثل المذهب الأول إلا فی نطق النون المخفاة عند التاء و الدال و الطاء (و الضاد)، فإن من یذهب هذا المذهب من القراء یجافی طرف لسانه قلیلا- فلا یلصقه باللثة عند النطق بالنون المخفاة قبل الأصوات المذکورة، و ذلک فی مثل (کنتم) و (من دون) و (من طیبات)، و (بمن ضل).

### المذهب الثالث:

المـذهب الثالث: هو أن يجافى القارئ طرف لسانه قليلا فلا يلصـقه باللثـة عنـد النطق بالنون المخفاة مع أصوات الإخفاء الخمسة عشـر كلها، فيظل طرف اللسان شاخصا نحو اللثة غير منطبق عليها، سواء أ كان الصوت الذى تخفى عنده النون من طرف اللسان أو وسطه أو أقصاه، ثم ينقل القارئ معتمـد اللسان بعـد انقضاء النطق بالنون المخفاة إلى مخرج الصوت الـذى تخفى عنده، فأنت تجد بعض القراء حين ينطق نحو (من قال) و (من جاء) و (من ذا) ينطق النون بأن يضع طرف لسانه تجاه اللثـة غير منطبق عليها و يـدع النّفس يجرى من الخيشوم، ثم ينتقـل إلى مخرج الصوت الـذى بعـد النون. إن المـذهب الثـالث مؤدّاه أن النون المخفاة تعـد من الناحيـة الصوتيـة صوتا واحـــــدا ينطـــــق بطريقـــــة واحـــــدة، و فى المـــــذهب الأ____ول تتعـــــدد صـــــور النـــــون المخفـــــاة، عـدلت عـن ذلـك فيمـا بعـد، لأنـى لاحظت أن عـددا منهم لا يكاد يسـتقيم على مـذهب واحـد فى قراءته و لأننى لم أعرف عن كثير منهم إلا أسـماءهم، و لأن المقصود طريقـة النطق، و ليس الأشـخاص. أبحاث فى علم التجويـد، ص: ۱۲۲ و تكون بعـدد الأـصوات التى تخفى عنـدها، أى أننـا يمكن أن نلحظ خمسـة عشـر شـكلا من أشـكال نطق النون المخفاة، تأخـذ أعضاء آلـة النطق مع كل شـكل وضـعا معينا يختلف عن وضـعها مع الأشـكال الأخرى، أو على الأقل يكون لها شـكل واحد مع الأصوات التى تخرج من مخرج واحد من أصوات الإخفاء التى تقع بعدها. أما المـذهب الثانى فهو أقرب إلى المذهب الأول من هذه الناحية، و سوف نناقش هذه المذاهب فى المبحث الآتى و نحاول أن نحدد الراجح منها.

## المبحث الثالث إخفاء النون، مناقشة و استنتاج

### أولا- حقيقة إخفاء النون الصوتية:

أولا- حقيقـة إخفاء النون الصوتيـة: إن المتأمل فى أقوال علماء التجويد المتقدمين و علماء الأصوات المعاصـرين، و المدقق فى طريقة نطق أكثر القراء و المجودين فى زماننا يترجح لديه أن ما يحدث فى إخفاء النون هو انتقال الموضع الذى يعتمد لها فيه من الفم، و هو طرف اللسان مع أصول الثنايا أو اللثة، إلى مخرج الصوت الـذى تخفى عنـده من أصوات الإخفاء الخمسة عشـر، و يبقى الحنك اللين منخفضا فى أثناء النطق بالنون المخفاة، أى أن النّفس يظل جاريا من الأنف فيحـدث حينئـذ ما يسـمى بالغنـة، و بعد أن تسـتوفى النون المخفـاة حظهـا من عمليـة التصويت يتوقف جريـان النّفس من الأـنف لنطق الصوت الـذى بعـد النون، من غير أن يتغير الشـكل الـذى اتخـذته آلـة النطق اللهم إلاـ ارتفاع الحنك اللين ليسـد مجرى النّفس إلى الأنف. و يمكن أن نلخص ذلك بالقول إن إخفاء النون هو انتقال معتمـد اللسان فى الفم إلى مخرج الصوت الـذى بعـدها، مع بقاء جرى النّفس من الأنف فى أثناء النطق بها. و يبـدو أن الشـكل الـذى تتخذه آلة النطق عند إخفاء النون هو ذات الشـكل أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۲۳ الـذى تكون عليه عند نطق الصوت الذى بعـد النون المخفاة، فحين ننطق (من كان) فإن أقصـى اللسان يسـتند إلى أقصـى الحنك عند النطق بالنون، تماما كما يحدث عند نطق الكاف، و حين ننطق النون فى (من ذا) فإننا نضع طرف اللسان فى موضع نطق الذال و كذا فى نطق (من شاء) يتصعد وسط اللسان نحو وسط الحنك من غير أن يسد مجرى النفس، تماما كما يحدث عند نطق الشين، و كذلك يمكن القول فى نطق (من دون)، و فى نطق (كنتم) أنـك تضع لسانك للنون على نحو ما تفعل فى نطق الـدال و التاء، أى أنك تلصق طرف لسانك على اللثـة أو أصول الثنايا. و بناء على هـذا الفهم لنطق النون المخفاة فإننى أرجـح أن المـذهب الراجـح فى نطق هـذه النون هو المذهب الأول من المذاهب الثلاثة التى ذكرناها فى الفقرة (ثالثا) من المبحث الثانى، و ذلك لثلاثة أسـباب هى: ۱- أن أكثر القراء المعاصرين الذى أنصتّ إلى قراءتهم يعتمـدونه و يلتزمون به فى نطقهم. ۲- موافقته لأـقوال العلماء التى نقلناها فى وصـفهم إخفاء النون. ۳- ملاءمته لقوانين علم الأصوات اللغوية التى تنحو نحو السهولة فى النطق و الاقتصاد فى المجهود فى أكثر الأحيان «۱»، و كان سيبويه قد قال قديما: «كان أخف عليهم

أن لا یستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة» «۲». و ذلک لا یتحقق فی المذهبین الثانی و الثالث، علی نحو ما یتحقق فی المذهب الأول. و لا بد من الإشارة هنا إلی قول الدمیاطی البنّاء (ت ۱۱۱۷ ه) الذی حذّر القارئ فیه من مد الحرکة عند إخفاء النون حتی تتحول حرفا، و الذی قال فیه (_____ ۱) ینظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوی ص ۳۱۹. (۲) الکتاب ۴/ ۴۵۴. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۲۴ بعد ذلک ما نصه: «و لیحترز أیضا من إلصاق اللسان فوق الثنایا عند إخفاء النون، فهو خطأ أیضا، و طریق الخلاص منه تجافی اللسان قلیلا عن ذلک» «۱». و هذا القول یعنی أن هناک مذهبین علی الأقل فی نطق النون المخفاة، فی نحو (کنتم) و (أنتم) و ما أشبهه، و أن الصواب عند الدمیاطی هو المذهب الذی یتجافی فیه طرف اللسان عن اللثة عند نطق النون المخفاة، و أن إلصاق طرف اللسان فی أثناء ذلک خطأ، و هذه نتیجة تخالف ما انتهینا إلی ترجیحه فی حقیقة نطق النون المخفاة، بناء علی الأدلة التی ذکرناها، و من ثم فإن البت فی الأمر فی هذا البحث و الجزم بصحة أحد المذاهب الثلاثة فی إخفاء النون و خطأ المذهبین الآخرین شیء ینبغی اجتنابه، و إنما یمکن أن نرجح، و قد رجّحت المذهب الأول علی ما تقدم.

### ثانیا- درجات إخفاء النون:

ثانیا- درجات إخفاء النون: کان علماء التجوید قد لاحظوا أن مقدار تغیر صوت النون عند إخفائها لا یکون علی درجة واحدة، قال أبو عمرو الدانیّ (ت ۴۴۴ ه) و هو یتحدث عن إخفاء النون الساکنة و التنوین: «و إخفاؤهما علی قدر قربهما و بعدهما، فما قربا منه کانا عنده أخفی مما بعدا عنه» «۲». و أکّد هذه الفکرة عبد الوهاب القرطبی (ت ۴۶۱ ه) بقوله: «إنّ حروف الإخفاء أیضا ترتبت فی التوسط فکان فیها أقرب و أبعد، فکان الإخفاء فی الأقرب أکثر منه فی الأبعد» «۳». و قد زاد الأستاذ محمد المرعشی (ت ۱۱۵۰ ه) فکرة تقسیم الإخفاء علی مراتب بیانا و توضیحا، حیث قال: «و اعلم أن الإخفاء علی ثلاث مراتب یتوقف (_____ ۱) إتحاف فضلاء البشر ص ۳۳. (۲) التحدید ص ۱۱۷. (۳) الموضح ص ۱۷۱. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۲۵ بیانها علی تقدیم مقدمة، و هی أن الغنة صفة النون الساکنة و أثرها الباقی عند إخفاء ذاتها، فمعنی صغر إخفاء النون کبر أثرها الباقی، و معنی کبر إخفائها صغر أثرها الباقی، إذ ذاتها معدومة عند الإخفاء علی کل حال. و حروف الإخفاء علی ثلاث مراتب: أقربها مخرجا إلی النون ثلاثة: الطاء و الدال المهملتان و التاء المثناة الفوقیة، و أبعدها القاف و الکاف، و الباقی متوسطة فی القرب و البعد ... و بالجملة إن مراتب الحروف ثلاث: فإخفاؤهما عند الحروف الثلاثة الأول أزید و غنتهما الباقیة قلیلة، بمعنی أن زمان امتداد الغنة قصیر، و إخفاؤهما عند القاف و الکاف أقل و غنتهما الباقیة کثیرة بمعنی أن زمان امتدادها طویل، و إخفاؤهما عند بواقی الأحرف متوسط، فزمان غنتهما متوسط» «۱». و أحسب أن مراتب إخفاء النون هذه تقریبیة تضبطها المشافهة، و لکن یبدو أن ما یفعله کثیر من قراء زماننا من إطالة غنة النون المخفاة أمر یتجاوز القدر المقرر لها، و هو المد بقدر حرکتین، أو مقدار ألف، أو قریبا من ذلک، فقد قال محمد المرعشی: «لا یصل امتدادها إلی قدر ألف أو أزید» «۲»، و قال حسن بن إسماعیل الدرکزلی (ت ۱۳۲۷ ه): «و أما زمنها فهو أطول من زمن الحرف و أقصر من زمن الحرفین، فیکون قریبا من زمن المد الطبیعی» «۳». و صرّح الشیخ محمد علی خلف الحسینی الشهیر بالحداد (ت ۱۳۵۷ ه) شیخ المقارئ المصریة فی زمانه بأن «الغنة مقدار حرکتین» «۴». و قد ورد التحذیر من المبالغة فی إطالة غنة النون المخفاة فی کلام أئمة القراءة، من مثل قول محمد المرعشی: «و لیحذر عن المبالغة فی تطویل غنة (_____ ۱) جهد المقل ص ۱۷۹. (۲) بیان جهد المقل ۵ ظ. (۳) خلاصة العجالة ۵۰ و. (۴) تحفة الراغبین ص ۶. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۲۶ الإخفاء» «۱». و کذلک حذّروا من مد الحرکة التی قبل الحرف المخفی، فقال الشیخ زکریا الأنصاری (ت ۹۲۶ ه): «و ینبغی أن تنظر إلی ما قبل الحرف

المخفى من الحركات فلا تخرجه عن حدّه نحو (كنتم) فلا تمدّ الضمة عند إخفاء النون، لئلا يتولد منها واو، فتبقى (كونتم)» «۲». و كلام علماء التجويد عن مراتب إخفاء النون يثير قضية تنوع صوت إخفاء النون بحسب الصوت الذى تخفى عنده، و معنى ذلك أن للنون المخفاة عددا من الصور الصوتية بناء على هذا التفسير، و هو أمر سوف نناقشه فى الفقرة الآتية.

### ثالثا- عدد أصوات النون المخفاة:

ثالثا- عدد أصوات النون المخفاة: ذكر سيبويه مخرجا للنون و آخر للنون الخفيفة، على نحو ما مرّ، و هذا أمر لا يلزم منه أن سيبويه يقول إن النون المخفاة صوت واحد، و أقوال العلماء التى نقلناها حول مراتب الإخفاء تشير إلى أن صوت النون المخفاة يتنوع تبعا للصوت الذى تخفى عنده، و هو ما يظهر فى نطق جمهور أهل الأداء الذين يلتزمون المذهب الأول فى نطقهم للنون المخفاة، و هو المذهب الذى رجحناه من قبل أما من يأخذ بالمذهب الثالث فى نطقه فيظهر أن النون المخفاة عنده هى صوت واحد لا يتغير جرسه بتغير الصوت الذى تخفى النون عنده، و هو مذهب نحسبه مخالفا لأقوال العلماء السابقين و غير منسجم مع قوانين علم الأصوات، و متناقض مع نطق جمهور القراء. و لا يجد الناظر فى كلام علماء العربية و التجويد المتقدمين حول إخفاء النون ما يشير إلى محاولتهم حصر أنواع النون المخفاة، على الرغم من معرفتهم بتعدد أشكال هذا الصوت، و سار كثير من دارسى أصوات العربية من المعاصرين

(_____ ۱) جهد المقل ص ۲۶۱. (۲) تحفة نجباء العصر ص ۶۱، و ينظر: الدمياطى: إتحاف فضلاء البشر ص ۳۳. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۲۷ على خطاهم، و لكن الدارس يجد عددا من المحاولات الحديثة فى هذا المضمار، جاء بعضها مجملا و بعضها الآخر أكثر تفصيلا، لكن أيا منها لم يستقص كل ما يتعلق بهذا الموضوع. و من تلك المحاولات الحديثة ما ذكره الدكتور تمام حسان عند حديثه عن الرموز الصوتية فى كتابه (مناهج البحث فى اللغة) حيث ذكر ستة رموز لأنواع من صوت النون، و لا يعنينا هنا مقدار توفيقه فى اختيار تلك الرموز، و إنما تهمنا دلالة ذلك على إدراكه لتعدد صور نطق النون، على الرغم من أن طريقته فى تحديد تلك الصور تعوزها الدقة و الوضوح، يظهر ذلك من عرض ما ذكره حولها، مع عدم نقلنا لصور الرموز لأنها رسمت بحروف لاتينية مع زوائد و ذيول يصعب رسمها بآلات الطباعة العربية الشائعة «۱»: الرمز الأول: و يدل على صوت من أصوات النون يخرج اللسان فى نطقه، حيث يقع قبل الظاء أو الذال أو الثاء مباشرة. الرمز الثانى: و يدل على صوت آخر من أصوات النون أسنانى لثوى يقع قبل الأصوات الأسنانية اللثوية. و لم يذكر هنا تلك الأصوات لكنه ذكر فى موضع آخر من كتابه أنها ت د ط ض، س ص ز «۲». الرمز الثالث: و هذا رمز على صوت آخر من أصوات النون لثوى، يعتبر الرئيسى بين أصواتها، مثل النون فى كلمة (أنا). الرمز الرابع: يدل على صوت النون قبل الجيم و الشين و الياء. الرمز الخامس: يدل على صوت النون قبل الكاف. الرمز السادس: يدل على صوت النون قبل القاف.

(_____ ۱) مناهج البحث فى اللغة ص ۱۱.

(۲) المصدر نفسه ص ۱۲۴. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۲۸ و من تلك المحاولات أيضا ما ذكره الدكتور عبد الصبور شاهين فى كتابه (أثر القراءات فى الأصوات و النحو العربى) فى أثناء وصفه الأصوات العربية، و هو فى هذه المحاولة لم يزد على ما ذكره الدكتور تمام حسان فى محاولته السابقة من أنواع النون المخفاة شيئا، اللهم إلا شيئا يسيرا يتعلق ببعض التفاصيل «۱»، و إلا ما ذكره عن نوع من أنواع النون المخفاة حين تقع النون الساكنة قبل الفاء كما فى كلمة (أنف) لكنه سمّى هذه النون المخفاة ميما و قال: «حيث تقلب النون ميما مخرجها هو الشفة السفلى و أطراف الثنايا العليا» «۲». و هذه تسمية لم يسبق إليها، فيما اطلعت عليه من المصادر، كما أنها قد تجلب اللبس على الدارس المبتدئ، و الأولى تسميتها نونا، على ما جرى عليه الدارسون قديما و حديثا. و يبدو أن هاتين المحاولتين تستوحيان ما ورد فى جدول رموز الأبجدية الصوتية الدولية التى ورد فيها سبعة رموز للأصوات الأنفية، اثنان للميم و خمسة للنون، و هى تتطابق تقريبا مع ما ورد فى هاتين المحاولتين «۳». إن حصر عدد أنواع النون المخفاة يرتبط بعدد الأصوات التى

تخفى عندها النون، و هى خمسة عشر صوتا على ما مرّ ذكره فى ملخص أحكام النون الساكنة، و قد تنضاف إليها أصوات أخرى و أحسب أن وضع أصوات العربية فى جدول حسب ترتيبها المخرجى يمكن أن يساعد فى حصر أنواع النون المخفاة، و ذلك على النحو الآتى (_____: ۱) أثر القراءات فى الأصوات و النحو العربى ص ۲۲۶- ۲۲۷. (۲) المصدر نفسه ص ۲۲۵- ۲۲۶. (۳) ينظر جدول رموز الكتابة الصوتية الدولية: د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ۶۴. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۲۹ ۱/ ۲/ ۳/ ۴/ ۵/ ۶/ ۷/ ۸/ ۹/ ۱۰ ء ه/ ق/ ك/ ى/ ل/ د ت/ س/ ث/-/ م ع ح/-/-/ ج/ ر/ ط ض/ ص/ ذ/ ف/ ب غ خ/-/-/ ش/ ن/-/ ز/ ظ/-/ و إن الأصوات الواقعة فى الحقول من (۲- ۹) تخفى النون عندها إلا اللام و الراء، و فى الياء خلاف. و مجموع هذه الأصوات المتفق على إخفاء النون عندها خمسة عشر صوتا، و يتوقف تحديد عدد أنواع النون المخفاة على تحديد طبيعة صوت النون المخفاة قبل أصوات الحقل الواحد، و هل هو صوت واحد قبل أى من تلك الأصوات أو يتغير عند كل صوت منها، أعنى هل النون فى مثل (فمن ثقلت) و (من ذا) و (من ظلمات) صوت واحد أو أصوات متعددة؟ إن كلا من المحاولتين السابقتين جعلت النون فى أمثلة الحالة السابقة نونا واحدة، بل إنها جعلتها نونا واحدة قبل أصوات الحقلين (۶ و ۷) كلها، و أحسب أن فى ذلك تبسيطا للأمور و إغضاء عن فوارق صوتية واضحة، لا يتفق مع ما يجب من التحقيق و الاعتناء بدقائق العلم. إن الملاحظة الذاتية تشير إلى أن صوت النون المخفاة يتغير جرسه قبل كل صوت من الأصوات الخمسة عشر التى تخفى عندها النون و ذلك لتغير حجم و طبيعة حجرة الرنين التى تحدث فى التجويف الفموى مع كل صوت منها، فأنت إذا نطقت (من قال) و (من تاب) و (من ذا) تجد صوت النون له جرس متميز فى كل مثال من الأمثلة الثلاثة، على الرغم من اشتراكها بقيام عائق فى الفم، و جريان النفس من الأنف، و ذلك بسبب ما ذكرته من تغير حجم و طبيعة حجرة الرنين. إننا بناء على ذلك يمكننا القول إن النون المخفاة لها خمسة عشر نوعا بعدد أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۳۰ الأصوات التى تخفى عندها، و يمكن أن ينضاف إليها صوتان آخران هما النون الساكنة قبل الواو و الياء، فإن من علماء التجويد من عدّه إخفاء و ليس إدغاما «۱». لأنه حالة ينطبق عليها تعريف الإخفاء الذى اخترناه و بيناه من قبل. و قديما قال السمرقندى: «و حقيقة إدغامهما فى الواو و الياء إخفاء لا- إدغام، و إنما يقولون إدغام مجازا، هو فى الحقيقة إخفاء» «۲». و على الرغم من رجحان كون عدد أنواع النون المخفاة هو سبعة عشر نوعا، فإن هناك جانبا فى الموضوع أحسب أنه يحتاج إلى استخدام أجهزة مختبر الصوت للبت فيه، و هو النون المخفاة قبل الصوتين المتحدين فى المخرج المختلفين فى صفة واحدة مثل الجهر و الهمس أو الإطباق و الانفتاح هل تعد صوتا واحدا أو صوتين؟ ففى الوقت الذى لا- أشك فيه أن النون المخفاة قبل السين تختلف عنها قبل الصاد. لكنى أتوقف فى الجزم بكونها نونا أو نونين قبل الزاى و السين، و هكذا قبل الدال و التاء، و قبل الذال و الثاء، و قبل الطاء و الضاد خاصة، أما فى ما سوى ذلك فأحسب أن الأمر واضح، إن شاء اللّه تعالى.

### رابعا: إخفاء النون و الكتابة الصوتية:

رابعا: إخفاء النون و الكتابة الصوتية: كان سيبويه، رحمه اللّه، قد قسم أصوات العربية على قسمين: الأصول، و هى التسعة و العشرون، و الفروع و هى ستة مستحسنة كثيرة، و سبعة غير مستحسنة و لا كثيرة فى لغة من ترتضى عربيته «۳». و الكتابة العربية جعلت لكل صوت من الأصول رمزا، و أهملت الفروع و من بينها النون المخفاة التى ذكرها سيبويه ضمن الأصوات الفروع الستة المستحسنة و سماها النون الخفيفة (_____. ۱) المرادى: المفيد ص ۱۱۴. (۲) روح المريد ۱۳۴ و. (۳) الكتاب ۴/ ۴۳۱- ۴۳۲. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۳۱ و كان حمزة بن الحسن الأصفهانى قد أشار إلى قصور الكتابة فى هذا الجانب فقال: «و لو رام إنسان من أهل الزمان أن يضع كتابة سليمة من التصحيف جامعة لكل الحروف التى تشتمل على جميع اللغات لزمه أن يضع صورة لأربعين حرفا، منها ثمانية و عشرون حرفا ما قد رسم بها هجاء

العربیـة التی هی: أ ب ت ث ج ح خ ... و منهـا أربعـة جاریـة فی العربیـة علی ألسن أهلهـا و لم یخصوها بصورة و هی: النون الغناء، و الهمزة، و الواو و الیـاء اللینتان. فالنون الغناء هی التی تخرج من الغنـة، و هی مثل نون (منـذر) لأنها لیست من مخرج نون رسن ...» «۱». إن علم اللغة الحدیث اعتنی بتقسیم الأصوات إلی أصول و فروع فی إطار نظریة الفونیم «۲»، کما اعتنی بوضع رموز لکل أصوات اللغة أصولا کانت أم فروع ا فی إطار ما یعرف بالکتابـة الصوتیـة الدولیة «۳». و تضـمن جـدول الرموز الصوتیة الدولیة خمسة رموز للنون و فروعها «۴». لکن هـذه الرموز لاـ تمثـل إلا بعضا من أنواع النون المخفاة التی أشـرنا إلیها فی الفقرة السابقـة. فهل یکتفی بهـذه الرموز الخمسـة للنون و فروعهـا أو یجب اختراع رموز جدیـدة لجمیع أنواع النون؟ إن هنـاک اتجاهین فی اسـتخدام الکتابـة الصوتیـة، اتجاها یحشـد رمـوزا تمثـل- و لـو مـن الناحیـة النظریـة علی الأقـل- کـل إمکانیـات أصـوات الکلام، و اتجـاها

(_____ ۱) التنبیه علی حدوث التصحیف ص ۳۳. (۲) ینظر: کمال محمد بشر: الأصوات ص ۲۰۱، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوی ص ۱۳۹. و کان أخی الدکتور سالم قـدوری حمـد قـد کتب بحثا عن أحکام النون فی العربیة فی ضوء نظریة الفونیم، مقبول للنشـر فی المجلة العلمیة لجامعة تکریت. (۳) راجع عن الکتابـة الصوتیـة: د. حسام سـعید النعیمی: أصوات العربیة بین التحول و الثبات ص ۷۷. (۴) ینظر: أحمد مختار عمر: دراسـة الصوت اللغوی ص ۶۴. أبحاث فی علم التجویـد، ص: ۱۳۲ یحرص علی تمثیل الأصوات الأصول فی لغـة معینـة «۱». و الاتجاه الأول یتطلب منا اختراع رموز جدیـدة لأنواع النون المخفاة التی قصرت الکتابـة الصوتیـة الدولیة فی تمثیلها، بینما یمکن أن یکتفی فی إطار الاتجاه الثانی برمز النون الأصـلی. و قد اقترح الدکتور حسام النعیمی ثلاثة رموز للنون تمثل النون المظهرة، و المخفاة، و المدغمة بغنة «۲». إننی فی ضوء ما تقدم، و فی جانب الآراء المتعددة فی تمثیل النون الأصـلیة و فروعها فی الکتابة الصوتیة، أجد أن وضع علامة ما فوق النون الساکنة أو التنوین، فی مجال الکتابة الصوتیة، یمکن أن تکون کافیة لتوضیح أن هذه النون تخفی فی الصوت الذی بعدها، و یفهم القارئ المتخصص من تلک العلامة أن معتمد النون ینتقل إلی مخرج الصوت الذی بعدها مع المحافظة علی جریان النّفس من الأـنف، و لاـ شـک فی أن الأـمر یحتـاج إلی اتفـاق المعنّیین علی صـیغة معینـة، أکثر من الحاجـة إلی مقترح جدیـد قـد یکون مـدعاة للتشویش أو التعقیـد، و همّنا فی هـذا البحث الکشف عن حقیقـة إخفاء النون، و المذهب الراجح فی طریقة أدائه، و أحسب أن ذلک تحقق- إن شاء اللّه- فی الصفحات السابقة.

## خاتمة البحث

خاتمة البحث ۱- إن طریقـة إخفاء النون الساکنـة لدی القراء المعاصـرین تجری علی أکثر من صورة، فمنهم من ینقل معتمد النون فی الفم إلی مخرج الصوت الـذی تخفی عنـده، و منهم من یفعل ذلک لکنه یجافی طرف لسانه قلیلا عند الدال و التاء و الطاء و الضاد، و منهـم لاـ ینقـل معتمـد النـون لکنـه یجـافی طرف لسـانه عـن اللثـة قلیلاـ أیـا کـان الصـوت الـذی تخفی عنـده النـون.

(_____ ۱) ینظر: أحمـد مختـار عمر: دراسـة الصوت اللغوی ص ۷۱- ۷۲. (۲) أصوات العربیـة بین التحول و الثبات ص ۱۰۵. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۳۳ ۲- إن تتبع أقوال العلماء المتقدمین و المعاصـرین فی وصف حالة آلة النطق عند إخفاء النون یرجح المذهب الأول من مذاهب أهل الأداء، و ذلک بأن یضع النـاطق لسـانه فی مخرج الصوت الـذی تخفی عنـده النون، فیکون للنون المخفـاة نطقـا متمیزا مع کـل صوت من الأـصوات التی تخفی عندها. ۳- یمکن أن نستخلص تعریفا لإخفاء النون أکثر تحدیدا و وضوحا، فنقول: إن الإخفاء هو انتقال معتمد النون من طرف اللسان بینه و بین ما یلیه من اللثـة إلی مخرج الصوت الـذی بعـدها، و تأخـذ آلـة النطق ذات الشـکل الـذی تکون علیه عند نطق ذلک الصـوت، مع بقـاء مجری النّفس من الخیشوم. ۴- إن مـا انتهی إلیه هـذا البحث یعتمـد علی الملاحظـة الذاتیـة لکـاتبه و فهمه الخاص للنصوص و طرق الأداء المتعلقـة به، و أحسب أن بعضا من جوانبه و نتائجه بها حاجـة إلی أن تعالج فی أجهزة مختبر الصوت الحدیثة،

و أحسب أیضا أنّ جمع أهل الأداء علی مذهب واحد من المذاهب الثلاثة لدی القراء المعاصرین لا یتقرر إلا من خلال ندوة أو مؤتمر علمی یضم أهل الاختصاص من علماء القراءة و التجوید و علم الأصوات اللغویة لیعتمدوا الطریقة الصحیحة لإخفاء النون، و حسبی هنا أنی لفتّ الأنظار إلی قضیة من أبرز قضایا الأداء القرآنی فی زماننا. و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمین أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۳۴

## (۴) إخفاء المیم فی النّطق العربی

### مقدمة

مقدمة درس علماء العربیة و علماء القراءة و التجوید الأصوات اللغویة دراسة مستفیضة، و اعتنوا بتجوید مخارجها و ذکر صفاتها، و بحثوا الظواهر الصوتیة التی تعرض لها فی الکلام المنطوق. و کان صوت المیم أحد الأصوات التی أخذت جانبا غیر قلیل من جهودهم. فحدّدوا مخرجها، و ذکروا صفاتها، و لم یختلفوا فی ذلک، لکنهم حین بحثوا الظواهر الصوتیة التی تعتری هذا الصوت فی الکلام المنطوق اختلفت عبارتهم و تعددت وجهات نظرهم. و کان جلّ ذلک الاختلاف یدور حول وصف نطق المیم إذا وقعت ساکنة قبل الباء فی مثل قول اللّه تعالی: وَ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ (۲۸) [النجم]، فقال بعضهم إن حکم المیم هاهنا الإظهار، و قال بعضهم: إن حکمها الإخفاء، و حاول آخرون التقریب بین المذهبین. و المتأمل الیوم لأداء قرّاء القرآن یجد أن منهم من یفتح شفتیه عند نطق المیم الساکنة قبل الباء، و هو ما لم أجد له ذکرا فی المصادر القدیمة لعلم التجوید و علم القراءات، و منهم من یطبق شفتیه للصوتین جمیعا، و کلا الفریقین یحتج بالروایة و التلقی عن الشیوخ. و وجدت أن الموضوع به حاجة لعرض و التأمل و الفحص، فی ضوء حقائق علم الأصوات اللغویة، عسی أن یکون ذلک عاملا لتقریب وجهات النظر و توحید صور النطق، إن شاء اللّه تعالی، هو الموفق و المیسر و المعین. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۳۵

### المبحث الأول المیم صفاتها و أحکامها الصوتیة

#### أولا: صفات المیم الصوتیة:

أولا: صفات المیم الصوتیة: یتلخص الوصف الصوتی للمیم بأنه صوت شفویّ، أغنّ، مجهور «۱». و کلمة (شفوی) تحدد مخرج المیم، قال سیبویه: «و مما بین الشفتین مخرج الباء، و المیم، و الواو» «۲». و تحدد کلمة (أغن) مجری النّفس عند النطق به، حیث یتخذ النّفس مجراه خلال التجویف الأنفی (الخیاشیم)، فتحدث النّغمة الصوتیة التی تعرف بالغنة، و تشارک النون المیم فی هذه الصفة من بین سائر أصوات اللغة العربیة «۳». و تحدد کلمة (مجهور) حالة الوترین الصوتیین فی الحنجرة، فی أثناء النطق بالمیم، فإذا اهتز الوتران فی أثناء النطق بالصوت، حدثت نغمة تعرف بالجهر، و وصف الصوت بأنه مجهور، و إذا ظلا ساکنین لم تحدث تلک النغمة و وصف الصوت بأنه مهموس «۴». و صوت المیم یتکون بحبس النّفس (الهواء) حبسا تاما فی الفم بأن تنطبق الشفتان انطباقا کاملا، و ینخفض الحنک اللین (اللهاة و ما اتصل بها)، فیتمکن الهواء الخارج من الرئتین من الخروج عن طریق الأنف، و فی أثناء مرور الهواء بالحنجرة عند النطق بالمیم یهتز الوتران الصوتیان فیحدث الجهر، و من ثم یوصف صوت المیم بأنه صوت، شفوی، أغن، مجهور «۵».

(_____ ۱) ینظر: محمود السعران: علم اللغة ص ۱۸۵، و کمال محمد بشر: الأصوات ص ۱۶۷. (۲) الکتاب ۴/ ۴۳۳. (۳) ینظر: سیبویه: الکتاب ۴/ ۴۳۴، و مکی: الرعایة ص ۲۰۶، و الدانی: التحدید ص ۱۱۱. (۴) ینظر محمود السعران: علم اللغة ص ۱۴۵، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوی ص ۱۰۶. (۵) إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ص ۴۵، و محمود السعران: علم اللغة ص ۱۸۴. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۳۶ و سمّی عدد من

علماء التجويد الميم بالراجع، لأنها ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنة. «۱»

### ثانيا: أحكام الميم الصوتية:

#### اشارة

ثانيا: أحكام الميم الصوتية: إن من قواعد علم الأصوات اللغوية أن الأصوات إذا تجاورت فى الكلام يتأثر بعضها ببعض «۲»، لأن المجاورة لها تأثير «۳». و أقرب الأصوات مخرجا إلى صوت الميم صوت الباء و الواو اللذان يشاركانها فى المخرج، و صوت الفاء الذى يخرج من باطن الشفة السفلة و أطراف الثنايا العلى «۴». و هناك عاملان قللا من تأثر الميم بالأصوات المجاورة له وهما «۵»: ۱- إن الإدغام يكثر فى حروف الفم و يقل فى حروف الحلق و الشفتين، و الميم من حروف الشفتين «۶». ۲- إن كل صوت فيه زيادة صفة لا يدغم فيما هو أنقص صفة منه، و الميم تميزت عن غيرها من أصوات اللغة العربية بصفة الغنة التى لا يشاركها فيها صوت آخر سوى النون «۷». و من ثم فإن الأحكام الصوتية للميم الناشئة عن التركيب تنحصر فى مجاورتها لأصوات الشفتين: الباء و الميم و الواو، و صوت الفاء الذى تشترك الشفة السفلى فى مخرجه، و ذلك على النحو الآتى:

(_____ ۱) مكى: الرعاية ص ۱۱۲، و الدانى: التحديد ص ۱۱۱، و عبد الوهاب القرطبى: الموضح ص ۹۷. (۲) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ۱۷۹. (۳) عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة ۲۷ و. (۴) سيبويه: المتاب ۴/ ۴۳۳. (۵) ينظر: كتابى: الدراسات الصوتية ص ۴۵۸. (۶) ينظر: سيبويه: الكتابة ۴/ ۴۴۸ و ۴۴۹ و ۴۵۰. (۷) ينظر: الدانى: التحديد ص ۱۱۲، و القرطبى: الموضح ص ۹۸ و ابن الباذش: الإقناع ۱/ ۱۸۸. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۳۷

### ۱- مع الميم:

۱- مع الميم: إذا التقت الميم الساكنة بمثلها وجب الإدغام، جريا على قاعدة إدغام المتماثلين، قال مكى: «و إذا لقى الميم و هى ساكنة ميم أخرى وجب الإدغام» «۱» و قال الدانى: «فإذا التقى بمثله أدغم فيه لا غير» «۲». و ذلك نحو: خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ (۲۹) [البقرة]. و وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ (۴۰) [يونس]، و وَ لَهُمْ ما يَدَّعُونَ (۵۷) [يس].

### ۲- مع الفاء و الواو:

#### اشارة

۲- مع الفاء و الواو: الميم إذا سكنت مع الفاء و الواو وجب الاعتناء بإظهارها، فالفاء نحو: هُمْ فِيها (۳۹) [البقرة]، و وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ (۱۵) [البقرة]. و الواو نحو: هُمْ وَقُودُ النَّارِ (۱۰) [آل عمران] و وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ (۲۲) [لقمان] «۳». قال عبد الوهاب القرطبى: «فأظهر غنّتها، و أجد إسكانها، و توقّ إزعاجها و سبق الحركة إليها، بأن تطبق شفتيك و تلحق ثنيتيك بمخرج الفاء، و تضمّ شفتيك على الواو عند انفتاح شفتيك من الميم، فى وقت واحد، من غير إبطاء يؤول إلى التشديد، و لا اضطراب يوهم الإزعاج و التحريك. و هذا الأصل ينبغى أن يستعمل فى جميع ما يجب إظهاره» «۴». و ذكر أبو العلاء العطار أن إظهار الميم عند الواو أسهل منه عند الفاء، و ذلك لأن الميم توافق الواو فى المخرج، فأما عند الفاء فيحتاج فيها إلى تكلف، لأن الفاء بانحدارها إلى الفم باعدت الميم «۵».

(_____ ۱) الرعایة ص ۲۰۷. (۲) التحدید ص ۱۶۷. (۳) الدانی: التحدید ص ۱۶۷، و مکی: الرعایة ص ۲۰۶. (۴) الموضح ص ۱۶۵. (۵) التمهید ۱۵۵ ظ. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۳۸ و لعل ما ذکره العطار یفسر لنا عدم اختلاف القراء فی إظهار الواو، و میل بعضهم إلی إخفاء المیم أو إدغامها فی الفاء. و یتلخص مما ذکره علم الدین السخاوی عن حکم المیم عند الفاء ثلاثة مذاهب «۱»:

### أ- مذهب البغدادیین، و هو مذهب جمهور القراء، الإظهار

أ- مذهب البغدادیین، و هو مذهب جمهور القراء، الإظهار قال الأهوازی: «و الإظهار فی ذلک مذهب البغدادیین عن الجماعة» «۲»، و قال السخاوی: «و علی ذلک جمیع أهل الأمصار، و هو اختیار عامة القراء» «۳».

### ب- مذهب الکوفیین، عن الکسائی، الإدغام.

ب- مذهب الکوفیین، عن الکسائی، الإدغام. قال أبو عمرو الدانی: «علی أن أحمد بن أبی سریج قد روی عن الکسائی إدغامه فی الفاء، و ذلک غیر صحیح و لا جائز» «۴». و قال السعیدی: «و هو ردیء عند أهل الأداء، و قلیل من یأخذ به، لبعد مخرج الفاء من المیم فی الشفة السفلی» «۵». و قال السخاوی: «و روی عن الکسائی إدغام ذلک، حیث کان، مع إظهار الغنة من غیر استثناء شیء من ذلک، و علی ذلک الکوفیون» «۶». و کلام السخاوی هذا لا یخلو من إشکال، فإذا کان الکسائی یدغم المیم فی الفاء فی مثل (هم فیها) فإن ذلک یعنی قلب المیم فاء و یکون النطق هکذا (هف فیها)، لکن قوله: «مع إظهار الغنة» یعنی عدم قلب المیم فاء محضة، و لعله

(_____ ۱) جمال القراء ۲/ ۵۳۷. (۲) الوجیز ۱۳ ظ. (۳) جمال القراء ۲/ ۵۳۷. (۴) التحدید ص ۱۶۷. (۵) التنبیه ص ۲۸۳. (۶) جمال القراء ۲/ ۵۳۷. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۳۹ یرید صوتا أنفیا من مخرج الفاء، و هو حینئذ یشبه الإخفاء، و قد نسب العطار إخفاء المیم عند الفاء إلی الکسائی «۱».

### ج- مذهب البصریین، عن الیزیدی، و أبی عمرو بن العلاء، الإخفاء

ج- مذهب البصریین، عن الیزیدی، و أبی عمرو بن العلاء، الإخفاء قال السخاوی: «و الإخفاء مذهب البصریین و علیه قراءتهم» «۲». و لا یعنی نص علماء القراءة علی إظهار المیم عند الفاء و الواو أنها لا تظهر عند الأصوات الأخری، فالإظهار حکم یشمل کل الأصوات ما عدا المیم و الباء، قال ابن الجزری، بعد أن ذکر إدغامها فی المیم و إخفاءها فی الباء: «الحکم الثالث: إظهارها عند باقی الأحرف ... و لا- سیما إذا أتی بعدها فاء أو واو فلیعن بإظهارها لئلا- یسبق اللسان إلی الإخفاء لقرب المخرجین نحو (هم فیها، و یمدهم فی، و علیهم و ما، و أنفسهم و ما)، فیتعمّل اللسان عندهما ما لا یتعمّل فی غیرهما» «۳».

### ۳- مع الباء:

۳- مع الباء: یذهب أکثر العلماء إلی أن حکم المیم الساکنة قبل الباء الإخفاء، و فی هذه القضیة تفصیل نعرضه فی المبحث الآتی، إن شاء اللّه.

## المبحث الثانی حکم المیم مع الیاء

### اشارة

المبحث الثانی حکم المیم مع الیاء إذا جاءت المیم ساکنة قبل الباء فإنها لا تدغم فیها، قال سیبویه، رحمه اللّه: «فالمیم لا تدغم فی الباء، و ذلک قولک: أکرم به» «۴». و قد اختلف العلماء بعد ذلک فی حقیقة حکمها، هل هی مخفاة أو مظهرة؟

(_____ ۱) التمهید ۱۵۵ ظ. (۲) جمال القراء ۲/ ۵۳۷. (۳) النشر ۱/ ۲۲۲. (۴) الکتاب: ۴/ ۴۴۷. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۴۰

### ۱- القول بأنها مظهرة:

۱- القول بأنها مظهرة: ذهب عدد من العلماء إلی أن المیم الساکنة قبل الباء حکمها الإظهار، فقال أبو الحسین بن المنادی: «أخذنا عن أهل الأداء خاصة تبیان المیم الساکنة عند الواو و الباء و الفاء، فی حسن من غیر إفحاش» «۱». و قال أحمد بن یعقوب التائب: «أجمع القراء علی تبیین المیم الساکنة و ترک إدغامها إذا لقیتها باء فی جمیع القرآن» «۲». و قال مکی القیسی: «و إذا سکنت المیم وجب أن یتحفظ بإظهارها ساکنة عند لقائها باء أو فاء أو واوا، نحو وَ هُمْ فِیها ... و مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ و شبه ذلک کثیر فی القرآن. لا بد من بیان المیم الساکنة فی هذا کله ساکنة من غیر أن یحدث فیها شیء من حرکة، و إنما ذلک خوف الإخفاء و الإدغام لقرب مخرج المیم من مخرجهن، لأنهن کلهن یخرجن مما بین الشفتین، غیر أن الفاء تخرج من باطن الشفة السفلی و أطراف الثنایا العلی، و لو لا اختلاف صفات الباء و المیم و الواو علی ما قدّمنا من الشرح لم یختلف السمع بهن، و لکنّ فی السمع صنفا واحدا» «۳».

### ۲- القول بأنها مخفاة:

۲- القول بأنها مخفاة: و هو مذهب طائفة کبیرة من العلماء، و هو المشهور فی زماننا، قال أبو عمرو الدانی: «فإن التقت المیم بالباء نحو: آمَنْتُمْ بِهِ، و ما أشبهه، فعلماؤنا مختلفون فی العبارة عنها معها. فقال بعضهم: هی مخفاة لانطباق الشفتین علیهما، کانطباقهما علی إحداهما، و هذا مذهب ابن مجاهد، فی ما حدثنا به الحسین بن علی، عن أحمد بن نصر، عنه، قال: و المیم لا تدغم فی الباء لکنها تخفی، لأن لها صوتا فی الخیاشیم تواخی به النون الخفیفة ...» «۴».

(_____ ۱) الدانی: التحدید ص ۱۶۸، و العطار: التمهید ۱۵۵ ظ. (۲) الدانی: التحدید ص ۱۶۹. (۳) الرعایة ۲۰۶- ۲۰۷. (۴) التحدید ص ۱۶۸، و ینظر: القرطبی: الموضح ص ۱۷۲. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۴۱ و قد صحّح ابن الجزری المذهبین، لکنه رجّح الإخفاء، فقال و هو یتحدث عن أحکام المیم: «الثانی الإخفاء عند الباء، علی ما اختاره الحافظ أبو عمرو الدانی و غیره من المحققین، و ذلک مذهب أبی بکر بن مجاهد و غیره، و هو الذی علیه أهل الأداء بمصر و الشام و الأندلس و سائر البلاد الغربیة، و ذلک نحو: یَعْتَصِمْ بِاللَّهِ و رَبَّهُمْ بِهِمْ، أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ. و قد ذهب جماعة کأبی الحسین أحمد بن المنادی و غیره إلی إظهارها عندها إظهارا تاما، و هو اختیار مکی القیسی و غیره. و هو الذی علیه أهل الأداء بالعراق و سائر البلاد الشرقیة، و حکی أحمد بن یعقوب التائب إجماع القراء علیه. قلت (ابن الجزری): الوجهان صحیحان، مأخوذ بهما، إلا أن الإخفاء أولی»، و قال المرادی: «القول بالبیان أشهر و علیه الأکثر» «۱». و لا یتضح الفرق بین نطق المیم بالإظهار فی مثل: ما لَهُمْ بِهِ، و نطقها بالإخفاء، لأن کلا من المیم و الباء تنطبق الشفتان عند النطق بهما، إلا أنهما تنفرجان مع الباء و لا تنفرجان مع المیم لأن النّفس یجری فی الخیاشیم. فإذا وقعت المیم ساکنة قبل الباء فإن انطباق الشفتین یستمر عند النطق بالمیم ثم عند نطق الباء، حیث ینتهی بانفراجها لتحقیق شدة الباء. و قد تنبه إلی هذا من قبل والد ابن الباذش حیث قال فی کتابه الإقناع: «قال لی أبی،

رضى اللّه عنه: «المعوّل عليه إظهار الميم عند الفاء و الواو و الباء، و لا يتجه إخفاؤها عندهن إلا بأن يزال مخرجها من الشفة، و يبقى مخرجها من الخيشوم، كما يفعل ذلك فى النون المخفاة، و إنما ذكر سيبويه الإخفاء فى النون دون الميم، و لا ينبغى أن تحمل الميم على النون فى هذا، لأن النون هى الداخلة على الميم فى البدل فى قولهم: شنباء و عنبر و صُمٌّ بُكْمٌ، فحمل الميم عليها غير متجه، لأن للنون تصرّفا ليس للميم، أ لا ترى أنها تدغم و يدغم فيها، و الميم يدغم فيها و لا تدغم، إلا أن يريد القائلون بالإخفاء انطباق الشفتين على الحرفين انطباقا واحدا، فذلك

(۱) المفيد ص ۱۳۵. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۴۲ ممكن فى الباء وحدها فى نحو: أكرم بزيد. فأما الفاء و الواو فغير ممكن فيهما الإخفاء إلا بإزالة مخرج الميم من الشفتين، و قد تقدم امتناع ذلك، فإن أرادوا بالإخفاء أن يكون الإظهار رفيقا غير عنيف فقد اتفقوا على المعنى، و اختلفوا فى تسميته إظهارا أو إخفاء، و لا تأثير لذلك، و أما الإدغام المحض فلا وجه له» «۱». و قد وجدت للمرعشى كلاما دقيقا فى التفريق بين إظهار الميم الساكنة قبل الباء و إخفائها، يتلخص فى أن انطباق الشفتين فى الإظهار أقوى من انطباقهما فى الإخفاء. و يقول: «و لو تلفظت بإظهار الميم هنا لكان زمان انطباقهما فيه كزمان انطباقهما فى الباء لإخفاء الغنة حينئذ، و تقوّى انطباقهما فى إظهار الميم فوق انطباقهما فى إخفائه لكن دون قوة انطباقهما فى الباء، إذ لا غنة فى الباء أصلا بخلاف الميم الظاهرة، فإنها لا تخلو عن أصل الغنة، و إن كانت خفية، و الغنة تورث للاعتماد ضعفا» «۲». و المأخوذ به فى زماننا عند أهل الأداء فى حكم الميم الساكنة قبل الباء هو الإخفاء، و هو المنصوص عليه فى الكتب المؤلفة فى علم التجويد فى عصرنا، و يسميه بعضهم الإخفاء الشفوى «۳»، لكنهم مختلفون فى النطق به، فمنهم من يطبق شفتيه عند النطق بالصوتين، و منهم من يجافى بينهما «۴». و هو ما نعرضه فى المبحث الآتى، إن شاء اللّه تعالى.

(۱) الإقناع ۱ / ۱۸۱- ۱۸۲. (۲) جهد المقل ۳۱ و. (۳) ينظر: كمال الدين الطائى: رسالة فى قواعد التلاوة ص ۸۴ و فرج توفيق الوليد: قواعد التلاوة و علم التجويد ص ۹۴. (۴) نقل الدانى فى التحديد (ص ۱۱۹) عن ابن مجاهد أنه قال: «و غنة الميم و النون عند الباء تشتبه، و لا يكاد من لا يعرف أن يفرق بينهما فى قوله تعالى مَنْ أَنْبَأَكَ هذا و قوله كُنْتُمْ بِهِ و نحوها فى اللفظ» و لم أجد من المؤلفين من نصّ على الفرق، لكنى وجدت القرطبى (الموضح ص ۱۷۵) يقول: «فلا يوجد فرق فى اللفظ بين قوله أَمْ بِظاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ ... و بين قوله أُنَبِّئُكُمْ، سواء كان ما قبل الباء نونا أو ميما، لا فرق بينهما، كله فى اللفظ سواء». و ينظر أيضا: الدمياطى: إتحاف ص ۳۲. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۴۳

## المبحث الثالث حقيقة إخفاء الميم الساكنة قبل الباء

### اشارة

المبحث الثالث حقيقة إخفاء الميم الساكنة قبل الباء المتأمل لنطق المجيدين من قراء القرآن فى زماننا يجد أنهم ينقسمون على قسمين فى كيفية النطق بالميم المخفاة قبل الباء: فمنهم من يجافى بين شفتيه قليلا عند النطق بالميم، ثم يطبق شفتيه إذا انتقل إلى نطق الباء بعدها، و هو المشهور فى الديار المصرية و من أخذ القراءة عن قرائها. و منهم من لا يجافى بين شفتيه عند النطق بالميم و يطبق شفتيه للميم و الباء، و هو المشهور فى الديار العراقية. و قد تحققت من ذلك بالأخذ عن الشيوخ و السؤال عنه، ففى سنة ۱۹۷۵، وقت إقامتى فى القاهرة لدراسة الماجستير، كنت أتردد على الشيخ عامر السيد عثمان، أحد مشايخ الإقراء فى القاهرة، فكان لا يقبل ممن يقرأ عليه أن يطبق شفتيه عند نطق الميم الساكنة قبل الباء، و يأبى إلا انفراجهما. و قد صرت أسأل قراء العراق الذين ألتقى بهم عن كيفية إخفاء الميم الساكنة قبل الباء، فكانوا يقرءون بإطباق الشفتين للصوتين معا، و لا يأخذون بانفراجهما مع الميم. و كان آخر مرة سألت عن ذلك فى صيف سنة ۱۹۹۵ عند التقائى بالشيخ إبراهيم المشهدانى، أحد مشايخ الإقراء فى مدينة الموصل، فقال: نحن لا نعرف إلا

إطباق الشفتين عند النطق بالميم المخفاة، و أن روايتهم للقراءة كانت هكذا عن شيوخهم. و لم أجد فی كتب علم التجويد القديمة من أشار إلى انفراج الشفتين عند النطق بإخفاء الميم الساكنة عند الباء، بل وجدت المؤلفين ينصون على انطباق الشفتين للصوتين معا، فيقول الدانی: «هی مخفاة لانطباق الشفتين عليهما، أبحاث فی علم التجويد، ص: ۱۴۴ كانطباقهما على إحداهما» «۱». و قال والد ابن الباذش: «إلا أن يريد القائلون بالإخفاء انطباق الشفتين على الحرفين انطباقا واحدا، فذلك ممكن فی الباء وحدها فی نحو أكرم بزيد» «۲». و وجدت المصادر المتأخرة تشير إلى عدم المبالغة فی إطباق الشفتين مع الميم قبل الباء، فقال الشيخ عبد الغنی النابلسی و هو يتحدث عن النون الساكنة قبل الباء: «و أما الإقلاب فهو جعل النون الساكنة المتوسطة و المتطرفة و التنوين عند الباء الموحدة ميما خالصة، ثم إخفاؤها بغنة من غير تشديد، كما ذكرنا نحو أَنْ بُورِكَ، أَنْبِئْهُمْ، عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ. و ليحترز القارئ عند التلفظ بالإقلاب من كزّ (الشفتين) على الميم المقلوبة فی اللفظ، لئلا يتولد التشديد عند كزها» «۳». و صرح المرعشی بذلك أيضا فقال: «و بالجملة إن الميم و الباء يخرجان بانطباق الشفتين، و الباء أدخل و أقوى انطباقا، كما سبق فی بيان المخارج، فتلفظ بالميم فی (أن بورك) بغنة ظاهرة و بتقليل انطباقهما، و تجعل المنطبق من الشفتين فی الباء أدخل من المنطبق فی الميم» «۴». و قد أثبت بعض المؤلفين المعاصرين القول بانفراج الشفتين عند النطق بالميم المخفاة فی رسالة له فی التجويد، كما نقل ذلك الأستاذ محمد عبد القادر الخلف فی رسالته للماجستير عن (قراءة عاصم) «۵»، و هذه قضية تستدعی النظر و التأمل، و من المحتمل أنها تطورت عن تأكيد العلماء المتأخرين على تقليل انطباق الشفتين عند النطق بالميم المخفاة، فبالغ بعضهم فی تقليل الانطباق حتى أدى ذلك إلى انفراجهما، و هذا أمر لا نملك القطع به، لأن كلا الفريقين يحتج بالرواية عن الشيوخ و المشافهة عنهم. و اللّه أعلم.

(_____ ۱) التحديد ص ۱۶۸. (۲) الإقناع ۱/ ۱۸۲. (۳) كفاية المستفيد ۱۹ ظ. (۴) جهد المقل ۳۰ ظ. (۵) قراءة عاصم ص ۶۸. أبحاث فی علم التجويد، ص: ۱۴۵

### الخاتمة

الخاتمة إن الإشكال الذی يثيره موضوع نطق الميم الساكنة قبل الباء يتلخص فی أمرين: الأول: هل حكم الميم فی هذه الحالة هو الإظهار أو الإخفاء؟ و قد انقسم العلماء فی ذلك على قسمين: منهم من قال إنه إظهار، و منهم من قال إنه إخفاء. و قد حاول بعض العلماء المتقدمين التوفيق بين المذهبين بالقول إن حقيقة النطق واحدة و إنهم اختلفوا فی التسمية فقط. و أنا أميل إلى ترجيح هذا القول، لأن طبيعة نطق الصوتين تؤكد ذلك. الثانی: إن كتب التجويد تشير إلى انطباق الشفتين عند النطق بالميم الساكنة قبل الباء للصوتين معا، لكن أهل الأداء فی عصرنا منقسمون على قسمين، فمنهم من ينطق على ما نحو ما وصف المتقدمون، و منهم من يجافی بين شفتيه عند نطق الميم، و قد أثبت ذلك بعض المؤلفين المعاصرين، و كل منهم متمسك بروايته معتقد بصحتها دون ما سواها. و لا أملك فی هذا البحث ردّ أیّ من المذهبين، و لكنی أرجّح الرواية التی تتطابق مع وصف علماء التجويد المتقدمين لنطق الميم المخفاة، و هی التی تؤكد على انطباق الشفتين عند النطق بالميم، لأن القول بانفراجهما لم تشر إليه المصادر القديمة، و لأنه لا يتوافق مع نظرية السهولة فی نطق الأصوات التی تتحقق عند النطق بانطباق الشفتين أكثر مما تتحقق عند النطق بانفراجهما. و بعد فإن هذه القضية الصغيرة فی الأداء القرآنی تستدعی أن يتبادل حولها المعنيون بالأداء القرآنی و علم الأصوات العربی الرأی من أجل أن نحافظ على النطق العربی صحيحا موحدا. و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين. أبحاث فی علم التجويد، ص: ۱۴۶

## (۵) قضيّة الضّاد فی العربيّة

### مقدمة

مقدمة الحمد للّه، و الصلاة و السلام علی سیدنا محمد رسول اللّه، و بعد: فإن مما اتفق علیه المهتمون بعلم أصوات العربیة أنّ وصف علماء العربیة و علماء التجوید الأوائل لصوت الضاد لا ینطبق الیوم علی نطق مجیدی قراءة القرآن لهذا الصوت، و أن هذا الأمر قد أدی بهم إلی القول أن تغیرا قد حصل فی نطق الضاد، و هو تغیر یشمل مخرج الصوت و بعض صفاته، و لکن هذا التغیر لم یحظ باعتراف کثیر من القائمین علی أمر تعلیم تلاوة القرآن فی زماننا و المؤلفین لکتب علم التجوید. و قد أدت تلک الحالة إلی تناقض بین النظریة و التطبیق، ففی الوقت الذی یوصف صوت الضاد فی کتب تعلیم قواعد التلاوة بأنه صوت رخو و أن مخرجه من حافة اللسان نجد أنه فی نطق مجیدی القراءة فی زماننا صوت شدید و مخرجه من اللثة، کما أنه یعامل علی أساس أنه صوت متفرد یتصف بالاستطالة و یستعصی علی الإدغام بغیره من الأصوات، بینما هو فی النطق المعاصر یکاد یعامل معاملة صوت الطاء، أو یجب أن یکون کذلک، من هذه الناحیة. و تلک قضیة تستحق أن تناقش، و أن یکون القراء فی زماننا و المؤلفون لکتب تعلیم قواعد التلاوة علی بینة منها، و أن تجتمع الکلمة حولها، و قد کتبت هذا البحث لتحدید أبعاد قضیة الضاد الیوم، فی النطق العربی عامة، و فی قراءة القرآن خاصة، لعل ذلک یسهم فی زیادة الاهتمام بها، و یضع حدا لذلک التناقض فی معالجتها، و سوف أعرض الموضوع من خلال المبحثین الآتیین: أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۴۷ المبحث الأول: قضیة الضاد فی التراث العربی القدیم. المبحث الثانی: قضیة الضاد فی الوقت الحاضر. أسأل اللّه تعالی التوفیق للصواب فی القول، و السداد فی العمل، و الإخلاص فی القصد، هو حسبنا و نعم الوکیل.

## المبحث الأول قضیة الضاد فی التراث العربی القدیم

### اشارة

المبحث الأول قضیة الضاد فی التراث العربی القدیم تعتمد قراءة القرآن الکریم علی التلقی الشفوی من فم المعلم، و کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یقول للصحابة، رضی اللّه عنهم: «اقرءوا کما علّمتم» «۱»، و کان قرّاء القرآن الأوائل من الصحابة و التابعین یقولون: «القراءة سنّة، یأخذها الآخر من الأول» «۲». «و الأخبار الواردة عن السلف و الأئمة و العلماء فی هذا المعنی کثیرة» «۳». و ظل علماء القراءة یعلّمون القراءات بالروایة، و یضبطون النطق بالمشافهة، طیلة أعوام القرن الهجری الأول، و عقودا من القرن الثانی، ثم صارت المعارف علوما، و ظهرت المؤلفات فی علوم القرآن و العربیة، و کان لوصف أصوات العربیة نصیب فی تلک المؤلفات، و نجد أقدم وصف صوتی لصوت الضاد فی کتاب سیبویه، الذی ترک أثرا واضحا فی دراسة أصوات العربیة و مباحث علم التجوید، خاصة من جهة دراسة مخارج الحروف و صفاتها، و سوف أعرض موضوع الضاد فی التراث العربی القدیم فی فقرتین: الأولی: الضاد عند سیبویه، و الثانیة: الضاد عند علماء العربیة و التجوید بعد سیبویه.

(_____ ۱) ینظرک الطبری: جامع البیان ۱/ ۱۲، و أبو شامة: المرشد الوجیز ص ۸۴. (۲) ینظرک ابن مجاهد: کتاب السبعة ص ۴۹- ۵۵. (۳) جامع البیان ۱۲ ظ. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۴۸

### أولا- الضاد عند سیبویه:

أولا- الضاد عند سیبویه: تتحدد معالم الصوت اللغوی بمعرفة مخرجه من آلة النطق، و تعیین صفاته التی تنشأ عن تشکّل بعض آلة النطق فی هیئات مخصوصة، لکن الحدیث عن أی صوت لغوی لا یکتمل إلا بالوقوف علی سلوک الصوت فی السلسلة الکلامیة و علاقته بما یجاوره من أصوات. أما مخرج الضاد فقد حدده سیبویه بقوله: «و من بین أول حافة اللسان و ما یلیها من الأضراس مخرج الضاد» «۱». و «للسان حافتان من أصله إلی رأسه کحافتی الوادی، و هما جانباه» «۲». و یرید سیبویه بأول حافة اللسان حافته من جهة

أقصی اللسان لا من جهة طرفه، لأنه ذکر مخارج الحروف مبتدئا بمخارج الحلق صاعدا إلی مخارج الفم و الشفتین، و تشارک اللام الضاد فی المخرج إلا أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان و اللام مخرجها من أدنی حافة اللسان من جهة طرفه، قال سیبویه فی تحدید مخرج اللام: «و من حافة اللسان من أدناها إلی منتهی طرف اللسان» «۳». أما صفات الضاد فقد ذکر سیبویه منها: الجهر، و الرخاوة، و الإطباق، و الاستعلاء و الاستطالة: ۱- المجهور عند سیبویه «حرف أشبع الاعتماد فی موضعه، و منع النّفس أن یجری معه حتی ینقضی الاعتماد و یجری الصوت»، و ضد المجهور المهموس، و الأصوات المهموسة عند سیبویه عشر، و ما عداها مجهور، و ذکر الضاد من الأصوات المجهورة «۴». و یعرّف علماء الأصوات المحدثون الصوت

(۱) الکتاب ۴ / ۴۳۳. (۲) الوفائی: الجواهر المضیة ۱۹ ظ. (۳) الکتاب ۴/ ۴۳۳. (۴) الکتاب ۴/ ۴۳۴. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۴۹ المجهور علی نحو أکثر وضوحا و تحدیدا من تعریف سیبویه فیقولون: المجهور هو الصوت الذی یهتز الوتران الصوتیان عند النطق به «۱». ۲- و الصوت الرخو عند سیبویه ضد الشدید، و قد عرّف الشدید بقوله: «هو الذی یمنع الصوت أن یجری فیه» و ذکر الضاد ضمن الأصوات الرخوة «۲». و واضح أن سیبویه یرید بالشدید الصوت الذی یحبس النّفس فی مخرجه، ثم یطلق، و بالرخو الصوت الذی لا یحبس النّفس فی مخرجه، و إنما یضیق المخرج حتی یمر النّفس من منفذ ضیق، و من المحدثین من یسمی الشدید الصوت الانفجاری و الرخو الصوت الاحتکاکی «۳». ۳- و الضاد صوت مطبق، و معنی الإطباق أن أقصی اللسان یتصعد باتجاه أقصی الحنک (أقصی سقف الفم) عند وضع طرف اللسان فی مخرج الحرف فیتخذ اللسان شکلا مقعرا کالطبق. و قد تحدث سیبویه عن الإطباق و الحروف المطبقة حیث قال: «و منها المطبقة و المنفتحة، فأما المطبقة فالصاد و الضاد و الطاء و الظاء. و المنفتحة ما سوی ذلک من الحروف، لأنک لا تطبق لشیء منهن لسانک، ترفعه إلی الحنک الأعلی. و هذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانک فی مواضعهن انطبق لسانک من مواضعهن إلی ما حاذی الحنک الأعلی من اللسان ترفعه إلی الحنک، فإذا وضعت لسانک فالصوت محصور فیما بین اللسان و الحنک إلی موضع الحروف. و أما الدال و الزای و نحوهما فإنما ینحصر الصوت إذا وضعت لسانک فی

(۱) ینظر: إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ص ۲۰، و محمود السعران: علم اللغة ص ۱۴۵، و کمال محمد بشر: الأصوات ص ۱۰۹، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوی ص ۱۰۶. (۲) الکتاب ۴/ ۴۳۴- ۴۳۵. (۳) ینظر: إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ص ۲۳- ۲۴، و کمال محمد بشر: الأصوات ص ۲۷. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۵۰ مواضعهن، فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، و قد بیّن ذلک بحصر الصوت. و لو لا الإطباق لصارت الضاد دالا، و الصاد سینا، و الظاء ذالا، و لخرجت الضاد من الکلام، لأنه لیس شیء من موضعها غیرها» «۱». ۴- ذکر سیبویه صوت الضاد مع الحروف المستعلیة، لکنه لم یوضح صفة الاستعلاء و إنما جاء کلامه عن الحروف المستعلیة فی أثناء حدیثه عن الحروف التی تمنع الإمالة، و ذلک فی قوله: «فالحروف التی تمنع الإمالة هذه السبعة: الصاد و الضاد و الطاء و الظاء و الغین و القاف و الخاء ... و إنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلیة إلی الحنک الأعلی» «۲»، ثم قال بعد ذلک: «فکان الانحدار أخف علیهم من الاستعلاء من أن یصعدوا من حال التسفل» «۳». و قد اعتنی علماء العربیة و علماء التجوید بعد سیبویه بالحدیث عن صفة الاستعلاء، فعرّفوا الاستعلاء بقولهم: «الاستعلاء أن یستعلی أقصی اللسان عند النطق بالحرف إلی جهة الحنک الأعلی» «۴». و قال ابن جنی: «و للحروف انقسام آخر: إلی الاستعلاء و الانخفاض، فالمستعلیة سبعة ... و ما عدا هذه الحروف فمنخفض، و معنی الاستعلاء أن تتصعد فی الحنک الأعلی، فأربعة منها فیها مع استعلائها إطباق، و قد ذکرناها، و أما الخاء و الغین و القاف فلا إطباق فیها مع استعلائها» «۵». ۵- الاستطالة: وصف سیبویه الضاد بالاستطالة و ذلک فی أثناء حدیثه عن الإدغام، فمن ذلک قوله و هو یتحدث إدغام لام المعرفة: «لأن الضاد استطالت لرخاوتها

(۱) الکتاب ۴/ ۴۳۶. (۲) الکتاب ۴/

۱۲۸- ۱۲۹. (۳) الكتاب ۴/ ۱۳۰. (۴) المرعشى: جهد المقل ۱۴ و. (۵) سر صناعة الإعراب ۱/ ۷۱، و ينظر: الدانى: التحديد ص ۱۰۸، و عبد الوهاب القرطبى: الموضح ۹۰- ۹۱. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۵۱ حتى اتصلت بمخرج اللام» «۱»، و قال فى موضع آخر: «و الإدغام فى الضاد أقوى، لأنها قد خالطت باستطالتها الثنية» «۲». و قال المرعشى فى توضيح معنى الاستطالة: «إنها امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها» «۳». أما علاقة صوت الضاد بغيره من الأصوات عند مجاورته لها فى السلسة الكلامية فقد وضحها سيبويه فى أثناء حديثه عن الإدغام بين الحروف، و الإدغام هو أن يلتقى صوتان متماثلان أو متقاربان و الأول منهما ساكن، فينطق بالحرفين نطقا واحدا بعد قلب الأول إلى جنس الثانى فى حالة المتقاربين. و نظرا لتميز الضاد بالمخرج، و بصفة الاستطالة، فإنها امتنعت عن الإدغام فى غيرها، قال ابن يعيش: «الضاد تدغم فى مثلها فقط كقولك: ادحض ضرمة، و لا تدغم فى غيرها لما فيها من الاستطالة التى يذهبها الإدغام» «۴». و كان سيبويه قد ذكر معنى ما ذكره ابن يعيش حين قال: «و يكرهون أن يدغموه، يعنى الضاد، فيما أدغم فيها من هذه الحروف» «۵». و يستخلص من كلام سيبويه فى باب الإدغام أن الحروف التى تدغم فى الضاد سبعة، هى: اللام، و الطاء، و الدال، و التاء، و الظاء، و الذال، و الثاء «۶». و ذكر ابن يعيش أنه «قد روى عن أبى عمرو [ابن العلاء] إدغام الضاد فى الشين فى قوله: لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ (۶۲) [النور]، قال ابن مجاهد: لم يرو عنه هذا إلا أبو شعيب السوسى، و هو خلاف قول سيبويه» «۷».

(_____ ۱) الكتاب ۴/ ۴۵۷. (۲) الكتاب ۴/

۴۶۶. (۳) جهد المقل ۱۷ و. (۴) شرح المفصل ۱۰/ ۱۴۰. (۵) الكتاب ۴/ ۴۶۶. (۶) الكتاب ۴/ ۴۵۷، ۴۶۵، و ينظر: ابن السراج: الأصول ۳/ ۴۲۶. (۷) شرح المفصل ۱۰/ ۱۴۰، و ينظر: ابن الجزرى: النشر ۱/ ۲۹۳. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۵۲ و يمكن تلخيص ما ذكره سيبويه عن الضاد فى النقاط الآتية: ۱- الضاد تميزت بمخرجها، فهى من حافة اللسان من أقصاها، مع ما يقابلها من الأضراس، و كان سيبويه قد ذكر (الضاد) قبل الجيم حين رتب الحروف (.. ك ض ج ش ى ..) «۱»، لكنه جعل مخرج الضاد بعد مخرج حروف وسط اللسان (ج ش ى) باتجاه طرف اللسان «۲». و كان الخليل بن أحمد قد قال: «الجيم و الشين و الضاد فى حيز واحد» و سماها شجرية لأن مبدأها من شجر الفم، و هو مفرجه «۳». ۲- و الضاد التى وصفها سيبويه صوت رخو لا ينحبس النفس فى مخرجه، مجهور يتذبذب الوتران عند النطق به، مطبق، مستعل، تميز بالاستطالة. ۳- و كل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فى ما هو أنقص صوتا منه، و فى الضاد استطالة ليست لشىء من الحروف فلم يدغموها فى شىء من الحروف المقاربة لها، إلا ما روى من إدغامها فى الشين فى قوله تعالى: لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ (۶۲) و سوّغ ذلك ما فى الشين من تفش يشبه الاستطالة يقربها من الضاد «۴»، و من ثمّ أدغمت اللام و التاء و الدال و الطاء و الثاء و الذال و الظاء فى الضاد، و لم تدغم هى فيها. ۴- الضاد بهذه الصفات صوت متفرد، و لهذا قال سيبويه: لو لا الإطباق ... لخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس من موضعها شىء غيرها. ۵- و يحسن بنا قبل أن نترك الحديث عن الضاد عند سيبويه أن نشير إلى ما ذكره

(_____ ۱) الكتاب ۴/ ۴۳۱. (۲) الكتاب ۴/

۴۳۳. (۳) العين ۱/ ۵۸. (۴) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل ۱۰/ ۱۴۰. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۵۳ عن الضاد الضعيفة، و هى أحد الحروف الفرعية غير المستحسنة فى قراءة القرآن و لا فى الشعر، و هو قوله: «إلا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن، و إن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر، و هو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقة، لأنك جمعت فى الضاد تكلّف الإطباق مع إزالته عن موضعه، و إنما جاز هذا فيها لأنك تحوّلها من اليسار إلى الموضع الذى فى اليمين و هى أخف، لأنها من حافة اللسان و أنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها، فتستطيل حين تخالط حروف اللسان، فسهل تحويلها إلى الأيسر، لأنها تصير فى حافة اللسان فى الأيسر إلى مثل ما كانت فى الأيمن، ثم تنسلّ من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان، كما كانت كذلك فى الأيمن» «۱». و ليس من اليسير توضيح كلام سيبويه عن الضاد الضعيفة أو تحديد مراده منه، لأن الضاد العربية التى وصفها سيبويه مجهولة اليوم عند الدارسين، و كذلك ما تفرع عنها، أيضا، لكننا سوف ننقل ما قاله بعض علماء العربية الأوائل عن الضاد الضعيفة فى الفقرة الآتية من هذا البحث.

## ثانیا- الضاد عند علماء العربیة و التجوید بعد سیبویه:

### اشارة

ثانیا- الضاد عند علماء العربیة و التجوید بعد سیبویه: صار ما کتبه سیبویه فی الکتاب عن الأصوات العربیة أساسا لعلماء العربیة و علماء التجوید فی حدیثهم عن موضوع الأصوات و تحلیلهم للظواهر الصوتیة الخاصة بالنطق العربی و وصفها و تعلیلها، و من ثمّ فإن تحدید سیبویه لملامح صوت الضاد من حیث المخرج و الصفات ظل یتکرر فی کتب اللغة و کتب التجوید، فالمخرج من أول حافة اللسان، و الصفات: الجهر، و الرخاوة، و الإطباق، و الاستطالة. و لکن ینبغی القول إلی جانب ذلک إن حدیث من جاء بعد سیبویه عن الضاد لا یخلو من جدید، خاصة ما کتبه علماء التجوید، فإنهم (_____ ۱) الکتاب ۴/ ۴۳۲. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۵۴ حرصوا علی التنبیه علی ما أخذ یلحق هذا الصوت من تغیر، و التحذیر من نطقه علی صورة تخالف ما کان علیه فی القرون الأولی، و سوف أرکز هنا علی إیضاح هذه الناحیة من قضیة الضاد. بعد ما تفاقمت مشکلة نطق الضاد فی القرن الرابع الهجری و ما بعده ازدادت عنایة علماء العربیة و علماء قراءة القرآن و التجوید بالموضوع، و لکن یمکن أن نمیز بوضوح اتجاهین فی معالجة قضیة الضاد:

### الاتجاه الأول:

الاتجاه الأول: یتمثل فی العنایة بجمع الألفاظ التی تنطق بالضاد و الظاء فی رسائل تشبه المعجمات الصغیرة، یسهل الرجوع إلیها و معرفة ما یکتب من تلک الألفاظ بالظاء أو بالضاد، و هذا الاتجاه هو الذی استأثر بجهود اللغویین و النحاة، و کانت جهودهم مرکزة علی التمییز الکتابی للضاد و الظاء، و لا تتعرض للجانب الصوتی، و قد بلغ ما کتب من تلک الرسائل العشرات، و طبع عدد منها، مثل رسالة الصاحب بن عباد (ت ۳۸۵ ه) فی الضاد و الظاء، و رسالة محمد بن نشوان الحمیری (ت ۶۱۰ ه) و غیرها «۱».

### الاتجاه الثانی:

الاتجاه الثانی: یتمثل فی دراسة الخصائص النطقیة لصوت الضاد، و الانحرافات التی تلحقه علی ألسنة الناطقین، و الأصوات التی یختلط بها أو یقترب منها، و کان لعلماء التجوید إسهام واضح فی هذا المجال، حتی إنهم ألّفوا فی ذلک رسائل و کتیبات، لا تقل أهمیة عما کتبه علماء العربیة، إن لم تکن أکثر فائدة للباحث فی مجال النطق و المتتبع لما لحق صوت الضاد من تغیر، و من أشهر هذه الکتب «۲ (_____»: ۱) أحصی الدکتور حاتم صالح الضامن فی مقدمة تحقیقه کتاب (الاعتماد فی نظائر الظاء و الضاد) لابن مالک، أکثر من أربعین کتابا فی هذا الموضوع. (ینظر: مجلة المجمع العلمی العراقی مج ۳۱ ج ۳ ص ۲- ۸). (۲) ینظر: کتابی: الدراسات الصوتیة عند علماء التجوید ص ۳۸- ۳۹. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۵۵ ۱- غایة المراد فی إخراج الضاد، لابن النجار (محمد بن أحمد ت ۸۷۰ ه) «۱». ۲- بغیة المرتاد لتصحیح الضاد، لابن غانم المقدسی (علی بن محمد ت ۱۰۰۴ ه) «۲». ۳- رسالة فی کیفیة الضاد، لمحمد المرعشی (الملقب ساجقلی‌زاده ت ۱۱۵۰ ه) «۳» و لا یتسع هذا البحث لاستعراض مادة هذه الکتب و تتبع ما تضمنته من مناقشات، و لذلک سوف أکتفی باقتطاف نصوص من هذه الرسائل و من کتب علم التجوید لتأکید حقیقتین، الأولی: أن هناک تغیرا حصل فی نطق الضاد، و الثانیة: أن علماء التجوید کانوا مشغولین بتحدید ملامح ذلک التغیر، و أنهم کانوا حریصین علی التمسک بالصورة الأولی لنطق الضاد. کان حدیث

سیبویه عن الضاد الضعیفة إعلانا عن صعوبات کانت تواجه الناطقین بالعربیة فی نطق هذا الصوت، و حاول السیرافی (ت ۳۶۸ ه) أن یخص تلک الصعوبات بأقوام لیس فی لغتهم ضاد، فقال: و أما الضاد الضعیفة فإنها من لغة قوم لیس فی لغتهم ضاد، فإذا احتاجوا إلی التکلم بها من العربیة اعتاصت علیهم، فربما أخرجوها ظاء، و ذلک أنهم یخرجونها من طرف اللسان و أطراف الثنایا، و ربما تکلفوا إخراجها من مخرج الضاد، فلم تتأت لهم، فتخرج بین الضاد و الظاء. «۴»

(۱) حققه الدکتور طه محسن، و نشره فی مجلة المجمع العلمی العراقی. (۲) حققه الدکتور محمد عبد الجبار المعیبد، و نشره فی مجلة المورد ببغداد. (۳) حققه الدکتور حاتم صالح الضامن، و هو قید النشر الآن. (۴) ینظر: شرح الکتاب ۶/ ۴۴۹، و عبد الوهاب القرطبی: الموضح ص ۸۶. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۵۶ لکن تلک الصعوبات فی نطق الضاد لم تلبث أن تفاقمت حتی صارت تواجه قراء القرآن الکریم، و نجد هنا علماء التجوید یهتمون بهذا الأمر، و ینبهون علیه، و یحذرون من الوقوع فیه. قال مکی بن أبی طالب القیسی (ت ۴۳۷ ه): «و لا بد (للقارئ) من التحفظ بلفظ الضاد حیث وقعت، فهو أمر یقصر فیه أکثر من رأیت من القراء و الأئمة .. و متی فرط فی ذلک أتی بلفظ الظاء أو بلفظ الذال فیکون مبدّلا و مغیّرا، و الضاد أصعب الحروف تکلفا فی المخرج، و أشدها صعوبة علی اللافظ، فمتی لم یتکلف القارئ إخراجها علی حقها أتی بغیر لفظها، و أخل بقراءته» «۱». و قال الدانی (ت ۴۴۴ ه) عن نطق الضاد: «و من آکد ما علی القراء أن یخلصوه من حرف الظاء بإخراجه من موضعه، و إیفائه حقه من الاستطالة» «۲». و قال عبد الوهاب القرطبی (ت ۴۶۱ ه): «و أکثر القراء الیوم علی إخراج الضاد من مخرج الظاء، و یجب أن تکون العنایة بتحقیقها تامة، لأن إخراجها ظاء تبدیل» «۳». و قال ابن وثیق الأندلسی (ت ۶۵۴ ه) عن الضاد: «و قلّ من یحکمها من الناس» «۴». و کان ابن الجزری (ت ۸۳۳ ه) قد حدد الأصوات التی یتحول إلیها الضاد علی ألسنة المعاصرین له، فقال فی کتابه النشر: «و الضاد انفرد بالاستطالة، و لیس فی الحروف ما یعسر علی اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فیه مختلفة، و قلّ من یحسنه:

(۱) الرعایة ص ۱۵۸ - ۱۵۹. (۲) التحدید ص ۱۶۴. (۳) الموضح ص ۱۱۴. (۴) کتاب فی تجوید القراءة ۷۹ و. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۵۷ فمنهم من یخرجه ظاء. و منهم من یمزجه بالذال. و منهم من یمزجه بالذال. و منهم من یجعله لاما مفخمة. و منهم من یشمّه بالزای. و کل ذلک لا یجوز» «۱». و قال فی کتابه «التمهید فی علم التجوید»: «و اعلم أن هذا الحرف لیس من الحروف حرف یعسر علی اللسان غیره، و الناس یتفاضلون فی النطق به: فمنهم من یجعله ظاء مطلقا ... و هم أکثر الشامیین و بعض أهل المشرق. و منهم من لا یوصلها إلی مخرجها بل یخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة، لا یقدرون علی غیر ذلک، و هم أکثر المصریین و بعض أهل المغرب. و منهم من یخرجها لاما مفخمة، و هم الزیالع و من ضاهاهم» «۲». و یبدو أن نطق الضاد لدی المتأخرین بعد ابن الجزری قد اتخذ شکلین: نطقه شبیها بالظاء، او نطقه شبیها بالطاء، لکن من المؤلفین فی کیفیة أداء الضاد من بالغ فی إنکار نطق الضاد شبیهة بالطاء، فهذا ابن غانم المقدسی یقول فی مقدمة رسالته (بغیة المرتاد لتصحیح الضاد): «فلیعلم أن أصل هذه المسألة أنهم ینطقون بالضاد ممزوجة بالدال المفخمة و الطاء المهملة، و ینکرون علی من ینطقون بها قریبة من الظاء المعجمة، بحیث یتوهم بعضهم أنها هی، و لیس کما توهمه» «۳». و جعل الفصل الثانی من رسالته «فی ما یدل بالتصریح علی أن التلفظ بالضاد شبیهة بالظاء هو الصحیح، و هو المنقول من کلام العلماء الفحول المتلقی کلامهم بالقبول» «۴».

(۱) النشر ۱ / ۲۱۹. (۲) التمهید ص ۱۴۰ - ۱۴۱. (۳) بغیة المرتاد ۲ ظ. (۴) المصدر نفسه ۶ ظ. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۵۸ و ختم ابن غانم المقدسی الرسالة بقوله: «إن من ینطق بالضاد من مخرجها الخالص، مع صفاتها المیزة لها حتی عن الظاء، فهو فی أعلی مراتب النطق بها و من الفصاحة. و دونه من ینطق بها من مخرجها مشوبة بالظاء، لکن من مخرجها و بینها نوع فرق. و دونه من ینطق بها ظاء خالصة. و من

یشمها الذال. و من یشمها الزای. و من یجعلها لاما مفخمة. و کذا من ینطق بالضاد طائیة، فهو فی أسفل مراتب النطقیة بالنسبة إلی من سبق ذکره» «۱». و أکد محمد المرعشی هذا الاتجاه فی رسالته (کیفیة أداء الضاد، فقال: «و أما المقصد فهو أن ما شاع فی أکثر الأقطار من تلفظ الضاد المعجمة کالطاء المهملة فی السمع بسبب إعطائها شدة و إطباقا أقوی کإطباق الطاء و تفخیما بالغا کتفخیمها خطأ بوجوده» «۲». و قال المرعشی فی کتابه (جهد المقل): «لیس بین الضاد المعجمة و الطاء المهملة تشابه فی السمع ... فما اشتهر فی زماننا هذا من قراءة الضاد المعجمة مثل الطاء المهملة فهو عجب لا یعرف له سبب» «۳». و یمکن أن نستخلص من العرض السابق لأقوال العلماء فی کیفیة نطق الضاد فی القرون السابقة الحقائق الآتیة:

(_____ ۱) المصدر نفسه ۹ ظ. (۲) کیفیة أداء الضاد ۲ ظ. (۳) جهد المقل ۲۰ ظ. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۵۹ ۱- صعوبة نطق الضاد التی وصفها سیبویه. ۲- انحراف ألسنة الناطقین عن نطق الضاد القدیمة إلی نطق أصوات أخری مکانها. ۳- لم یتحول صوت الضاد علی ألسنة الناطقین بالعربیة فی العصور المتلاحقة إلی صوت معین واحد، و إنما ظهر فی أصوات متعددة، منها: أ- الظاء. ب- اللام المفخمة. ج- مزجها بالذال، أو بالزای. د- مزجها بالدال و الطاء (الضاد الطائیة). ۴- کان علماء التجوید المتاخرون أشد إنکارا لنطق (الضاد الطائیة) مکان الضاد القدیمة، من إنکارهم لنطق الأصوات الأخری البدیلة عن الضاد. ۵- إن اعتبار (الضاد الطائیة) فی زماننا هی الضاد التی یجب أن ینطقها قراء القرآن یثیر مفارقة کبیرة بین موقف علماء القراءة فی زماننا و موقفهم قبل قرنین أو ثلاث، من هذه المسألة. و هو ما نحاول عرضه و الحدیث عنه فی المبحث الآتی.

## المبحث الثانی قضیة الضاد فی العصر الحدیث

### اشارة

المبحث الثانی قضیة الضاد فی العصر الحدیث یجمع اللغویون المهتمون بالنطق العربی فی العصر الحدیث أن الضاد التی وصفها سیبویه بأنها صوت حافیّ، رخو، مجهور، مطبق، مستعل، مستطیل، لم تعد تجری علی ألسنة الناطقین بالعربیة، و قد صارت علی ألسنة قسم من العرب ظاء خالصة، کما ینطق بها أهل العراق و بلدان الجزیرة العربیة، و دالا مطبقة (أو طاء مجهورة)، کما ینطق بها أهل مصر و بلاد الشام «۱ (_____». ۱) إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ص ۴۸، و جان کانتینو: دروس فی علم أصوات العربیة ص ۷۸، و یوسف الخلیفة أبو بکر: أصوات القرآن ص ۶۹، و حسام النعیمی: أصوات العربیة بین التحول و الثبات ص ۵۰. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۶۰ و إذا کان هذا ما آلت إلیه الضاد، فکیف تنطق الیوم فی قراءة القرآن الکریم، و کیف توصف فی کتب علم التجوید المؤلفة حدیثا، و ما هی المسائل التی تترتب علی ما أصاب صوت الضاد من تغیر؟

### أولا- الضاد فی قراءة القرآن الیوم:

أولا- الضاد فی قراءة القرآن الیوم: یحتل قراء القرآن من المصریین فی عصرنا موقع الریادة فی العالم الإسلامی، سواء فی احتراف قراءة القرآن، أم فی التدریس فی معاهد الإقراء، و هم ینطقون الضاد طاء مجهورة أو دالا مطبقة، أو ما سماه ابن غانم المقدسی من قبل (الضاد الطائیة)، و هی صوت یشارک التاء و الدال و الطاء فی المخرج، فهی تخرج من بین طرف اللسان و أصول الثنایا أو اللثة، و هی صوت شدید، مجهور، مطبق. و کان تأثیر قراء القرآن المصریین کبیرا فی العالم الإسلامی، و نسمع قراء القرآن فی الحرم المکی و الحرم المدنی الیوم یتابعونهم فی نطق الضاد، و کذلک قراء کثیر من بلدان العالم الإسلامی، و نسمع قراء القرآن من المحترفین فی

العراق یتابعونهم أیضا، لکن بعضهم یحاول أن یضع طرف لسانه ذات الیمین أو ذات الشمال من الفم، ظنا منهم أن ذلک هو ما عناه سیبویه بقوله (من الجانب الأیسر، أو من الجانب الأیمن) و هذا وهم لا یسنده دلیل، لأن سیبویه کان یرید بالجانب حافة اللسان و لیس طرفه. و صوت الضاد الذی نسمعه من مجیدی قراءة القرآن فی زماننا یختلف عن الضاد التی وصفها سیبویه، و تحدث عنها علماء القراءة و التجوید السابقین فی کتبهم، فی المخرج و فی عدد من الصفات، فالضاد القدیمة مخرجها من حافة اللسان، و مخرج الضاد الیوم من طرف اللسان و اللثة، و الضاد القدیمة صوت رخو، و الضاد الیوم صوت شدید، کما أن الضاد القدیمة صوت تمیز بالاستطالة، و الضاد الیوم تفتقد هذه الصفة، و یمکن أن نضع الصوتین فی جدول تظهر من أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۶۱ خلاله نقاط الاختلاف و الاتفاق بینهما، کما نضع معها صوت الظاء و صوت الدال لتتضح علاقة الضاد بهما قدیما و حدیثا: الضاد القدیمة/ الضاد الحدیثة/ الظاء/ الدال حافیّ/ لثوی/ أسنانی/ لثوی رخو/ شدید/ رخو/ شدید مجهور/ مجهور/ مجهور/ مجهور مطبق/ مطبق/ مطبق/ منفتح مستطیل//// و یظهر من هذا الجدول أن الطاء تشارک الضاد القدیمة فی أکثر صفاتها، و لعل هذا یفسر تحولها إلی ظاء علی ألسنة کثیر من الناطقین قدیما و حدیثا، أما الضاد الحدیثة فإنها نظیر صوت الدال، و تشارکه فی المخرج، و الصفات ما عدا صفة الإطباق، فالضاد الحدیثة صوت مطبق، و الدال صوت منفتح، و الضاد الحدیثة بهذا الشکل تشارک کلا من التاء و الطاء و الدال فی المخرج، کما تشارکهما فی عدد من الصفات، و هی لم تعد ذلک الصوت المتفرد الذی قال عنه سیبویه: و لو لا الإطباق لخرجت الضاد من الکلام، لأنه لیس شیء من موضعها غیرها، فالیوم لو لا الإطباق لصارت الضاد دالا، و لو لا الجهر لصارت الضاد طاء، أعنی الطاء الحدیثة المهموسة، لأن القدماء من علماء العربیة و التجوید وصفوا صوت الطاء أنه صوت مجهور، و هو بهذا الوصف یتطابق فی کل شیء مع الضاد الحدیثة، أو هو هی. و هذه قضیة أخری لا نرید الخوض فیها هنا حتی لا نبتعد عن موضوع الضاد. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۶۲

### ثانیا: الضاد فی کتب علم التجوید المعاصرة:

ثانیا: الضاد فی کتب علم التجوید المعاصرة: کنت قد نظرت فی أکثر من ثلاثین رسالة أو کتابا فی علم التجوید و قواعد التلاوة، مما ألّف فی القرن الأخیر، فی بلدان متعددة من العالم الإسلامی، حین کتبت بحثی (مناهج کتب تعلیم قواعد التلاوة- ملاحظات حول المادة و المنهج) و وجدت أن مؤلفی تلک الکتب قد التزموا بنقل ما ورد فی کتب علم التجوید القدیمة فی تحدید مخرج الضاد و بیان صفاته، و هو ما لم یعد ینطبق علی نطق قراء القرآن الکریم للضاد فی زماننا. و ثمّ ملاحظة أخری هی أن المؤلفین المعاصرین حین ینقلون عبارات الکتب القدیمة لم یحافظوا علی نصها، فأصابه تحریف یجعل دلالتها مضطربة و متباینة، فإذا کان سیبویه قد قال فی تحدید مخرج الضاد: «من بین أول حافة اللسان و ما یلیه (أو یلیها) من الأضراس» فإننا نجد أن المحدثین قد نقلوا هذه العبارة علی نحو محرّف و مضطرب، و یمکن أن ینظر القارئ فی المبحث الثانی من بحث (مناهج کتب تعلیم قواعد التلاوة) لیلاحظ ما حصل من اضطراب فی وصف الضاد و تحدید مخرجه. و إذا کان الأمر کذلک فإنه لم یعد مقبولا نقل عبارة سیبویه فی کتب علم التجوید التعلیمیة الیوم، لأن ذلک یشوش علی المتعلمین کما أنه یدل علی قصور فی القاعدة العلمیة لدی مؤلفی تلک الکتب، و ذلک بعد أن تصدی للتألیف فی هذا العلم من لیس له تخصص فیه، و حسن النیة وحده لا یکفی فی معالجة دقائق هذا العلم، کما أن حسن الأداء وحده لیس دلیلا علی کفایة الشخص للتصدی للتألیف فی هذا العلم! و إذا صحّ ما تقدم، و الشواهد کلها تدل علی أنه صحیح، فینبغی أن یعاد النظر فی طریقة وصف الضاد فی الکتب المؤلفة فی علم التجوید فی زماننا، حتی یتطابق الوصف مع الأداء، فالضاد الیوم صوت لثوی، شدید (انفجاری) أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۶۳ مجهور، مطبق، و یمکن فی البحوث التاریخیة فی هذا العلم الإشارة إلی الوصف القدیم للضاد، حتی یکون المتخصصون علی بینة من هذه الحقیقة. و من المهتمین بعلم التجوید و قراءة القرآن فی زماننا من لا یتصور حصول مثل هذا التغیر فی نطق الضاد، أو أنه لا یدرکه، و لذلک فهو یقف فی وجه من یدعو إلی إعادة النظر فی طریقة

وصف الضاد فی کتب قواعد التلاوة، و هو معذور فی ذلک، لأن الغیرة علی کتاب اللّه تعالی و الحرص علی المحافظة علی تلاوته نقیة خالصة تدفعه إلی ذلک الموقف، لکن ذلک أیضا هو الذی یدفعنا إلی ما نقوله و ندعو إلیه. و أحسب أن الأمر بحاجة إلی أن یلتقی المهتمون بتلاوة القرآن، تألیفا و تعلیما و أداء، و المهتمون بدراسة أصوات العربیة لتدارس هذا الموضوع، و ما یشبهه من موضوعات، حتی یحصل کل تجدید فی صیاغة قواعد التلاوة علی إجماع المتخصصین بهذا الموضوع من أبناء الأمة، و إذا کانت المسابقات تعقد کل عام فی تلاوة القرآن و حفظه، فی مختلف بقاع العالم الإسلامی، فإن عقد لقاءات لتدارس قضایا التلاوة لا یقل أهمیة عن عقد مثل تلک المسابقات. و لعل من المفید الإشارة هنا إلی أن علماء التجوید کانوا مشغولین بقضیة الضاد و یشیرون إلیها فی کتبهم منذ ظهور التألیف فی هذا العلم، و أن اهتمامهم بهذا الموضوع حملهم علی تألیف رسائل مستقلة فیه کما فعل ابن غانم المقدسی و محمد المرعشی و غیرهما، لکن المؤلفین فی هذا العلم فی العصر الحدیث قد تناسوا الموضوع و أغفلوا الإشارة إلیه، إما لصعوبة الموضوع، أو عدم إدراکهم لأبعاد هذه القضیة أصلا.

### ثالثا: مسائل تترتب علی تغیر نطق الضاد:

ثالثا: مسائل تترتب علی تغیر نطق الضاد: وصف علماء التجوید و علماء العربیة صوت الضاد بأنه یتمیز بصفة الاستطالة، أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۶۴ و الاستطالة: «امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلی آخرها» «۱». و «کل حرف فیه زیادة صوت لا یدغم فیما هو أنقص صوتا منه» «۲». و قد مرّ الحدیث عن الحروف التی تدغم فی الضاد و هی: د ت ط، ث ذ ظ، ل، لکن الضاد امتنعت من أن تدغم فی غیرها لتمیزها بصفة الاستطالة، و روی إدغامها فی الشین لما بینهما من تقارب بسبب التشابه بین الاستطالة و التفشی، و هو مع ذلک خلاف إجماع أهل اللغة و قراء القرآن. و إذا کان صوت الضاد الیوم من مخرج التاء و الدال و الطاء، و أنه یشارکها فی الشدة، و یشارک الدال فی الجهر، و الطاء فی الإطباق، و أنه فقد صفة الاستطالة فهل یؤدی ذلک إلی تغیر علاقة الضاد بهذه الأصوات؟ فالملاحظ أن علماء التجوید کانوا إذا جاور الضاد واحدا من هذه الأصوات یحذّرون من حصول الإدغام، قال الدانی: «فإن التقی بتاء توصّل إلی إظهاره بتؤدة یسر، و ذلک نحو أَفَضْتُمْ (۱۹۸) [البقرة] و وَ خُضْتُمْ (۶۹) [التوبة] و عَرَّضْتُمْ (۲۳۵) [البقرة] و فَرَضْتُمْ (۲۳۷) [البقرة] و وَ إِذا مَرِضْتُ (۸۰) [الشعراء]، و ما أشبهه. و کذا إذا التقی بطاء أو جیم أو نون أو لام أو راء، نحو فَمَنِ اضْطُرَّ (۱۷۳) [البقرة] و اضْطُرِرْتُمْ (۱۱۹) [الأنعام]، و ثُمَّ أَضْطَرُّهُ (۱۲۶) [البقرة] ... و ما أشبهه، و متی لم یتفقّد ذلک و لم ینعم بیانه و تلخیصه اندغم» «۳». و قال عبد الغنی النابلسی: «إن الإدغام علی قسمین: إدغام کامل، و هو الذی سبق بیانه، و إدغام ناقص، و هو إدغام الحرف المفخم فی المرقق، إذا تجانس الحرفان أو تقارب المخرجان، مع إبقاء صفة التفخیم، نحو: أَحَطْتُ (۲۲) [النمل]، و بَسَطْتَ (۲۸) [المائدة]، و ما فَرَّطْتُمْ (۸۰) [یوسف] فیدغم الطاء فی

(۱) المرعشی: جهد المقل ۱۷ و. (۲) ابن یعیش: شرح المفصل ۱۰/ ۱۳۳. (۳) المرعشی: جهد المقل ۱۷ و. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۶۵ التاء ... و إنما لم تدغم الضاد فی الطاء نحو فَمَنِ اضْطُرَّ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ (۲۴) [لقمان] ... و الضاد فی التاء نحو أَفَضْتُمْ و عَرَّضْتُمْ و فَرَضْتُمْ و وَ إِذا مَرِضْتُ و فَقَبَضْتُ (۹۶) [طه] لبعد المخرجین ...» «۱». و تدغم التاء فی الطاء فی مثل وَدَّتْ طائِفَةٌ (۶۹) [آل عمران] و فَآمَنَتْ طائِفَةٌ (۱۴) [الصف]، و تدغم الطاء فی التاء فی مثل أَحَطْتُ و بَسَطْتَ و ما فَرَّطْتُمْ للتجانس بین التاء و الطاء، أی اتحادهما فی المخرج و افتراقهما فی الصفة، و لما کانت الضاد مشارکة للدال و التاء و الطاء فی المخرج، و مفارقة لها فی بعض الصفات فإنها بذلک تکون مجانسة لها، و من ثم فإن القیاس یقتضی أن یحصل فی بعض الکلمات السابقة التی یلتقی فیها الضاد بالطاء أو التاء أو الدال إدغام کامل أو ناقص، و لا یعترض علی قولنا هذا بأن القراءة سنة متبعة، و روایة مأثورة، لا تؤخذ بالقیاس، لأن التمسک بالقول بعدم إدغام الضاد فی هذه الحالة مبنی علی النطق القدیم للضاد، أما أنها الیوم تنطق من مخرج الدال و التاء و الطاء فیجب أن تعامل معاملتهما فی الإدغام و

غيره. و من ثم فإن حكم الضاد فى مثل وَ خُضْتُمْ أَفَضْتُمْ (۱۹۸) و مَرِضْتُ و عَرَّضْتُمْ و فَرَضْتُمْ يجب أن يعاد النظر فيه، و أن يحمل على حكم الطاء فى مثل أَحَطْتُ و بَسَطْتَ و هو الإدغام الناقص، لبقاء صفة الإطباق فى الحرف الأول، قال عبد الوهاب القرطبى: «الطاء إذا سكنت و بعدها تاء فإن الإدغام يجب لتقارب المخرج، و يبقى صوت من الإطباق، كقوله تعالى: أَحَطْتُ ...» «۲». و كذلك ينبغى أن يعاد النظر فى حكم الضاد فى مثل أَضْطَرُّهُ، و

(۱) كفاية المستفيد ۱۷ ظ. (۲) الموضح ص ۱۴۹- ۱۵۰. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۶۶ فَمَنِ اضْطُرَّ، و نحو ذلك، حملا على ما يناظره من أمثلة يلتقى فيها صوتان من مخرج واحد. و كذلك ينبغى أن يعاد النظر فى مثل قَدْ ضَلُّوا، فإن الدال كانت لا تدغم فى الضاد فى المأثور من قراءة القرآن، لبعد الدال عن الضاد القديمة فى المخرج و الصفات، لكن اتحادهما فى المخرج فى قراءة القرآن اليوم يوجب تغيير الحكم بحسب ما حصل من تغيير فى المخرج و الصفات. و المتأمل فى رسم المصاحف اليوم يجد أن علامة السكون توضع على الضاد قبل التاء و الطاء، و على الدال قبل الضاد، دلالة على الإظهار، و معنى ذلك أن إعادة النظر فى حكم الضاد فى تلك الأمثلة يقتضى إعادة النظر فى طريقة ضبطها فى المصحف أيضا. و لا شك فى أن إعادة النظر فى تقرير حكم الضاد وفقا لطريقة نطقه اليوم، و إعادة النظر فى طريقة ضبطه فى المصحف يحتاج إلى اتفاق كلمة المهتمين بأمر قراءة القرآن و المسئولين عن تعليمها، لأن هذه المسائل تتصل مباشرة بالقرآن و كتابته، و الإجماع مطلوب فى مثل هذه الحالة. و حسبى أن لفتّ نظر المعنيين، و أدعوهم إلى التفكير فى ما ورد فى هذه الصفحات، فإن وجدوه صحيحا تعين عليهم الاهتمام به و التواصى باتباعه. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَ الْعَصْرِ (۱) إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ (۲) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ (۳) [العصر]. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۶۷

## (۶) اللّحن الخفىّ فى الدّرس الصّوتىّ العربىّ «۱»

### مقدمة

مقدمة يعدّ علم الأصوات اليوم من أكثر علوم اللغة تطورا لدى الغربيين، كما أنه من العلوم الحديثة نسبيا لديهم «۲»، لكن هناك حلقة مفقودة فى تأريخ هذا العلم، تتمثل فى الدراسات الصوتية العربية التى لا يعرف عنها مؤرخو علم اللغة الأوربيون إلا الشىء القليل، و هى من الغنى و التنوع ما يجعلها تتبوأ مكانة متميزة فى تاريخ هذا العلم. و لا أعنى دراسات الخليل و سيبويه و ابن جنى و غيرهم من علماء اللغة العربية فحسب، و لكنى أعنى أيضا ما كتبه علماء التجويد الذين استفادوا من دراسات علماء العربية الصوتية، و أضافوا إليها إضافات قيّمة، حتى صار ما كتبوه علما متميزا له موضوعه و كتبه الخاصّة به «۳». و لا تزال هناك جوانب عديدة من الدرس الصوتى العربى القديم غير معروفة لدى كثير من المتخصصين بدراسة الأصوات اللغوية عندنا، و يرجع ذلك فى معظمه إلى سببين: الأول: أن مصادر الدرس الصوتى العربى، خاصة كتب علم التجويد، لا تزال مخطوطة، و الكتاب المخطوط يكون بعيدا عن متناول يد الدارسين عادة. و الثانى: أن أكثر المتخصصين فى دراسة الأصوات عندنا تخرجوا فى جامعات غربية تعنى بالجديد فى دراسة الأصوات و لا تلتفت إلى التراث القديم، لا سيما التراث العربى.

(۱) منشور فى العدد الأول من مجلة جامعة تكريت العلمية. (۲) ينظر: جورج مونين: تأريخ علم اللغة ص ۲۰۵. (۳) ينظر عن كتب علم التجويد كتابى: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ۲۵- ۴۳. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۶۸ و لا يعنى التقدم الكبير الذى أحرزه علم الأصوات اللغوية فى زماننا أننا يجب أن نهمل تراثنا الصوتى القديم، بل علينا أن نبعث ذلك التراث و ندرسه فى ضوء ما وصل إليه الدرس الصوتى الحديث، و أن نضيف إليه كل فكرة جديدة نافعة، و هذا البحث يهدف إلى التعريف بفكرة اللحن الخفىّ التى تحدّث عنها علماء

التجوید و طبّقوها علی النطق العربی، و کتبوا فی توضیحها فصولا فی کتبهم المطوّلة، و أفردها بعضهم برسائل مستقلة، لأنی أحسب أنّ دراسة هذا الموضوع سوف تکون مفیدة، خاصة أن کثیرا من مصادر هذه الدراسة لا تزال مخطوطة لم یطلع علیه أکثر المهتمین بدراسة علم الأصوات فی بلادنا.

## المبحث الأول الانحرافات النطقیة فی التراث الصوتی العربی

### اشارة

المبحث الأول الانحرافات النطقیة فی التراث الصوتی العربی اللّحن الخفیّ أحد مظاهر الانحرافات النطقیة عن جادّة الفصحی، التی تتمثل أیضا فی عیوب النطق الناتجة عن خلل فی آلة النطق، و فی العادات النطقیة اللهجیة المنحرفة عن الفصحی، و یقرر علماء اللغة المحدثون أن الاختلاف بین اللغة الأدبیة (الفصحی) و اللهجات المرتبطة بها یترکز فی الظواهر المتعلقة بنطق الأصوات، أما اختلافات البنیة الصرفیة أو النحویة فهی أقل بروزا «۱». و کانت الانحرافات النطقیة المتعلقة بالعادات اللهجیة و الانحرافات الناتجة عن عیوب النطق، قد حظیت بعنایة عدد من الباحثین، أما الانحرافات النطقیة الناتجة عن اللحن الخفی فلم تحظ بمثل تلک العنایة فی زماننا، و من ثمّ فإن هذا البحث سوف یعطی تعریفا موجزا بالنوعین الأوّلین، و یحاول أن یقدّم بیانا وافیا عما یتعلق باللحن الخفی.

(_____ ۱) إبراهیم أنیس: فی اللهجات العربیة ص ۱۷. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۶۹

### أولا- العادات اللهجیة:

أولا- العادات اللهجیة: اعتنی علماء اللغة العربیة بالظواهر المنهجیة التی لاحظوا وجودها فی اللهجات العربیة القدیمة، و کان نصیب الظواهر الصوتیة المنحرفة عن سنن الفصحی من جهودهم کبیرا، و قد أطلقت مصطلحات معینة علی الظواهر الصوتیة المنحرفة فی التراث الصوتی العربی القدیم، مثل الکشکشة، و العجعجة، و التّلتلة، و العنعنة، و الفحفحة، و الاستنطاء، و غیرها، و اختصّت قبیلة أو أکثر من قبائل العرب، بظاهرة من هذه الظواهر الصوتیة المنحرفة عن الفصحی، بحیث تستطیع أن تنسب الشخص إلی قبیلة معینة من خلال الظاهرة الصوتیة التی تجری علی لسانه «۱». و لا یلزم فی هذا المقام استقصاء ما قیل عن تلک العادات اللهجیة و ما تدل علیه، فقد سبق أن قامت حولها دراسات استوفت ما ورد عنها فی المصادر القدیمة، و ما یقدمه علم اللغة الحدیث فی صددها «۲».

### ثانیا- عیوب النطق:

ثانیا- عیوب النطق: تصاب مقدرة الإنسان علی النطق بالعجز الجزئی، فیختل نطقه فی بعض الأصوات، و قد تقدمت دراسة عیوب النطق کثیرا فی عصرنا، و یشارک فیها المتخصصون بالطب و علم اللغة و علم النفس، و کان یظن أنّ المکتبة العربیة لم تعرف التألیف فی هذا الموضوع من قبل «۳». و لکن لم تکن معروفة من قبل، و یمکن أن نلخص تلک الجهود فی ما یأتی:

(_____ ۱) رشید العبیدی: عیوب اللسان و اللهجات المذمومة ص ۲۴۲. (۲) ینظر: أحمد تیمور: لهجات العرب، و هو کتیب یقع فی ۱۵۰ صفحة من القطع الصغیر، و رمضان عبد التواب: فصول فی فقه العربیة ص ۹۸- ۱۳۴ فصل (ألقاب اللهجات العربیة)، و رشید العبیدی: عیوب اللسان و اللهجات المذمومة، مجلة المجمع العلمی العراقی مج ۳۶ ج ۳ ص ۲۳۶- ۳۰۰. (۳) مصطفی فهمی: أمراض الکلام ص ۳. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۷۰ ۱- ما ذکره الجاحظ فی کتابه «البیان و التبیین» عن اللثغة و أنواعها و الحروف التی تدخلها «۱». و ما ذکره المبرد فی کتابه

(الکامل) عن عیوب النطق أیضا «۲». ۲- کتاب اللّثغة تألیف أبی یوسف یعقوب بن إسحاق الکندی (ت بعد ۲۵۶ ه) الفیلسوف العربی المشهور، و هو لا یزال مخطوطا فی خزانة جامع أیا صوفیا باستانبول ضمن مجموع یستغرق منه الصفحات (۲۱۴- ۲۶۱)، و منه نسخة مصورة فی معهد المخطوطات العربیة فی القاهرة رقمها (۱۶۳ فلسفة و منطق). و قد أورد الدکتور خلیل إبراهیم العطیة وصفا لمادته فی کتابه «فی البحث الصوتی عند العرب» فذکر أن الکتاب یتألف من ثمانیة أبواب تحدّث فیها الکندی عن أعضاء آلة النطق عند الإنسان، و عن نطق الأصوات العربیة، و اللثغة و أنواعها و الأصوات التی تصیبها اللثغة عند العرب، و عن کیفیة معالجتها «۳». ۳- کتاب بیان العیوب التی یجب أن یجتنبها القرّاء و إیضاح الأدوات التی بنی علیها الإقراء- تألیف أبی علی الحسن بن أحمد بن البناء البغدادی المتوفی سنة ۴۷۱ ه. و قد قسّم ابن البناء الکتاب إلی ثلاثة عشر بابا، تحدث فیها عن عیوب الهیئات عند القراء، إلی جانب بیانه عیوب الأصوات، و تحدث فی بعض أبواب الکتاب عن کیفیات القراءة من الحدر و الترتیل و قراءة القرآن و الألحان و ما یتصل بذلک. و ذکر ابن البناء عددا من الظواهر الصوتیة المتکلفة و العادات النطقیة المنحرفة مثل: التّرعید، و الزّحر، و التّشدیق، و الطّحر، و التکلیم، و اللّکز، و التّمضیغ، و الوکز (_____. ۱) البیان و التبیین ۱/ ۱۴ و ما بعدها. (۲) الکامل ۲/ ۵۷۸ و ما بعدها. (۳) فی البحث الصوتی عند العرب ص ۹۴- ۹۶. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۷۱ و ذکر من عیوب النطق أو أمراض الکلام: التّمتمة، و الحبسة، و الحکلة، و الخنّة، و الرّتّة، و التّرخیم، و الطّمطمة، و العجلة، و العقلة، و الغمغمة، و الغنّة، و الفأفأة، و اللّثغة، و اللّجلجة، و اللّغف، و اللّکنة «۱». و علی الرغم من أن الدارسین المحدثین لا یعدّون البحث فی عیوب النطق، و علاجها من اختصاص علماء الأصوات اللغویة، إنما یدخل فی أبحاث علم النفس و مجال الطب، فإن الدراسات اللغویة الصوتیة تظل ضروریة لهذا النوع من البحث، لأن تشخیص عیوب النطق و محاولة علاجها یتطلب معرفة بوسائل العلاج النفسی و العضوی «۲».

### ثالثا- اللحن الخفی:

#### اشارة

ثالثا- اللحن الخفی: اللحن من المصطلحات القدیمة فی الدرس اللغوی العربی القدیم، و معناه الخطأ فی الکلام، یقال: لحن یلحن لحنا و لحنا: ترک الصواب «۳» فی القراءة و النشید و نحو ذلک، و رجل لاحن و لحّان و لحّانة: کثیر اللحن. و کان فشوّ اللحن و فساد اللغة العربیة علی ألسنة الناطقین بها بعد الإسلام السبب الذی دعا العلماء إلی وضع قواعد اللغة و ظهور علم النحو «۴». و ألّفت عشرات الکتب فی موضوع (لحن العامة)، و هی تعالج ما وقع من مخالفة العربیة الفصحی فی الأصوات، أو فی الصیغ، أو فی ترکیب الجمل و حرکات الإعراب، أو فی دلالة الألفاظ فی کلام غیر المتخصصین فی دراسة (_____. ۱) حقّقت الکتاب و نشر فی مجلة معهد المخطوطات العربیة فی الکویت سنة ۱۹۸۷ م، مج ۳۱ ج ۱ ص ۷- ۵۸ و طبع فی دار عمار/ الأردن ۲۰۰۱ م. (۲) ینظر: عبد الرحمن أیوب: أصوات اللغة ص ۲۴، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوی ص ۳۵۳. (۳) ابن منظور: لسان العرب ۱۷/ ۲۶۳ (لحن). (۴) الزبیدی: طبقات النحویین و اللغویین ص ۱۱. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۷۲ اللغة من المثقفین عامة و من غیرهم، و حظی هذا الموضوع بعنایة عدد من الدارسین المحدثین، کما حظیت کتبه القدیمة بالدراسة و التحقیق «۱». و فی القرن الرابع الهجری ظهر مصطلح (اللحن الخفی) و استعمل للدلالة علی نوع محدد من الأخطاء اللغویة، و هو المتعلق بنطق الأصوات و الانحراف الدقیق عن توفیة الأصوات صفاتها الصوتیة کاملة فی عملیة النطق. و لم یحظ هذا المعنی للحن بعنایة علماء العربیة، و إنما هو مصطلح وضعه علماء التجوید و طبّقوه فی دراستهم للنطق العربی و تلاوة القرآن خاصة، و سوف نحاول هنا توضیح دلالة مصطلح اللحن الخفی و

تأریخ ظهوره و استعماله، قبل أن نعرض الظواهر الصوتیة التی عالجها علماء التجوید فی إطار دلالة هذا المصطلح فی المبحث الثانی من هذا البحث.

### ۱- دلالة مصطلح اللحن الخفی و تأریخ ظهوره:

۱- دلالة مصطلح اللحن الخفی و تأریخ ظهوره: تشیر المصادر إلی أن ابن مجاهد البغدادی (أبا بکر أحمد بن موسی ت ۳۲۴ ه) هو أول من قسم اللحن علی قسمین: لحن جلیّ و لحن خفیّ، و أول من أعطی تحدیدا لدلالتهما، فقد نقل أحمد بن نصر الشذّائی (ت ۳۷۳ ه) عن ابن مجاهد أنه قال: «اللّحن فی القرآن لحنان: جلیّ و خفیّ، فالجلیّ لحن الإعراب، و الخفیّ ترک إعطاء الحرف حقّه من تجوید لفظه» «۲». و استعمل ابن مجاهد نفسه مصطلح اللحن الخفی فی کتابه (السبعة فی القراءات) حیث قال و هو یتحدث عن نوع من القراءات المتروکة: «و منها اللحن الخفیّ الذی لا یعرفه إلا العالم النحریر» «۳».

(۱) للدکتور: عبد العزیز مطر: کتاب (لحن العامة فی ضوء الدراسات اللغویة الحدیثة). و للدکتور رمضان عبد التواب کتاب: (لحن العامة و التطور اللغوی). (۲) الدانی: التحدید ص ۱۱۸، و الأندرابی: الإیضاح فی القراءات ۶۸ ظ. (۳) السبعة ص ۴۹. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۷۳ و أعطی أبو الحسن علی بن جعفر السعیدی (ت فی حدود ۴۱۰ ه) تعریفا أکثر تفصیلا لنوعی اللحن حیث قال: «فاللحن الجلیّ هو أن ترفع المنصوب، أو تنصب المرفوع، أو تخفض المنصوب و المرفوع، أو ما أشبه ذلک، فاللحن الجلیّ یعرفه المقرءون و النحویون و غیرهم ممّن قد شمّ رائحة العلم. و اللحن الخفی لا یعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط، الذی قد تلقن من ألفاظ الأستاذین، المؤدی عنهم، المعطی کلّ حرف حقّه، غیر زائد فیه و لا ناقص منه، و المتجنب عن الإفراط فی الفتحات و الضّمّات و الکسرات و الهمزات، و تشدید المشدّدات، و تخفیف المخفّفات، و تسکین المسکّنات، و تطنین النونات، و تفریط المدّات و ترعیدها، و تغلیظ الراءات و تکریرها، و تسمین اللامات و تشریبها الغنة، و تشدید الهمزات و تلکیزها «۱»». و إنما سمّی اللحن الجلیّ جلیّا لأنه یشترک فی معرفته علماء القراءات و الأداء و غیرهم، و الخفی خفیّا لأنه یختص بمعرفته علماء القراءات و الأداء «۲».

### ۲- تأریخ البحث فی اللحن الخفی:

۲- تأریخ البحث فی اللحن الخفی: أعنی بتأریخ البحث هنا ما بذله علماء التجوید فی توضیح مصطلح اللحن الخفی و فی تحدید الظواهر التی تنضوی تحته، سواء کان ذلک بتألیف کتاب مستقل أم کتابة فصل أو باب ضمن کتاب مؤلّف فی علم التجوید، و سوف أورد هنا قائمة فی تلک الجهود مرتبة حسب سنیّ وفاة المؤلفین، و لن أدرج فیها الإشارة العابرة و اللمحة السریعة إلی الموضوع التی وردت فی بعض الکتب: ۱- أبو الحسن علی بن جعفر السعیدی (ت فی حدود ۴۱۰ ه): کتاب التنبیه

(۱) التنبیه علی اللحن الجلی و اللحن الخفی ص- ۲۶. (۲) محمد المرعشی: جهد المقل ص ۸۵. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۷۴ علی اللحن الجلیّ و اللحن الخفیّ، و هو رسالة صغیرة، قمت بتحقیقها و نشرها فی مجلة المجمع العلمی العراقی سنة ۱۹۸۵ م «۱». ۲- عبد الوهاب بن محمد القرطبی (ت ۴۶۱ ه): کتاب الموضح فی التجوید، فی مقدمته خمسة فصول تحدث فیها المؤلف عن معنی اللحن فی اللغة و حدّه فی الاصطلاح و ما یتصل بذلک «۲». ۳- أحمد بن أبی عمرو الأندرابی (ت ۵۰۰ ه): کتاب الإیضاح فی القراءات، الباب السابع و العشرون من الکتاب (فی ذکر اللحن الخفی، و مقالات أرباب الصناعة فی ذلک) «۳». ۴- أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذانی العطار (ت ۵۶۹ ه): کتاب التمهید فی معرفة التجوید، فیه مباحث عن اللحن الخفی «۴». ۵- هاشم بن أحمد بن عبد الواحد الحلبی (ت ۵۷۷ ه): کتاب وسیلة

الحفیّ فی إیضاح اللحن الخفی «۵». ۶- عبد العزیز بن أحمد الدیرینی (ت ۶۹۷ ه): کتاب میزان الوفیّ فی معرفة اللحن الخفی «۶». (_____ ۱) مج ۳۶ ج ۲ ص ۲۴۰ - ۲۸۷، طبعت فی دار عمار، الأردن، بعنوان رسالتان فی التجوید، ۲۰۰۰ م. (۲) الموضح ص ۵۵- ۷۶. (۳) الإیضاح ۶۸ ظ- ۷۲ و. (۴) التمهید ۱۱۹ ظ، ۱۴۱ و، طبع فی دار عمار/ الأردن سنة ۲۰۰۰ م. (۵) ورد ذکره فی کتاب (الجامع المفید فی صناعة التجوید ورقة ۸۳ و) لجعفر بن إبراهیم السنهوری (ت ۹۴ ه). (۶) البغدادی: هدیة العارفین ۱/ ۵۸۰. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۷۵ ۷- محمد بن محمد بن محمد بن الجزری (ت ۸۳۳ ه): کتاب التمهید فی علم التجوید، الباب الرابع فیه (فی ذکر معنی اللحن و أقسامه) «۱». ۸- محمد المرعشی، المعروف بساجقلی‌زاده (ت ۱۱۵۰ ه): کتاب جهد المقل، فی علم التجوید، فیه فصل فی بیان معنی اللحن و أقسامه «۲». و یمکن أن تضاف أعمال أخری لم نطلع علیها مما تضمن شیئا من جهود علماء التجوید فی دراسة اللحن الخفی، کما یمکن أن تذکر تفصیلات تتعلق بکل عمل من الأعمال الثمانیة التی ذکرناها حول المنهج و المادة أعرضت عنها حتی لا یخرج البحث عن سمة التر کیز، و سوف أکتفی بالحدیث عن ظواهر اللحن الخفی التی عالجها علماء التجوید فی تلک الأعمال أو مما ورد فی غیرها عرضا.

## المبحث الثانی ظواهر اللحن الخفی التی عالجها علماء التجوید

### اشارة

المبحث الثانی ظواهر اللحن الخفی التی عالجها علماء التجوید صرّح علماء التجوید أنّ مجاورة الأصوات بعضها بعضا فی الترکیب لها تأثیر «۳». کما یقرر ذلک علماء الأصوات الیوم، فالأصوات تمیل إلی المماثلة أو المشابهة بینها غالبا، و قد تمیل الأصوات أحیانا إلی المخالفة إذا تجاورت أصوات متماثلة، لکن الظاهرة الأولی هی الشائعة فی اللغة العربیة أکثر من الثانیة «۴». و تخضع کل التغییرات التی تحدث للأصوات فی السلسلة الکلامیة إلی أنظمة صوتیة محددة، لکن بعض التغییرات یعد مقبولا سائغا فی اللغة الفصحی، و بعضها یعدّ لحنا خارجا علی قوانینها، و ذلک خاضع للعرف اللغوی الذی تسیر (_____ ۱) التمهید ص ۷۵- ۷۸. (۲) جهد المقل ص ۸۵- ۸۷. (۳) ینظر کتابی: الدراسات الصوتیة عند علماء التجوید ص ۳۸۷. (۴) إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ص ۱۷۹ و ۲۱۱. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۷۶ علیه الجماعة اللغویة، و قد لاحظ ذلک علماء التجوید، قال عبد الوهاب القرطبی: «و کذلک اللام إذا جاورت حرفا من حروف الإطباق و الاستعلاء ... وجب حراسة اللام أن یجاوز بها حرف الإطباق و الاستعلاء و من الترقیق إلی التغلیظ، و هو مرذول عند الجمهور إلا لمن ذلک لغته» «۱». و ذلک فی مثل الصلاة و الطلاق. فالتغییرات التی تلحق الأصوات فی الترکیب خاضعة للقوانین الصوتیة لکن العرف اللغوی، أعنی استخدام الجماعة اللغویة هو الذی میّز ما هو مقبول و ما هو لحن ینبغی الحذر منه. و هناک عامل آخر یؤدی إلی حدوث تغییر فی بعض الأصوات، و هو المبالغة فی تحقیق صفات الصوت، فلکل صوت مخرجه و صفاته التی یجب أن تستوفی باعتدال من غیر مبالغة، لأن تحدید مخارج الأصوات و صفاتها مبنیّ علی نطق ذی الطبع المستقیم، لا علی التکلف «۲». و قدیما قال أبو مزاحم الخاقانی (ت ۳۲۵ ه) فی قصیدته التی قالها فی حسن أداء القرآن: «۳» زن الحرف لا تخرجه عن حدّ وزنه فوزن حروف الذّکر من أفضل البرّ و قال علم الدین السخاوی (ت ۶۴۳ ه) فی قصیدته (عمدة المفید و عدّة المجید فی معرفة التجوید): «۴» للحرف میزان فلا تک طاغیا فیه، و لا تک مخسر المیزان فإذا ما تجاوز الناطق میزان الحرف دخل فی اللحن الخفیّ (_____ ۱. الموضح ص ۱۷۷. (۲) محمد المرعشی: جهد المقل ص ۱۱۲. (۳) البیت ۲۶ من القصیدة (ینظر: بحث علم التجوید، نشأته و معالمه الأولی). (۴) علم الدین السخاوی: جمال القراء ۲/ ۵۴۴. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۷۷ و یمکننا أن نعرض ظواهر اللحن الخفی من خلال

العاملين السابقين اللّذين أدّيا إلى ظهوره، و هما: تأثر الأصوات بعضها ببعض عند التجاور تأثرا يخرج عن الحد الذى يقرّه عرف اللغة، ثم المبالغة فى تحقيق الأصوات. أما الظواهر الصوتية الأخرى الناشئة عن التركيب التى يقرّها العرف اللغوى و تعتبر جزءا من النظام الصوتى للفصحى فلا تذكر هنا.

## أولا: ظواهر اللحن الخفى الناتجة عن تأثر الأصوات بالمجاورة:

### اشارة

أولا- ظواهر اللحن الخفى الناتجة عن تأثر الأصوات بالمجاورة: قال عبد الوهاب القرطبى و هو يتحدث عن العوامل التى تؤدى إلى تأثر الأصوات بما يجاورها: «السبب فى ذلك أن يجتمع حرفان امتاز أحدهما عن الآخر بمزية ما، إما بتفخيم أو إطباق أو تفشّ أو غير ذلك، مع إمكان تلك المزية فيه، لأن الحرف بسبب اتحاده بما جاوره يجذبه إلى حيّزه و يسلبه المزيّة الخاصة به، أو يدخل معه فيها، او يحدث بينهما حرف يشبههما ...» «۱». و كان ابن وثيق (ت ۶۵۴ ه) قد حدد الحالات التى يمكن أن يقع فيها التأثر بين الأصوات فى قوله: «فإذا وقع فى تلاوتك مطبق بين منفتحين، او منفتح بين مطبقين، أو مستعل بين متسفّلين، أو متسفّل بين مستعليين، أو شديد بين رخوين، أو رخو بين شديدين، أو مهموس بين مجهورين، أو مجهور بين مهموسين، أو حرف فيه غنة بين حرفين ليس فيهما غنة مشددين أو مخففين ساكنين، أو حرف ليس فيه غنة بين حرفين بغنتين- فيجب عليك أن تكون عارفا بتخليص كل حرف منها، و إعطاء كل حرف حقه، و بمعرفة هذه الأوصاف و إعطاء كل حرف حقه من صفاته أجمع يكون الإنسان قارئا ماهرا» «۲». و يمكن أن نعرض ظواهر اللحن الخفى الناتجة عن المجاورة و ما قال فيها

(_____ ۱) الموضح ص ۱۷۷. (۲) كتاب فى تجويد القراءة ۷۸ و. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۷۸ علماء التجويد على أساس الصفات التى يحصل فيها التأثر و التأثير، و هى الجهر و الهمس، و الشدة و الرخاوة، و التفخيم و الترقيق، و الغنة، علما أن التأثر يحصل بين الأصوات لمجرد التجاور، فإذا اكتنف صوتان ذوا صفة واحدة صوتا له صفة تخالفهما كان التأثر أسرع، على نحو ما ذكر ابن وثيق، و لا يتحقق التجاور بين الأصوات إلا إذا كان الصوت الأول ساكنا، لأن الحركة تحول بين الصوتين و تمنع حصول التأثير بينهما.

### ۱- الجهر و الهمس:

۱- الجهر و الهمس: قال أبو عمرو الدانىّ (ت ۴۴ ه) كلمة تصلح أن تكون قانونا فى تأثر الأصوات بالجهر و الهمس عند التجاور، و هى: «و الحروف المهموسة إذا لقيت الحروف المجهورة، و الحروف المجهورة إذا لقيت الحروف المهموسة فيلزم تعمّل تلخيصها و بيانها، لئلا ينقلب المهموس إلى لفظ المجهور، و المجهور إلى لفظ المهموس، فتختلّ بذلك ألفاظ التلاوة و تتغير معانيها» «۱»، و من تتبّع الأمثلة التى ذكرها علماء التجويد يلاحظ أن تأثر المجهور بالصوت المهموس أكثر من تأثر المهموس بالمجهور، و هذه أمثلة لذلك: أ- ذ ك- ث ك: قال عبد الوهاب القرطبى: «و كذلك إذا أتت (الذال) بعدها الكاف فى مثل (يذكرون) و (اذكر) وجب أن تصان عن شائبة الثاء، لأنّ الثاء من مخرج الذال، و هى أخت الكاف فى الهمس، و الذال مجهورة، فلا يؤمن من أن يجذبها همس الكاف إلى الثاء لقرب الثاء من الذال فى المخرج و مشاركتها الكاف فى الهمس» «۲» فيصير النطق (يكثرون) و هو لحن خفىّ ينبغى التنبيه له و اجتنابه (_____ ۱) التحديد ص ۱۳۳. (۲) الموضح ص ۱۸۱. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۷۹ ب- د خ- ت خ: قال السعيدى: «و مما يحفظ أيضا بيان الدال إذا سكنت عند الخاء فى مثل قوله: (و يدخلهم الجنة) ... لئلا تنقلب عندها تاء» «۱». ج- غ ش- خ ش: قال الدانىّ و هو يتحدّث عن

حرف الغين: «و كذا إن أتى بعده قاف، أو سين، أو شين، أو تاء، أو ثاء، أو فاء، فينبغى أن ينعم بيانه و لا يتساهل فى ذلك فربما انقلب مع الحروف المذكورة غير القاف خاء، لما بين الخاء و بينهن من الاشتراك فى الهمس ... كقوله تعالى: .. وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشى ...» «۲». د- ز ت- س ت: قال عبد الوهاب القرطبى و هو يتحدث عن الزاى فى (كنزتم): «فأحسن تخليص الزاى مع التاء لئلا تصير سينا، لأن السين تشارك التاء فى الهمس و تقرب من الزاى فى المخرج و الصفير، فربما أذهب همس التاء جهر الزاى فتحوّلت سينا» «۳». و الأمثلة من هذا النوع كثيرة، نكتفى منها بما ذكرناه، أما تأثر الصوت المهموس بالمجهور فأمثلته أقل، فمن ذلك مجاورة الصاد الساكنة للدال، قال مكى بن أبى طالب (ت ۴۳۷ ه): «و إذا سكنت الصاد و أتت بعدها دال وجبت المحافظة على تصفية لفظ الصاد لئلا يخالطها لفظ الزاى، لأن الزاى من مخرج الصاد، و هى فى الصفة أقرب إلى الدال من الصاد إلى الدال، فاللسان يبادر إلى اللفظ بما قرب من الحرف، و ما هو أليق به من غيره، ليعمل اللسان عملا واحدا، فإذا لم تبيّن الصاد بيانا ظاهرا خالطها لفظ الزاى و ذلك نحو (يصدر) و (تصدية) و (قصد السبيل) و شبهه» «۴».

(_____ ۱) التنبيه على اللحن ص ۲۷۳. (۲) التحديد ص ۱۲۹. (۳) الموضح ص ۱۸۳. (۴) الرعاية ص ۱۹۲. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۸۰ و ذكر علماء التجويد مثالا لجهر صوت المهموس من غير أن يجاور صوتا مجهورا، و هو أمر يمكن أن يدخل فى ظاهرة المخالفة، قال الدانى و هو يتحدث عن الخاء: «فإن التقى بالشين أو التاء تعمل بيانه، و إلا ربما انقلب غينا، كقوله: (و لا تخشى) و (مختلف) ...» «۱». و علل عبد الوهاب القرطبى ذلك بالفرار من توالى صوتين مهموسين، فقال: «الخاء إذا سكنت و بعدها شين أو تاء ... وجب حمايتها عن شائبة الغين لما بين الخاء و الغين من المؤاخاة فى الاستعلاء، و فرار النطق من الجمع بين مهموسين الشين و الخاء» «۲».

## ۲- الشّدّة و الرّخاوة:

۲- الشّدّة و الرّخاوة: لم أجد من أمثلة اللحن الخفىّ التى سببها الشّدّة و الرخاوة مما ذكره علماء التجويد سوى مثال واحد هو صوت الجيم حين يجاور صوتا رخوا، إذ من الممكن حينئذ أن يتأثر الجيم برخاوة الصوت المجاور و يفقد شدته، قال مكى بن أبى طالب: «فإذا سكنت الجيم و بعدها زاى وجب أن يتحفّظ بإظهار الجيم نحو قوله تعالى: (رِجْزاً مِنَ السَّماءِ) ... فإنه إن لم يتحفّظ ببيان الجيم صارت زاء مدغمة فى الزاى التى بعدها، و سارع اللفظ إلى ذلك، لأن الزاى بالزاى أشبه من الجيم بالزاى، و الزاى حرف مجهور كالجيم فيها صفير فقويت به، لكن الجيم حرف مجهور شديد، و الزاى حرف رخو، فلما فارقت الزاى الجيم فى الشدة مال اللفظ و اللسان إلى بدل الجيم بزاى، ليعمل اللسان عملا واحدا فى حرفين رخوين، فكان ذلك أسهل من عمله فى حرف شديد و حرف رخو فيه صفير مع تقارب المخارج، فلا بد من التحفظ بلفظ الجيم الساكنة التى بعدها زاى» «۳».

(_____ ۱) التحديد ص ۱۳۰. (۲) الموضح ص ۱۸۷. (۳) الرعاية ص ۱۵۰ و انظر أيضا ص ۱۸۳. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۸۱

## ۳- التفخيم و الترقيق:

۳- التفخيم و الترقيق: التفخيم فى الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه، و الترقيق بعكسه «۱»، و الأصوات المفخمة فى العربية سبعة، أربعة مطبقة هى: الطاء و الظاء و الصاد و الضاد، و ثلاثة مستعلية هى: القاف و الغين و الخاء. و تكون اللام و الراء مرققة فى مواضع و مضخمة فى مواضع أخرى. و الألف تتبع ما قبلها فى التفخيم «۲». و إذا تجاوز الصوت المفخم مع الصوت المرقق، أثّر أحدهما فى الآخر، و وجب التّحفّظ عند النطق بهما، و قد لاحظ علماء التجويد ذلك و عدّوه من اللحن الخفىّ

و حذّروا من الوقوع فیه، و إلیک الأمثلة: أ- س+ صوت مفخم: قال الأندرابی: «و إذا اجتمعت السین الساکنة مع حرف من حروف الإطباق فی کلمة فتوصّل إلی سکون السین فی رفق و تؤدة، لئلا تصیر صادا بالاختلاط، کقوله (یسطون) و (مسطورا) و (بالقسطاس) و نحو ذلک» «۳». ب- ت+ صوت مفخم: قال عبد الوهاب القرطبی: «التاء إذا جاورت حرفا من حروف الإطباق فبیّن همسها و أحسن تخلّصها من الإطباق و إلا- صارت طاء فی مثل قوله تعالی: فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ... و ذلک لأن التاء من مخرج الطاء، و إنما تمتاز الطاء بالإطباق، فإذا جاورها إطباق شابتها شائبة الطاء لذلک» «۴».

(_____ ۱) محمد المرعشی: جهد المقل ص ۱۲۶. (۲) ینظر: کتابی: الدراسات الصوتیة عند علماء التجوید ص ۴۷۸. (۳) الإیضاح فی القراءات ۶۹ ظ. (۴) الموضح ۱۸۱ ظ.

أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۸۲ ج- ذ+ صوت مفخم: قال مکی بن أبی طالب: «و إذا وقع بعد الذال حرف مفخم راء أو لام وجب التحفظ بترقیقها لئلا تتبع تفخیم ما بعدها فیدخلها الإطباق و تصیر ظاء، و ذلک تصحیف، و ذلک نحو قوله: ذَرَأَ ..» «۱». و یرید مکی بقوله (تصحیف) أنه لحن. و قال عبد الوهاب القرطبی عن الحالة نفسها: «الذال إذا لقیت الراء المفخمة فی مثل قوله تعالی ... یَحْذَرُ الْآخِرَةَ و ما أشبه ذلک، لزم القارئ بیانها و تلخیص إنعامها، و لفظ بها رقیقة و بالراء مفخمة، و لا یغفل ذلک لئلا تنقلب الذال ظاء من أجل تفخیم الراء، لأن التفخیم نظیر الإطباق، أو ترقّ الراء إذا لخّصت هی و حقّها التفخیم، و کلاهما من اللحن الخفی» «۲». د- ص+ ت: قال عبد الوهاب القرطبی: «و کذلک الصاد إذا اسکنت و ولیتها التاء فی مثل قوله تعالی: وَ لَوْ حَرَصْتُمْ و ما أشبهه، ینبغی أن تحفظ إطباق الصاد من همس التاء، و همس التاء من إطباق الصاد، لئلا تصیر الصاد سینا أو تصیر التاء طاء، و کل ذلک مکروه» «۳».

### ۴- التّأنیف (الغنة):

۴- التّأنیف (الغنة): الغنّة هی الصوت الجاری من الخیشوم، و هی تلازم صوتی النون و المیم، و قد تلحق هذه الصفة الأصوات التی تجاورهما، خاصة النون، و هو ما حذر منه علماء التجوید و عدّوه لحنا خفیا. و من أمثلة ذلک: أ- ل+ ن: قال السعیدی: «مما یحفظ أیضا تخلیص اللامات إذا سکنت من النونات بعدها، فی مثل قوله (أنزلنا) و (أرسلنا) و (جعلنا) و (قلنا) و شبههن، و یحتاج فی ذلک إلی حذق ...» «۴» (_____ ۱) الرعایة ص ۱۸۵. (۲) الموضح ص ۱۸۱. (۳) المصدر نفسه ص ۱۷۹. (۴) التنبیه علی اللحن ص ۲۷۶. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۸۳ ب- د+ ن: قال الدانی و هو یتحدث عن الدال: «و کذلک إن التقی بالنون فیلزم أن یمکّن جهوره، و لا یتساهل فی ذلک فیصیر غنّة مدغمة فی النون، نحو (قد نری) ...» «۱». ج- ر+ ن: قال الأندرابی: «کقوله: (فبشرناه) و تکلّف إظهار الراء لئلا یندغم، و مثله (فغفرنا له)، لأنک إن لم تتکلف إظهار الراء عند النون صارت نونا مدغمة فیما بعدها» «۲». د- حروف المد+ ن: قال الأندرابی: «فإن سکنت الیاء و انکسر ما قبلها أو سکنت الواو و انضم ما قبلها أشبعهما من غیر غنة، نحو: یؤمنون، و المؤمنین» «۳». و قال محمد المرعشی عن الموضوع ذاته: «و لیحذر عن ... إعطاء الغنة لغیر حروفها، ما یفعل بعض الناس فی الیاء المدّیّة و الواو المدّیّة فی مثل: نستعین، و طس، و یستهزءون، تبعا لغنة النون» «۴». و قال فی موضع آخر: «إن الغنّة لمّا أشبهت المدّ ... یلائم إحداث الغنة مع تلفظ المد، و لذا یلفظ بعض الناس المد مصحوبا بالغنة فی مثل نستعین، و هو لا یشعر بذلک، و ذلک لحن، و طریق معرفة حدوثها فی مثل ذلک أن تلفظه مرة مع الإمساک علی أنفک و مرة بدونه، فإن اختلف صوت المد فی الحالین فاعلم أنه مصحوب بها. و طریق الحذر عنها منع النفس الجاری مع المد عن التجاوز إلی الخیشوم، و امتحان صوته بالإمساک علی الأنف و ترکه إلی أن یتعوّد تخلیص المد عنها» «۵».

(_____ ۱) التحدید ص ۱۴۱. (۲) الإیضاح فی القراءات ۷۰ و. (۳) المصدر نفسه ۷۱ و. (۴) جهد المقل ص ۲۷۸. (۵) المصدر نفسه ص ۲۸۵. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۸۴

## ثانیا: ظواهر اللحن الخفی الناتجة عن المبالغة فی تحقیق الأصوات:

### اشارة

ثانیا: ظواهر اللحن الخفی الناتجة عن المبالغة فی تحقیق الأصوات: من صور الخروج علی النطق الفصیح ممّا عدّه العلماء من اللحن الخفی المبالغة فی تحقیق الصفات الصوتیة و الضغط علی مخارج الحروف، فللحرف میزان ینبغی مراعاته فی مخرجه و صفاته، قال الأندرابی: «إیاک و التمطیط و التمضیغ و التشدیق و الاتکاء علی مخارج الحروف» «۱». و بعض الأصوات أکثر تعرضا للاختلال فی النطق من غیرها، و لذلک خصّ ها علماء التجوید بالعنایة، و ذلک مثل الهمزة، و الراء، و النون، و الحرکات، و حروف المد. و هذه خلاصة ما قالوه فی هذا المجال:

### ۱- الهمزة:

۱- الهمزة: یتم إنتاج صوت الهمزة بأن ینطبق الوتران الصوتیان فی الحنجرة انطباقا تاما فلا یسمحان للنفس بالمرور، ثم ینفرجان فجأة فیندفع الهواء محدثا صوت الهمزة «۲». و تعدّ الهمزة أثقل الحروف نطقا «۳»، «لأنه بعد مخرجها، و لأنها نبرة فی الصدر تخرج باجتهاد، و هی أبعد الحروف مخرجا، فثقل علیهم ذلک لأنه کالتهوع» «۴». و من ثم نجد علماء التجوید یهتمون بنطق الهمزة، یقول الدانی: «فینبغی للقارئ إذا همز الحرف أن یأتی بالهمزة سلسلة فی النطق، سهلة فی الذوق، من غیر لکز و لا ابتهار لها، و لا خروج بها عن حدّها، ساکنة کانت أو متحرکة ...» «۵». و قد حذّر العلماء الذین بحثوا موضوع اللحن الخفی من تلکیز الهمزة «۶»، و طلبوا من القارئ أن یجتنب الهمزات الملکزة «۷».

(_____ ۱) الإیضاح فی القراءات ۷۰ ظ. (۲) إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ص ۹۱، و کمال محمد بشر: الأصوات ص ۱۴۲. (۳) ابن الجزری: النشر ۱/ ۴۲۸. (۴) سیبویه: الکتاب ۳/ ۵۴۸. (۵) التحدید ص ۱۱۸. (۶) السعیدی: التنبیه علی اللحن ص ۲۶۰. (۷) الأندرابی: الإیضاح فی القراءات ۶۸ ظ. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۸۵ و اللّکز فی اللغة الضّرب أو الدّفع فی الصدر بالکف «۱». أما فی الاصطلاح فقد قال ابن البناء: «و یکره اللکز فی القراءة، و هو الابتداء بقلع النّفس و الختم به» «۲». و یمکن أن یکون المقصود بتلکیز الهمزة الضغط علی مخرجها و المبالغة فی إخراجها حتی تصیر کالتهوع. و قد یکون اللّکز فی الهمزة هو الذی أدّی ببعض العرب إلی قلبها عینا، و هو ما یعرف بالعنعنة «۳».

### ۲- الراء:

۲- الراء: حذّر علماء التجوید من المبالغة فی تکریر الراء، لأن طرف اللسان یطرق حافة الحنک طرقا لیّنا مرتین أو ثلاثا فی أثناء النطق بالراء العربیة «۴». و من ثمّ فإن زیادة طرقات اللسان علی الحنک یؤدی إلی الإخلال بالراء الفصیحة، و لذلک حذّر العلماء من المبالغة فی تکریرها، فقال مکی: «فواجب علی القارئ إخفاء تکریره و لا یظهره، و متی ما أظهره فقد جعل من الحرف المشدد حروفا و من المخفف حرفین» «۵». و قال الجعبری (إبراهیم بن عمر ت ۷۳۲ ه): «و تکریره لحن، فیجب التحفظ عنه» «۶». و لا یعنی إخفاء تکریر الراء إعدامه بالکلیة، قال أبو الحسن شریح بن محمد الرعینی (ت ۵۳۹ ه): «و اعلم أن الراء متکررة فی جمیع أحوالها، و أبین ما یکون ذلک عند الوقف علیها، و قد ذهب قوم من أهل الأداء إلی أنه لا تکرر فیها مع تشدیدها، و ذلک لم یؤخذ علینا، غیر أنا لا نقول بالإسراف فیه، و أما ذهاب التکرار جملة فلم نعلم أحدا من المحققین بالعربیة ذکر أن تکریرها یسقط بحال» «۷».

(_____ ۱) ابن منظور: لسان العرب ۷/ ۲۷۳

لکز. (۲) بیان العیوب ص ۳۱. (۳) ینظر: رمضان عبد التواب: فصول فی فقه العربیة ص ۱۱۵. (۴) إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة ص ۳۱۸. (۵) الرعایة ۱۷۰. (۶) نقلا عن المرادی: شرح الواضحة ص ۴۴. (۷) المصدر نفسه ص ۴۳. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۸۶

### ۳- النون:

۳- النون: حذّر علماء التجوید من تطنین النونات «۱»، و قال عبد الوهاب القرطبی: «و ینبغی أن یجتنب فیها الطنین، و هو أن یلحق بها إذا سکنت و أظهرت صوت یضاهی صوت الصنجة تلقی فی الطّست» «۲». و قال الأندرابی، و هو یتحدث عما ینبغی أن یحترز منه القارئ: «و تطنین الغنّات حتی تمتدّ کحروف اللین» «۳». و الغنة هی الصوت المصاحب لنطق النون و المیم الجاری من الخیشوم، قال محمد المرعشی: «و اجعل غنة النون أکمل من غنة المیم لأنها أغن من المیم، لکن احذر من تطنین الغنة عند الوقف علیهما، لأن إظهار الغنة و إن احتاج إلی تمدید لکنّ المبالغة فی التمدید لحن، و هو معنی التطنین، و هو فی اللغة: صوت الطست عند ضربه، و احتمال التطنین فی النون أقرب من احتماله فی المیم، لأن النون أغن» «۴».

### ۴- الحرکات و حروف المد:

۴- الحرکات و حروف المد: تحتل الحرکات و حروف المد مکانا متمیزا فی النطق، و لها دور فی بنیة الکلمة العربیة لا یقل عن دور بقیة الأصوات، و الذی یعنینا من أمرها هنا هو تحذیر علماء التجوید من الإخلال فی نطقها، و تحذیرهم من الإفراط فی الحرکات حتی تصیر حروفا و من التفریط فی المدات و ترعیدها «۵». قال عبد الوهاب القرطبی: «الذی ینبغی أن یعتمده القارئ من ذلک أن یحفظ مقادیر الحرکات و السکنات، فلا یشبع الفتحة بحیث تصیر ألفا، و لا الضمة بحیث تخرج واوا، و لا الکسرة بحیث تتحول یاء، فیکون واضعا للحرف (_____ ۱) السعیدی: التنبیه علی اللحن ص ۲۶۰. (۲) الموضح ص ۱۲۰. (۳) الإیضاح فی القراءات ۶۸ ظ. (۴) جهد المقل ص ۲۸۸. (۵) السعیدی: التنبیه علی اللحن ص ۲۶۰. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۸۷ موضع الحرکة، و لا یوهنها و یختلسها و یبالغ فیضعف الصوت عن تأدیتها و یتلاشی النطق بها و تتحول سکونا» «۱». و حروف المد لها مقادیر فی النطق، و ینبغی ألّا یجاوز بالمدود منزلته، مع الاحتراز من المدات الطویلة الرّعشة المطیطة التی نهی عنها «۲». قال السعیدی: «و مما یحفظ أیضا ترعید المدات فی مثل قوله ... ما یشاء و جاء و شاء، و ما أشبه هذه الحروف، تمدّ مدّا حسنا مستویا مستقیما، بلا ترعید و لا تهزیز و لا اضطراب عند إخراجهن» «۳» و معنی الترعید هنا هو «أن یأتی بالصوت إذا قرأ مضطربا کأنه یرتعد من برد أو ألم» «۴».

### خاتمة

خاتمة کان هدفنا من کتابة هذا البحث توضیح فکرة (اللحن الخفی) فی الدرس الصوتی العربی و تطبیقاتها فی النطق العربی، کما یعرضها علماء التجوید خاصة. و أرجو أنّ هذا الهدف قد تحقق علی نحو مقبول. و یمکن أن نذکر أیضا أن ما ورد فی هذا البحث یدل علی أمور أخری أهمها: ۱- إن کتب علم الأصوات المکتوبة حدیثا باللغة العربیة قد أهملت کثیرا من جوانب الدرس الصوتی العربی، و لم تضعها فی میزان الدرس الصوتی الحدیث، و الاستفادة من الجوانب التی لا تزال مفیدة منها فی دراسة أصوات العربیة فی زماننا. ۲- إن الدرس الصوتی العربی القدیم قد بلغ درجة عالیة من الدقة و الشمول (_____ ۱) الموضح ص ۱۹۱. (۲) الأندرابی: الإیضاح فی القراءات ۶۸ ظ. (۳) التنبیه علی اللحن ص ۲۸۲. (۴) عبد الوهاب القرطبی: الموضح ۱۸۸ و ص ۱۱۲. أبحاث فی علم

التجوید، ص: ۱۸۸ و العمق، حیث تجاوز الحدیث عن مخارج الأصوات و صفاتها و الأحکام الصوتیة الناشئة عن الترکیب فی النطق الفصیح، إلی النظر فی دقائق الکلام المنطوق و تحدید الملامح الشاذة عن العربیة الفصحی، و وصفها، و تحذیر الناطقین من الوقوع فیها. ۳- إن بقاء العربیة الفصحی و دوامها و محافظتها علی ملامحها الصوتیة و الترکیبیة من الحالات النادرة فی تأریخ اللغات البشریة، و أکبر عوامل هذه الظاهرة ارتباط العربیة بالقرآن الکریم، و کان من ثمرات ذلک الارتباط ما بذله علماء اللغة و قراءة القرآن من جهود فی تدوین قواعد العربیة و تعلیم النطق الفصیح، و قضیة اللحن الخفیّ فی الدرس الصوتی العربی مظهر من مظاهر العنایة بلغة القرآن و العمل علی تعلیمها و المحافظة علیها و صیانتها من الانحراف الناتج عن تطور أصواتها بشکل لا تقره قواعد اللغة. ۴- قد لا أکون مجاوزا الحقیقة إذا ما قلت إن دراسة أصوات اللغة عندنا الآن متخلفة کثیرا عما وصلت إلیه فی الدول الأخری، کما أنها قاصرة عن الإحاطة بالتراث الصوتی العربی القدیم، إن النهوض بعلم الأصوات عندنا یحتاج إلی نشر النصوص القدیمة و دراستها، و إلی ترجمة النتائج التی أحرزها هذا العلم فی البلدان المتقدمة فی دراسته، عند ذلک یمکن أن نکتب علم الأصوات العربی بصورته المعاصرة المشرقة. إن شاء اللّه تعالی. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۸۹

## المصادر

المصادر ۱- الآجری (أبو بکر محمد بن الحسین): أخلاق حملة القرآن، نسخة مصورة عن مخطوطة مکتبة راغب باشا بترکیا ۱۴/ ۵. ۲- إبراهیم أنیس: فی اللهجات العربیة، ط ۴، مکتبة الأنجلو المصریة، القاهرة ۱۹۷۳ م. ۳- إبراهیم أنیس (دکتور): الأصوات اللغویة، ط ۴، مکتبة الأنجلو المصریة، القاهرة ۱۹۷۱ م. ۴- إبراهیم محمد نجا (دکتور): التجوید و الأصوات، مطبعة السعادة بمصر (د. ت). ۵- ابن الأثیر (عز الدین أبو الحسن علی ابن أبی الکرم). الکامل فی التاریخ مج ۷، دار صادر- دار بیروت ۱۳۸۵ ه- ۱۹۶۵ م. ۶- أحمد تیمور: لهجات العرب، الهیئة المصریة العامة للکتاب، سلسلة المکتبة الثقافیة، العدد ۲۹۰، القاهرة ۱۹۷۳. ۷- أحمد فروخی: التجوید الواضح، الجزائر ۱۹۷۲ م. ۸- أحمد مختار عمر (دکتور): البحث اللغوی عند العرب، دار المعارف بمصر ۱۹۷۱ م. ۹- أحمد مختار عمر (دکتور): دراسة الصوت اللغوی، ط ۱، مکتبة عالم الکتب، القاهرة ۱۳۹۶ ه ۱۹۷۶ م. ۱۰- إدریس عبد الحمید الکلاک: نظرات فی علم التجوید، ط ۱، بغداد ۱۴۰۱ ه ۱۹۸۱ م. ۱۱- الأسترآبادی (محمد بن الحسن): شرح شافیة ابن الحاجب، تحقیق محمد الزفزاف و آخرین، مطبعة حجازی، القاهرة (د. ت). أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۹۰ ۱۲- اسماعیل باشا البغدادی: هدیة العارفین، مج ۲ استانبول ۱۹۵۵ م. ۱۳- إلفارت (و): فهرس المخطوطات العربیة فی المکتبة الملکیة فی برلین، مج ۱ برلین ۱۸۸۷ م. و قد ترجم لنا ما کتب من معلومات بالألمانیة فی هذا الفهرس الأستاذ برهان عید، المعلم فی بیجی، المتمکن من عدة لغات أوربیة، جزاه اللّه خیرا. ۱۴- ابن الأنباری (محمد بن القاسم بن بشار أبو بکر): کتاب إیضاح الوقف و الابتداء فی کتاب اللّه عز و جل، مجمع اللغة العربیة بدمشق ۱۹۷۱ م، تحقیق محیی الدین عبد الرحمن رمضان. ۱۵- الأندرابی (أحمد بن أبی عمر): الإیضاح فی القراءات العشر، مخطوط فی جامعة استانبول برقم (۱۳۵۰) و منه نسخة مصورة فی مکتبة المجمع العلمی العراقی. ۱۶- الأهوازی (الحسن بن علی): الوجیز فی شرح أداء القراء الثمانیة أئمة الأمصار الخمسة. مخطوطة جستربتی (۳۶۰۳) مصورة الدکتور حاتم الضامن. ۱۷- ابن الباذش (أحمد بن علی): الإقناع فی القراءات السبع، تحقیق د. عبد المجید قطامش، مطبعة دار الفکر بدمشق ۱۴۰۳ ه. ۱۸- برجستراسر: التطور النحوی للغة العربیة. مطبعة السماح، القاهرة ۱۹۲۹ م. ۱۹- بروکلمان (کارل) تاریخ الأدب العربی. ج ۴، دار المعارف بمصر ۱۹۷۵ م، ترجمة الدکتور السید یعقوب بکر و الدکتور رمضان عبد التواب. ۲۰- ابن بشکوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملک): کتاب الصلة فی تاریخ أئمة الأندلس. مطبعة السعادة، القاهرة ۱۳۷۴ ه- ۱۹۵۵ م. ۲۱- البقری (محمد بن القاسم): غنیة الطالبین و منیة الراغبین، مخطوط فی دار صدام للمخطوطات فی بغداد برقم (۱۲۹۷۵). أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۹۱ ۲۲- ابن البناء (أبو علی الحسن بن عبد اللّه): بیان العیوب التی یجب أن یجتنبها القراء و إیضاح الأدوات التی بنی علیها الإقراء، تحقیق د. غانم قدوری حمد منشور فی

مجلة معهد المخطوطات العربیة فی الکویت مج ۳۱ ج ۱ سنة ۱۴۰۷ ه ۱۹۸۷ م و طبع دار عمار/ الأردن ۲۰۰۱ م. ۲۳- تمام حسان (دکتور): مناهج البحث فی اللغة، ط ۲، دار الثقافة، الدار البیضاء ۱۳۹۴ ه ۱۹۷۴ م. ۲۴- الثعالبی (أبو منصور عبد الملک بن محمد): فقه اللغة و سر العربیة. ط ۲، مصطفی البابی الحلبی بمصر ۱۳۷۳ ه- ۱۹۵۴ م، تحقیق مصطفی السقا و آخرین. ۲۵- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البیان و التبیین، تحقیق عبد السلام هارون، القاهرة ۱۳۶۷ ه ۱۹۴۸ م. ۲۶- جان کانتینو: دروس فی علم أصوات العربیة، ترجمة صالح القرمادی، تونس ۱۹۶۶ م. ۲۷- ابن الجزری (أبو الخیر محمد بن محمد): التمهید فی علم التجوید. مخطوط، دار الکتب الظاهریة رقم ۵۷۳۸ نسخة مصورة. ۲۸- ابن الجزری: غایة النهایة فی طبقات القراء، مکتبة الخانجی بمصر ۱۳۵۱ ه- ۱۹۳۲ م، تحقیق برجستراسر. ۲۹- ابن الجزری: النشر فی القراءات العشر، المکتبة التجاریة الکبری بمصر (د. ت). ۳۰- ابن الجزری (أبو الخیر محمد بن محمد): التمهید فی علم التجوید، تحقیق غانم قدوری الحمد، مؤسسة الرسالة، بیروت ۱۴۰۶ ه ۱۹۸۶ م. ۳۱- ابن الجزری: متن الجزریة فی التجوید، مطبعة محمد علی صبیح بمصر ۱۳۷۵ ه ۱۹۵۶ م. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۹۲ ۳۲- ابن جنی (أبو الفتح عثمان بن جنی): سر صناعة الإعراب، ج ۱، مصطفی البابی الحلبی بمصر ۱۹۵۴ م، تحقیق مصطفی السقا و آخرین. ۳۳- جورج مونین: تأریخ علم اللغة، ترجمة د. بدر الدین القاسم، مطبعة جامعة دمشق، ۱۳۹۲ ه ۱۹۷۲ م. ۳۴- حاتم صالح الضامن (دکتور): مقدمة تحقیق کتاب (الاعتماد فی نظائر الظاء و الضاد) لابن مالک، مجلة المجمع العلمی العراقی مج ۳۱ ج ۳ السنة ۱۴۰۰ ه ۱۹۸۰ م. ۳۵- ابن أبی حاتم (أبو محمد عبد الرحمن): کتاب الجرح و التعدیل، ق ۱، مج ۴، ط ۱، حیدرآباد الدکن، الهند ۱۳۷۲ ه- ۱۹۵۳ م. ۳۶- حاجی خلیفة (مصطفی بن عبد اللّه): کشف الظنون عن أسامی الکتب و الفنون، وکالة المعارف الجلیلة، استانبول، مج ۱، ۱۳۶۰ ه- ۱۹۴۱ م، مج ۳، ۱۳۶۱ ه- ۱۹۴۳ م. ۳۷- ابن حجر (الحافظ أحمد بن علی): تهذیب التهذیب، دار المعارف العثمانیة بالهند. ۳۸- ابن حجر: فتح الباری بشرح صحیح البخاری، المطبعة السلفیة، القاهرة ۱۳۸۰ ه. ۳۹- حسام سعید النعیمی (دکتور): أصوات العربیة بین التحول و الثبات، سلسلة بیت الحکمة (۴) جامعة بغداد ۱۹۸۹ م. ۴۰- حسام سعید النعیمی: الدراسات اللهجیة و الصوتیة عند ابن جنی، بغداد ۱۹۸۰ م. ۴۱- حسن بن إسماعیل الدرکزلی: خلاصة العجالة فی بیان مراد الرسالة، مخطوط فی مکتبة المتحف ببغداد برقم (۲۳۵۱۳). ۴۲- حسنی شیخ عثمان: حق التلاوة، ط ۲، مؤسسة الرسالة ۱۳۹۷ ه ۱۹۷۷ م. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۹۳ ۴۳- حمزة بن الحسن الأصفهانی: التنبیه علی حدوث التصحیف، تحقیق محمد أسعد طلس، دمشق ۱۹۶۰. ۴۴- أبو حیان (محمد بن یوسف الأندلسی): ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقیق د. مصطفی النماس، القاهرة ۱۴۰۴ ه ۱۹۸۴ م. ۴۵- خالد الأزهری (الشیخ): الحواشی الأزهریة فی حل ألفاظ المقدمة الجزریة، مطبعة محمد علی صبیح بمصر (د. ت). ۴۶- الخطیب البغدادی (أبو بکر أحمد بن علی): تاریخ بغداد، مکتبة الخانجی بالقاهرة، و المکتبة العربیة ببغداد ۱۹۳۱ م. ۴۷- خلیل إبراهیم العطیة (دکتور): فی البحث الصوتی عند العرب، منشورات دار الجاحظ، سلسلة الموسوعة الصغیرة العدد ۱۲۴ بغداد ۱۹۸۳ م. ۴۸- الخلیل بن أحمد الفراهیدی: العین، مطبعة العانی، بغداد ۱۳۸۶ ه- ۱۹۶۷ م، تحقیق د. عبد اللّه درویش. ۴۹- ابن خیر الإشبیلی (ابو بکر محمد بن خیر): فهرسة ما رواه عن شیوخه من الدواوین المصنفة فی ضروب العلم، ط ۲، ۱۳۸۰ ه- ۱۹۶۳ م. ۵۰- الدانی (أبو عمرو عثمان بن سعید): التحدید فی الإتقان و التجوید، نسخة مصورة عن مخطوطة مکتبة جار اللّه بترکیا رقم ۲۳. و منه نسخة مصورة فی کل من مکتبة جامعة القاهرة، و معهد المخطوطات العربیة. ۵۱- الدانی: شرح قصیدة أبی مزاحم الخاقانی، نسخة مصورة من مخطوطة مکتبة جستربتی‌بدبلن بإیرلندة رقم ۳۶۵۳/ ۱۰. ۵۲- الدانی: المحکم فی نقط المصاحف، وزارة الثقافة و الإرشاد، دمشق ۱۹۶۰ م، تحقیق د. عزة حسن. ۵۳- الدانی (أبو عمرو عثمان بن سعید): التحدید فی الإتقان و التجوید، تحقیق د. غانم قدوری حمد، مطبعة الخلود، بغداد ۱۹۸۸ م و دار عمار/ الأردن ۲۰۰۰. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۹۴ ۵۴- الدانی (ابو عمرو عثمان بن سعید): جامع البیان فی القراءات السبع المشهورة، مخطوطة، دار الکتب المصریة رقم ۹ قراءات. ۵۵- الدمیاطی (أحمد بن محمد): إتحاف فضلاء البشر بقراءات الأربعة عشر، راجعه علی محمد الضباع، مطبعة عبد الحمید حنفی، القاهرة ۱۳۵۹ ه. ۵۶- الذهبی (شمس الدین محمد بن أحمد): معرفة القراء الکبار علی

الطبقات و الاعصار، ط ۱، دار الکتب الحدیثة، القاهرة ۱۹۶۹ م. ۵۷- رشید عبد الرحمن العبیدی (دکتور): عیوب اللسان و اللهجات المذمومة، بحث منشور فی مجلة المجمع العلمی العراقی مج ۳۶- ج ۳، بغداد ۱۴۰۶ ه ۱۹۸۵ م. ۵۸- رمضان عبد التواب (دکتور): لحن العامة و التطور اللغوی، ط ۱، دار المعارف بمصر ۱۹۶۷. ۵۹- رمضان عبد التواب (دکتور): فصول فی فقه العربیة، ط ۱، مکتبة دار التراث، القاهرة ۱۹۷۳ م. ۶۰- الزبیدی (أبو بکر محمد بن الحسن): طبقات النحویین و اللغویین، تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم، دار المعارف بمصر ۱۹۷۳ م. ۶۱- الزرکشی (بدر الدین محمد بن عبد اللّه): البرهان فی علوم القرآن، ط ۲، عیسی البابی الحلبی، القاهرة ۱۹۷۲ م، تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم. ۶۲- الزرکلی (خیر الدین): الأعلام، ط ۳، بیروت د. ت. ۶۳- زکریا الأنصاری (الشیخ): تحفة نجباء العصر فی أحکام النون الساکنة و التنوین و المد القصیر، تحقیق د. محیی هلال السرحان، مجلة کلیة الشریعة- العدد التاسع ۱۹۸۶ م. ۶۴- زکریا الأنصاری: الدقائق المحکمة فی شرح المقدمة، بهامش متن الجزریة (رقم ۱۰ أعلاه). أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۹۵ ۶۵- ساجقلی‌زاده (محمد المرعشی): جهد المقل، نسخة مصورة عن مخطوطة مکتبة المتحف العراقی رقم ۱۱۰۶۸. ۶۶- الساعاتی (أحمد بن عبد الرحمن البنا): الفتح الربانی لترتیب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشیبانی، ط ۱ القاهرة ۱۳۷۴ ه. ۶۷- سالم عبد الرزاق أحمد: فهرس مخطوطات مکتبة الأوقاف العامة فی الموصل، ج ۸- ۱۹۷۸ م. ۶۸- السخاوی (علم الدین أبو الحسن علی بن محمد): جمال القراء و کمال الإقراء. نسخة مصورة عن مخطوطة دار الکتب الظاهریة رقم ۳۳۳ (۴۴ القراءات). ۶۹- السخاوی (علم الدین علی بن محمد): جمال القراء و کمال الإقراء، تحقیق د. علی حسین البواب، مکتبة التراث، مکة المکرمة ۱۴۰۸ ه ۱۹۸۷ م. ۷۰- ابن السراج (محمد بن السری): کتاب الأصول فی النحو، تحقیق د. عبد الحسین الفتلی، مؤسسة الرسالة، ط ۳، بیروت ۱۴۱۷ ه ۱۹۹۶ م. ۷۱- ابن سعد (أبو عبد اللّه محمد بن سعد): الطبقات الکبری، بیروت ۱۹۵۷ م. ۷۲- السعیدی (أبو الحسن علی بن جعفر بن محمد السعیدی الرازی): کتاب التنبیه علی اللحن الجلی و اللحن الخفی، نسخة مصورة عن مخطوطة مکتبة المتحف العراقی رقم ۳۷۶۷. ۷۳- السعیدی (علی بن جعفر): التنبیه علی اللحن الجلی و اللحن الخفی، تحقیق غانم قدوری الحمد، مجلة المجمع العلمی العراقی، الجزء الثانی، المجلد السادس و الثلاثون ۱۹۸۵ م (ص ۲۴۰- ۲۸۷). و دار عمار/ الأردن، ۲۰۰۰ م. ۷۴- السعیدی (علی بن جعفر): اختلاف القراء فی اللام و النون، رسالة مخطوطة فی مکتبة المتحف البریطانی برقم (۴۲۵۴ مشرقیات). ۷۵- السکاکی (یوسف بن محمد): مفتاح العلوم، دار الکتب العلمیة ۱۴۰۳ ه ۱۹۸۳ م. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۹۶ ۷۶- سلمان الجمزوری (الشیخ): فتح الأقفال بشرح متن تحفة الأطفال، مطبعة محمد علی صبیح بمصر ۳۷۸ ه ۱۹۵۹ م. ۷۷- السمانی (أبو الأصبغ عبد العزیز بن علی بن محمد السمانی الأندلسی): مقدمة فی الوقف و الابتداء مسماة بنظام الأداء. نسخة مصورة من مخطوطة مکتبة جستربتی‌بدبلن بإیرلندة رقم ۳۹۲۵/ ۵. ۷۸- السمرقندی (محمد بن محمود): روح المرید شرح العقد الفرید، مخطوط أوقاف الموصل. ۷۹- السنهوری (جعفر بن إبراهیم): الجامع المفید فی صناعة التجوید، مخطوط فی مکتبة برلین، رقم ۱۳۰۷. ۸۰- سیبویه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الکتاب، الهیئة المصریة العامة للکتاب ۱۹۷۵، تحقیق عبد السلام محمد هارون. ۸۱- السیرافی (الحسن بن عبد اللّه): شرح کتاب سیبویه، ج ۶. مخطوط بدار الکتب المصریة برقم (۵۲۸/ نحو- تیمور). ۸۲- السیوطی (جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر): الإتقان فی علوم القرآن ط ۱، مکتبة المشهد الحسینی، القاهرة ۱۳۸۷ ه- ۱۹۶۷ م، تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم. ۸۳- السیوطی: المزهر فی علوم اللغة، دار إحیاء الکتب العربیة، القاهرة، تحقیق محمد أحمد جاد المولی و آخرین. ۸۴- السیوطی (عبد الرحمن بن أبی بکر): همع الهوامع فی شرح جمع الجوامع، تحقیق: محمد بدر الدین النعسانی، دار المعرفة، بیروت (د. ت). ۸۵- أبو شامة (شهاب الدین عبد الرحمن بن إسماعیل)؛ المرشد الوجیز إلی علوم تتعلق بالکتاب العزیز، دار صادر، بیروت ۱۳۶۵ ه- ۱۹۷۵ م، تحقیق طیار التی قولاج. أبحاث فی علم التجوید، ص: ۱۹۷ ۸۶- ابن أبی شیبة (أبو بکر عبد اللّه بن محمد): الکتاب المصنف فی الأحادیث و الآثار، ط ۱، حیدرآباد الدکن، الهند ۱۳۸۷ ه- ۱۹۶۷ م. ۸۷- الطبری (أبو جعفر محمد بن جریر): جامع البیان عن تأویل آی القرآن، طبعة الحلبی الثالثة، القاهرة. ۸۸- عبد الرءوف محمد سالم: الفرید فی فن التجوید، ط ۷، الکویت ۱۴۰۷ ه ۱۹۸۶ م. ۸۹- عبد الرحمن أیوب

(دكتور): أصوات اللغة، ط ۱، مطبعة التأليف، القاهرة ۱۹۶۳. ۹۰- عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة فى شرح المقدمة، مخطوطة المتحف العراقى ببغداد (۲۰۱۶۵). ۹۱- عبد الصبور شاهين (دكتور): أثر القراءات فى الأصوات و النحو العربى، ط ۱، مكتبة الخانجى، القاهرة ۱۴۰۸ ه ۱۹۸۷ م. ۹۲- عبد الصبور شاهين (دكتور): فى التطور اللغوى، ط ۱، مكتبة دار العلوم، القاهرة ۱۹۷۵ م. ۹۳- عبد العزيز مطر (دكتور): لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، دار الكتاب العربى، القاهرة، ۱۳۸۶ ه- ۱۹۶۶ م. ۹۴- عبد المجيد الخطيب (الشيخ): عمدة المفيد و عدة عبد المجيد فى فصول التجويد، الموصل ۱۹۷۷ م. ۹۵- عبد الهادى الفضلى (دكتور): قراءة ابن كثير و أثرها فى الدراسات النحوية، رسالة دكتوراة محفوظة فى مكتبة كلية العلوم بجامعة القاهرة ۱۹۷۵ م. ۹۶- أبو عبيد (القاسم بن سلام): غريب الحديث ط ۱، حيدرآباد ۱۹۶۴- ۱۹۶۷ م. ۹۷- عزت عبيد الدعاس: فن التجويد، ط ۵، دمشق ۱۳۸۵ ه ۱۹۶۶ م. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۹۸ ۹۸- العطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذانى): التمهيد فى معرفة التجويد، مخطوط فى مكتبة جستربتى‌بدبلن برقم (۳۹۵۴) طبع دار عمار/ الأردن ۲۰۰۰ م. ۹۹- علاء الدين القيسى: الأصول فى تجويد القرآن الكريم، ط ۵، مطبعة أسعد، بغداد ۱۴۱۰ ه ۱۹۹۰ م. ۱۰۰- أبو العلاء الهمذانى العطار (الحسن بن أحمد): كتاب فى التجويد، لعله له. نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة جستربتى‌بدبلن بإيرلندة رقم ۳۹۵۴ باسم (التمهيد فى التجويد) و ذكر بأنه من تأليف أبى بكر جعفر بن محمد المستغفرى. ۱۰۱- علم الدين السخاوى (أبو الحسن على بن محمد): جمال القراء و كمال الإقراء، تحقيق د. على حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة ۱۴۰۸ ه ۱۹۸۷ م. ۱۰۲- على أحمد صبرة (الشيخ): ملخص العقد الفريد فى فن التجويد، القاهرة ۱۳۳۱ ه ۱۹۱۳ م. ۱۰۳- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دمشق ۱۹۵۹ م. ۱۰۴- غانم قدورى الحمد (دكتور): الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة الخلود، بغداد ۱۴۰۶ ه ۱۹۸۶ م. ۱۰۵- غانم قدورى الحمد: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة، مطبعة أسعد، بغداد ۱۴۰۸ ه ۱۹۸۸ م. ۱۰۶- غانم قدورى حمد: علم التجويد نشأته و معالمه الأولى، مجلة كلية الشريعة، العدد السادس، بغداد ۱۴۰۰ ه ۱۹۸۰ م (ص ۳۳۱- ۳۹۶). ۱۰۷- ابن غانم المقدسى (على بن محمد): بغية المرتاد لتصحيح الضاد، تحقيق د. محمد جبار المعيبد، مجلة المورد مج ۲۴۱۸ بغداد ۱۴۰۹ ه ۱۹۸۹ م. أبحاث فى علم التجويد، ص: ۱۹۹ ۱۰۸- ابن غانم المقدسى (على بن محمد): بغية المرتاد لتصحيح الضاد، مخطوطة فى مكتبة المتحف، بغداد، الرقم (۱۱۰۶۸/ ۷). ۱۰۹- عبد الغنى النابلسى: كفاية المستفيد فى علم التجويد، مخطوط فى مكتبة المتحف، بغداد الرقم (۱۰۸۹۵).

## تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة

–فی المحامیل (=الهواتف المنقولـة) و الحواسـیب (=الأجهزة الکمبیوتریّـة)، تمهیـد أرضـیّةٍ واسـعةٍ جامعـةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت– علیهم السّلام – بباعث نشـر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسـعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسـلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسـهیل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشـرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسـریعُ إبراز المَرافِق و التسـهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشـرِ الثّقافةِ الاسـلامیّة و الإیرانیّـة – فی أنحـاء العالَم – مِن جـهـةٍ اُخرَی. – من الأنشـطة الواسـعة للمرکز: الف) طبع و نشـر عشـراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشـرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثیّـةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکـة و... الأماکن الدینیّـة، السـیاحیّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عـدّة مَواقِـعَ اُخـرَ ه) إنتـاج المُنتَجـات العرضـیّة، الخَطابـات و... للعرض فی القنوات القمریّـة و) الإطلاق و الـدَّعم العلمیّ لنظام إجابـة الأسـئلة الشـرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسـیم النظـام التلقائیّ و الیـدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصـیرة SMS ح) التعـاون الفخریّ مع عشـراتِ مراکزَ طبیعیّـة و اعتباریّـة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّـة، الجوامع، الأماکن الدینیّـة کمسـجد جَمکرانَ و... ط) إقامـة المؤتمَرات، و تنفیذ مشـروع" مـا قبـلَ المدرسـة "الخـاصّ بالأطفال و الأحـداث المُشارِکین فی الجلسـة ی) إقامـة دورات تعلیمیّـة عمومیّـة و دورات تربیة المربّی (حضـوراً و افتراضـاً) طیلـة السَّنَة المکتب الرّئیسـیّ: إیران/أصـبهان/ شـارع"مسـجد سـیّد/ "مـا بیـنَ شـارع"پنـج رَمَضـان" ومُفترَق"وفائی/"بنایـة"القائمیّة "تاریخ التأسـیس: ۱۳۸۵ الهجریّـة الشمسـیّة (=۱۴۲۷ الهجریـة القمریّـة) رقـم التسـجیل: ۲۳۷۳ الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقـع: www.ghaemiyeh.com البریـد الالـکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانـترنتی: www.eslamshop.com الهـاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱) الفـاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتـب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاریّـة و المَبیعـات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المسـتخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظـة هامّـة: المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شـَعبیّـة، تبرّعیّـة، غیر حکومیّـة، و غیر ربحیّـة، اقتُنِیَت باهتمـام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزایـد و المتّسِـعَ للامور الدّینیّـة و العلمیّـة الحالیّـة و مشاریع التوسـعة الثّقافیّـة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسـمَّی بالقائمیّة) و مع ذلـک، یرجو مِن جـانب سـماحة بقیّـة الله الأـعظم (عَجَّلَ اللهُ تعـالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکـلَّ توفیقـاً متزائـداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹